الصحيح

من سيرة النبي الأعظم ﷺ

١

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

بسم الله الرحمن الرحیم

الصحيح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم

کاتب:

سید جعفرمرتضی حسینی عاملی

نشرت فی الطباعهٔ:

سحرگاهان

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الصحيح من سيره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم المجلد ۱

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم/ جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع ۲ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

ص: ۱

اشاره

تقديم الكتاب فى طبعته الرابعه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

و الحمد للّه رب العالمين، و الصلاه و السلام على محمد و آله الطاهرين، و نبرأ من أعدائهم و مخالفيهم إلى يوم الدين.

و بعد ...

فهذه هى الطبعه الرابعه لكتاب: (الصحيح من سيره النبى الأعظم) صلى اللّه عليه و آله و سلم. نقدمها إلى القراء الكرام، بعد بدء صدور هذا الكتاب بحوالى ثلاثه عشر عاما خلت.

و تمتاز هذه الطبعه عن سابقتيها بأمور أساسيه ثلاثه، هى التاليه:

۱- إن هذه الطبعه تأتى بعد حصول هذا الكتاب على جائزه الجمهوريه الإسلاميه فى إيران لعام ۱۴۱۳ ه. ق. باعتباره الكتاب الأول فى مجال كتابه السيره النبويه المباركه.

و طبيعى أن يثير هذا الأمر شعورا لدى الكثيرين بضروره نشر هذا الكتاب بصوره أتم و أفضل، و على نطاق أوسع و أشمل.

كما أنه يمنحهم مبررا لتأكيد إصرارهم على مؤلفه لمتابعه جهوده

التحقيقيه، فى نطاق السيره النبويه المباركه، لسد الفراغ الموجود فى هذا المجال.

ثم هو يـذكى شعورا لـدى مؤلفه، بأن جهـده الـذى يبـذله لن يكون بـدون جدوى، بل ربما يكون ضـروريا و لازما، الأمر الذى يمنحه فرصه للتفكير فى الرجوع عن قراره السابق بعدم الإسـتمرار فى كتابه فصول هذا الكتاب، بسبب ما يواجهه من صعوبات، و ما يتحمله من مشاق فى هذا السبيل.

۲- إن هـذه الطبعه تمتاز عن سابقتيها بأنها قـد جاءت أكثر دقه و صـفاء، و صـحه و نقاء منهما، حيث قـد أعيد النظر فى كثير من النقاط التى كان هذا الكتاب قد أثارها. و حصـلت فيها تصـحيحات و إضافات، و تغييرات كثيره، إما تأييدا و تأكيدا، أو تنقيحا و تصحيحا.

كما و حصلت إضافات كثيره فى هوامش الكتاب، بالإضافه إلى بعض التصحيحات فيها.

و قد كانت هذه التغييرات و الإضافات من الكثره، بحيث أصبحت أجزاء الكتاب ثمانيه بعد أن كانت سته أجزاء.

۳- لقـد أعـدنا النظر فى تمهيـد الكتاب، و توسـعنا فى مطالبه، إلى حدّ أنها أصـبحت تشـكل واحدا من أجزاء الكتاب المسـتقله، فاعتبرناه مـدخلا لدراسه السـيره النبويه المباركه، و كان هو أول أجزائها فى هذه الطبعه، و أصـبح الجزء الأول هو الثانى و الثانى هو الثالث، و هكذا.

و لم نكن لنصـنع ذلـك لو لا- أننـا رأينـا: أن من المهم جـدا تعريف القـارى ء و البـاحث على قضايا و سـياسات كانت و لا تزال تخفى تاره و تظهر أخرى، و لم تستطع حتى الآن أن تحتل مكانتها الحقيقيه فى التكوين الفكرى فى المجال الثقافى العام.

و فی الختام أقول:

لقد كنت أتمنی لو تسنح لی الفرصه لإعاده كتابه هذا الكتاب، و صياغته من جديد؛ لإصلاح تعابيره و تراكيبه، و إعاده النظر فی تبويبه و ترتيبه و قد تنشأ عن ذلک إضافات كثيره، و تصحيحات هنا و هناک كبيره أو صغيره.

و لكن الفرصه- للأسف- كانت و لا تزال محدوده، بل هی مفقوده من الأساس. حتی إننی لا ابعد إذا قلت بمراره: أن معظم ما أكتبه يقدم إلی الطبع و هو فی مسودته الأولی، فلا غرو إذا ظهر فيه أحيانا أغلاط كثيره، و فجوات كبيره.

و لكننا عملا بقاعده: (ما لا يدرک كله، لا يترک كله) نقبل بتحمل وزر ذلک علی أمل أن يأتی الآخرون، و يقوموا بدورهم فی تنقيح هذه البحوث، و التوسع فيها، و عرضها بالشكل اللائق و المقبول.

فها أنا أقدم هذا الكتاب إلی القراء الكرام بانتظار توفر الوقت، و صحه العزم، و بذل الجهد فی التنقيح و التصحيح، أو إكمال الطريق، رغم ما فيها من أشواک و أدغال، و من مصاعب و مشقات و أهوال.

و فی الختام.

نسأل اللّه سبحانه أن ينفع بما كتبت، و يجعله خالصا لوجهه الكريم، و منه تعالی نستمد العون و القوه، و نسأله التأييد و التسديد.

و الحمد للّه، و الصلاه و السلام علی عباده الذين اصطفی محمد و آله الطاهرين.

۲۲/ ۲/ ۱۴۱۴ ه. ق.

جعفر مرتضی الحسينی العاملی

تقدیم:

بدایه:

تقدیم (۱):إن حیاه المجتمعات لیست أحداثا متباینه و منفصله عن بعضها البعض، و إنما هی استمرار یضع الماضی کل ما حصل علیه من عمله الدائب، و جهاده المستمر فی صمیم هذا الحاضر، لیستمد منه الکثیر من عناصر قوته، و حرکته، و وسائل تطوره، ثم تقدمه بخطی ثابته و مطمئنه نحو المستقبل الذی یطمح له، و یصبو إلیه.

فمن الطبیعی إذن، أن نجد لکثیر من الأحداث التاریخیه، حتی تلک التی توغلت فی أعماق التاریخ، حتی لا یکاد یظهر لنا منها شی ء، آثارا بارزه حتی فی واقع حیاتنا الیومیه الحاضره، فتظهر آثارها فی حیاه الشعوب، و فی تصرفاتها، بل و فی مفاهیمها و عواطفها، فضلا عن تأثیرها علی الحاله الدینیه، و الأدبیه، و العلمیه، و السیاسیه و الإقتصادیه، و العلاقات الإجتماعیه، و غیر ذلک.ب.

۱- هذا التقدیم عباره عن ملامح عن تقدیم کتابنا: الحیاه السیاسیه للإمام الرضا (علیه السلام)، و نوردها هنا لصلتها المباشره بموضوع بحثنا هذا، و حتی لا نضطرّ لإحاله القارئ علی ذلک الکتاب.

و إن كان تأثير هذه الأحداث يختلف شمولا و عمقا من أمه لأخرى، و من شعب لآخر أيضا.

مهمه التاريخ:

أما مهمه التاريخ، فهى أن يعكس بدقه و أمانه حياه الأمه فى الماضى، و ما مرّت به من أوضاع و أحوال، و ما تعرضت له من هزات فكريه، و أزمات اقتصاديه، و اجتماعيه و غيرها.

و هذا ما يؤكد أهميه التاريخ، و يبرز مدى تأثيره فى الحياه، و يعرفنا سرّ اهتمام الأمم على اختلافها به تدوينا، و درسا، و بحثا، و تمحيصا، و تعليلا. فهى تريد أن تتعرف من خلال ذلك على بعض الملامح الخفيه لواقعها الذى تعيشه؛ لتستفيد منه كلبنه قويه و صلبه لمستقبلها الذى تقدم عليه.

و لتكتشف منه أيضا بعضا من عوامل رقيها و انحطاطها، ليكون ذلك معينا لها على بناء نفسها بناء قويا و سليما، و الإعداد لمستقبلها على أسس متينه و قويه و راسخه.

و نحن هل نملك تاريخا:

و نحن أمه تريد أن تحيا الحياه بكل قوتها و حيويتها، و فاعليتها، و لكننا فى الوقت الذى نملك فيه أغنى تاريخ عرفته أمه، لا نملك من كتب التاريخ و التراث ما نستطيع أن نعوّل عليه فى إعطاء صوره كامله و شامله و دقيقه عن كل ما سلف من أحداث؛ لأن أكثر ما كتب منه تتحكّم فيه النظره الضيقه، و يهيمن عليه التعصب و الهوى المذهبى، و يسير فى اتجاه التزلف للحكام.

و أقصد ب (النظره الضيقه) عمليه ملاحظه الحدث منفصلا عن

جذوره و أسبابه، ثم عن نتائجه و آثاره.

و بكلمه أوضح و أصرح:

إن ما لـدينا هو- فى الأكثر- تاريخ الحكام و السلاطين، و حتى تاريخ الحكام هذا، فإنه قد جاء مشوّها و ممسوخا، و لا يسـتطيع أن يعكس بأمـانه وحيـده الصوره الحقيقيه لحيـاتهم و لتصـرفاتهم و مواقفهم؛ لأـن المؤرخ كـان لا يسـجل إلا ما يتوافق مع هوى الحاكم، و ينسجم مع ميوله، و يخدم مصالحه، مهما كان ذلك مخالفا للواقع، و لما يعتقده المؤرخ نفسه، و يميل إليه.

و من هنـا، فإننـا لا نفاجأ إذا رأينا المؤرخ يهتم بأمور تافهه و حقيره، فيسـهب القول فى وصف مجلس شـراب، أو منادمه لأمير أو حاكم، أو يختلق أحـداثا، أو شخصـيات لا وجود لها، ثم يهمل أحـداثا خطيره، أو يتجاهل شخصـيات لها مكانتها و أثرها العميق فى التاريـخ، و فى الأـمه. أو يشوّه أمورا صـدرت من الحـاكم نفسه، أو من غيره، أو يحيطهـا- لسـبب أو لآـخر- بالكتمان، و يثير حولها هاله من الإبهام و الغموض.

دراسه التاريخ:

إذن، فلاـ بـد لمن يريـد دراسه التاريـخ و الإسـتفاده من الكتب التاريخيه و التراثيه، من أن يقرأها بحـذر و وعى، و بـدقه و تأمل، حتى لا يقع فى فخّ التضليل و التجهيل.

فلا بـد له من أن يفتـح عينيه و قلبه على كل كلمه تمرّ به. و يحاول قدر المسـتطاع أن يسـتنطقها، و يسـتخلص منها ما ينسـجم مع الواقع، ممـا تؤيـده الـدلائل و الشواهـد المتضـافره، و يرفض أو يتوقـف فى كـل مـا تلاـعبت به الأـهواء، و أثرت عليه الميـول و العصبيات.

و ليس ذلک بالأمر اليسير و السهل، و لا سيما فيما يرتبط بتاريخ الإسلام الأول الذی هبت عليه رياح الأهواء الرخيصه و العصبيات الظالمه، و عبثت به أيدی الحاقدين، و ابتزت منه رواءه و صفاءه إلی حد كبير و خطير.

ماذا نريد:

و نحن بدورنا فی كتابنا هذا لسوف نحاول استخلاص صوره نقيه و واضحه قدر الإمكان عن تاريخ نبينا الأكرم (صلی اللّه عليه و آله و سلم).

و لسوف ينصب إهتمامنا بصوره أكثر و أوفر علی إبعاد كل ذلک الجانب المريض من النصوص، المجعوله تاريخا، مع أن الكثير منها لا يعدو أن يكون أوهاما و خيالات، ابتدعها المحدثون المغرضون و القصاصون الأفاكون، و أصحاب الأهواء و المتزلفون.

ميزات أساسيه فی تاريخ الاسلام المدوّن:

نقول ما تقدم بالرغم من أننا قد قلنا آنفا: أننا علی قناعه من أن تاريخ الإسلام المدوّن- علی ما فيه من هنات و نقص- أغنی تاريخ مكتوب لأيه أمه من الأمم، و هو يمتاز عن كل ما عداه بدقته و شموله، حتی إنک لتجده كثيرا ما يسجل لک الحركات، و اللفتات، و اللمحات، فضلا عن الكلمات، و المواقف و الحوادث، بدقه متناهيه و استيعاب لا نظير له.

أضف إلی ذلک: أنه يملک من الآيات القرآنيه، ثم من النصوص الصحيحه و الصريحه الشی ء الكثير، مما لا تجده فی أی تاريخ آخر علی الإطلاق. هذا إن لم نقل إن هذا الأمر من مختصات تاريخ الإسلام، إذا تأكدنا: أنه ليس بإمكان أی تاريخ أن يثبت من مقولاته إلا النزر اليسير، و لا سيما فی جزئيات الأمور، و فی التفاصيل و الخصوصيات.

و میزه أخری یمتاز بها تاریخ الإسلام، و هی أنه یمتلک قواعد و منطلقات تستطیع أن توفر للباحث السبل المأمونه، التی یستطیع من خلال سلوکها أن یصل إلی الحقائق التی یریدها، دقّت، أو جلّت.

و لسوف یأتی الحدیث عن بعض من ذلک فی بعض فصول ما اصطلحنا علیه أنه (المدخل لدراسه السیره النبویه الشریفه).

البدایه الطبیعیه لتاریخ الإسلام:

و واضح: أن البدایه الطبیعیه لتاریخ الإسلام، و أعظم و أهم ما فیه هو سیره سید المرسلین محمد صلی اللّه علیه و آله الطاهرین. فلا- بد من البدء بها، و لو ببحث قضایا و أحداث رئیسه فیها، لیکون ذلک بمثابه خطوه أولی علی طریق التصدی لبحوث مستوعبه و شامله، من قبل المتخصصین و الباحثین، من ذوی الکفاءات و الهمم العالیه.

و لکن ذلک یحتاج إلی تقدیم مدخل من شأنه أن یعطی انطباعا عاما عن أجواء و مناخات البحث فإلی هذا المدخل الذی یشتمل علی عده فصول ...

و اللّه هو الموفق و المسدد، و هو المستعان، و علیه التکلان.

الفصل الأول: و ما تخفى صدورهم أعظم!!

اشاره

صفات النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

المفروض بالنبی- أی نبی کان- أن یمثل النموذج الفذ، الذی یریده اللّه تعالی علی الأرض، و هو الإنسان الإنسان، بکل ما لهذه الکلمه من معنی. فهو رجل الفضل، و العقل، و الکمال، و مثال الحکمه، و الوقار و الجلال. عالم حکیم، تقی، شجاع، حازم، إلی غیر ذلک من صفات إنسانیه فاضله، و کمالات رفیعه. لا تری فی أعماله أی خلل أو ضعف، و لا فی تصرفاته أی تشتت أو تناقض.

و بکلمه: إنه الرجل المعصوم من الخطأ، المبرء من الزلل، أکمل الخلق و أفضلهم؛ و لأجل ذلک جعل اللّه تعالی نبینا محمدا (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أسوه لبنی الإنسان مدی الدهر، و فرض علیهم أن یقتدوا به فی کل شیء حتی فی جزئیات أفعالهم، فقال تعالی: لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ (۱).

أتری، هذا هو الرسول؟!:

و لکننا لو راجعنا الروایات التی یدّعی: أنها تسجل لنا تاریخ نبی۱.

۱- الأحزاب/ ۲۱.

الإسلام، (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، لوجدنا هذا النبى، الذى اصطفاه اللّه و اختاره من بين جميع خلقه، و وصفه جل و علا فى القرآن الكريم بأنه لَعَلی خُلُقٍ عَظِیم (۱) و الذى هو أشرف الأنبياء و المرسلين، و أعظم و أكمل رجل وجد على وجه الأرض، و هو عقل الكل، و مدبّر الكل، و إمام الكل- لوجدناه- رجلا عاجزا، و متناقضا، يتصرف كطفل، و يتكلم كجاهل، يرضى فيكون رضاه ميوعه و سخفا، و يغضب فيكون غضبه عجزا و اضطرابا، يحتاج دائما إلى من يعلّمه، و يدبر أموره، و يأخذ بيده، و يشرف على شؤونه، و يحل له مشاكله. الكل أعرف، و أقوى، و أعقل منه؛ كما أثبتته الوقائع المختلفه المزعومه تاريخا و سيره لحياته (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و بماذا؟ و كيف نفسّر حمل هذا النبى زوجته على عاتقه لتنظر إلى لعب السودان و خده على خدّها؟! أو أنها وضعت ذقنها على يده، و صارت تنظر إلى لعب السودان يوم عاشوراء؟! (۲)

ثم هو يترک جيشه لينفرد بزوجته عائشه، ليسابقها فى قلب الصحراء، أكثر من مره، و فى أكثر من مناسبه، فتسبقه مره، و يسبقها أخرى، فيقول لها: هذه بتلك (۳).٠-

---

۱- يحتمل بعض العلماء أن يكون المراد بالخلق: الدين، أو العاده و السنه العظيمه، و لكنه خلاف المتبادر من هذه العباره.

۲- راجع: صحيح البخارى ج ۱ ص ۱۱۱ و ج ۲ ص ۱۰۰ و راجع ص ۱۷۲ و راجع: مسند أحمد ج ۶ ص ۵۶ و ۵۷ و ۸۳ و ۸۵ و ۱۶۶ و ۱۸۶ و ۲۴۲ و ۲۴۷ و ۲۷۰ و سنن النسائى ج ۳ ص ۱۹۷ و ۱۹۵ و صحيح مسلم ج ۳ ص ۲۱ و ۲۲ و راجع: تاريخ عمر بن الخطاب ص ۳۵ و إحياء علوم الدين ج ۲ ص ۴۴ و راجع هوامشه، و التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۱۲۱ و ۱۲۲ و الرياض النضره ج ۲ ص ۳۰۰ و الفتوحات الإسلاميه لدحلان: ج ۲ ص ۴۶۳.

۳- راجع: صفه الصفوه ج ۱ ص ۱۷۶ و ۱۷۷ و سنن أبى داود ج ۳ ص ۲۹ و ۳۰-

أضف إلى ذلک: أنه يهوى زوجه ابنه بالتبنّى، بعد أن رآها فى حاله مثيره (۱)

إلى غير ذلک من المرويات الكثيره جدا التى تتحدث عن تفاصيل فى حياته الزوجيه، مما نربأ نحن بأنفسنا عن التفوه به، و ذكره، فكيف بممارسته و فعله!!

و بماذا؟ و كيف نفسر أيضا: أن يرى هذا النبى الرأى، فتنزل الآيات القرآنيه مفنّده لرأيه، و مصوبه لرأى غيره، فيقعد ليبكى و ينوح على ما فرط منه (۲).

و كيف نفسر أيضا ما يروونه عنه، من أنه مرّ على سباطه قوم، فيبولل-

---

۱- الجامع لأحكام القرآن ج ۱۴ ص ۱۹۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۵۰۱ و تفسير البرهان ج ۳ ص ۳۲۵ و ۳۲۶، و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۵۹ و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص ۳۹۶ و تفسير القمى ج ۲ ص ۱۷۲/ ۱۷۳ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۲۱۴ و تفسير غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ۲۱ ص ۱۲ و ۱۳ و الدر المنثور ج ۴ ص ۲۰۲ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۸۴ و ۲۸۶ و الكشاف ج ۳ ص ۵۴۰ و ۵۴۱ و الطبقات لإبن سعد ط صادر ج ص ۱۰۱ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۴۷ و لباب التأويل للخازن ج ۳ ص ۴۶۸ و مدارک التنزيل (مطبوع بهامش الخازن) ج ۳ ص ۴۶۸ و التبيان ج ۳ ص ۳۱۲ و نور الثقلين ج ۴ ص ۲۸۰ و ۲۸۱/ ۲۸۲ و جامع البيان ج ۲۱ ص ۱۰/ ۱۱.

۲- ستأتى مصادر ذلک فى غزوه بدر، فصل الغنائم و الاسرى: حين الحديث حول-

و هو قائم (۱)؟

ثم یکون له شیطان یعتریه- کما هو لغیره من الناس- و کان یأتیه فی صوره جبرئیل، و قد أعانه اللّه علی شیطانه هذا فأسلم (۲).

و إن شیطانه خیر الشیاطین (۳).

ثم شربه للنبیذ و الفضیخ (۴).

و کونه أحق بالشک من إبراهیم (علیه السلام) (۵).-۸-

۱- راجع: المصنف ج ۱ ص ۱۹۳ و صحیح البخاری ج ۱ ص ۳۴ و ۳۵ و سنن ابن ماجه ج ۱ ص ۱۱۱ و ۱۱۲ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۱۷۱ و مسند أحمد ج ۴ ص ۲۴۶ و ج ۵ ص ۴۰۲ و ۳۸۲ و ۳۹۴ و المعجم الصغیر ج ۱ ص ۲۲۹ و ج ۲ ص ۲۶۶.

۲- کشف الأستار عن مسند البزار ج ۳ ص ۱۴۶ و راجع: مشکل الآثار ج ۱ ص ۳۰ و ۳ و المواهب اللدنیه ج ۱ ص ۲۰۲ و المعجم الصغیر ج ۱ ص ۷۱ و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۶۹ و ۲۲۵ و راجع: الهدی إلی دین المصطفی ج ۱ ص ۱۶۹ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۷۱۲ عن مسلم.

۳- اللآلئ المصنوعه ج ۱ ص ۳۶۰.

۴- راجع: مسند أبی یعلی ج ۴ ص ۴۱۸ و نقله فی هامشه عن مصادر کثیره و مسند أحمد ج ۲ ص ۱۰۶ و التراتیب الإداریه ج ۱ ص ۱۰۲ عن مسلم و وفاء الوفاء ج ۳ ص ۸۲۲ عن أحمد و أبی یعلی و راجع: صحیح مسلم ج ۶ ص ۱۰۵ و سنن النسائی ج ۸ ص ۳۳۳ و سنن ابن ماجه ج ۲ ص ۱۱۲۶ و سنن أبی داود ج ۲ ص ۲۱۳ و المصنف للصنعانی ج ۹ ص ۲۲۶ و تیسیر الوصول ج ۱ ص ۲۷۵، و مجمع الزوائد ج ۵ ص ۶۴ و ۶۶ و ۶۷ و الطبقات الکبری لإبن سعد ج ۴ ص ۴۴ و البدایه و النهایه ج ۵ ص ۳۳۱.

۵- صحیح البخاری ج ۳ ص ۷۱ و مسند الإمام أحمد ج ۱ ص ۳۲۶ و سنن ابن ماجه ج ۲ ص ۱۳۳۵ و تأویل مختلف الحدیث ص ۹۷ و صحیح مسلم ج ۷ ص ۹۸-

ثم إنه ینسی ما هو من مهماته و شؤونه، مثل لیله القدر، و حین یعجز عن تذکّرها یأمر الناس بأن یلتمسوها فی العشر الأواخر من شهر رمضان المبارک (۱).

کما أنه لا یحفظ سوره الروم جیدا (۲).

و ینسی أیضا أنه جنب (۳) إلی غیر ذلک مما لا یمکن تتبعه و لا الإحاطه به لکثرته، مما یزید فی قبحه أضعافا علی ما ذکرناه، مما زخرت به المجامیع الحدیثیه و التاریخیه لدی بعض الطوائف الإسلامیه المنتشره فی طول البلاد و عرضها.

نعم ... هکذا تشاء الروایات- و کثیر منها مدوّن فی الکتب التی یدّعی البعض: أنها أصح شی ء بعد القرآن- أن تصوّر لنا أعظم رجل، و أکرم و أفضل نبی علی وجه الأرض!!

و هذه هی الصوره التی یستطیع أن یستخلصها من یراجع هذا الرکام الهائل من المجعولات، إذا کان خالی الذهن من الضوابط و المعاییر الحقیقیه، و المنطلقات الأساسیه، التی لا بد من التوفّر علیها فی دراسه التاریخ. و کذلک إذا کان لا یعرف شیئا مما یجب أن یتوفر فی الشخصیه التی یفترض أن تمثل النموذج الفذ لإراده اللّه تعالی علی الأرض.ء.

۱- کشف الأستار عن مسند البزار ج ۱ ص ۴۸۵ و ۴۸۴ و مجمع الزوائد ج ۳ ص ۱۷۶ و ۱۷۵ و ج ۷ ص ۳۴۸.

۲- الدر المنثور ج ۵ ص ۱۵۰ عن ابن أبی شیبه، و أحمد، و ابن قانع، و راجع: مناهل العرفان ج ۱ ص ۳۶۰ عن البخاری، و مسلم. و راجع: حول نسیانه صلی الله علیه و آله وسلم بعض الآیات فی کنز العمال ج ۱ ص ۵۳۸.

۳- المعجم الصغیر ج ۲ ص ۱۶. و راجع: ج ۱ ص ۱۳۰ حول نسیانه بعض الأسماء.

و کـذلک إذا کان خالی النفس عن تقـدیس النص تقـدیسا ساذجا و عشوائیا. هذا التقدیس الذی ربما یرفع هذه المنقولات عن مستواها الحقیقی، و یمنع- و لو جزئیا- من تقییمها تقییما واقعیا و سلیما، یعطیها حجمها الطبیعی فی میزان الاعتبار و الواقع.

و ما هو المبرر لتقـدیس کهذا؟! ما دام لم یثبت بعد أن هذا هو کلام النبی صـلی الله علیه و آله وسـلم أو موقفه، أو من صـفاته و شؤونه، و ما إلی ذلک.

إن إعطاء هذه الصوره عن نبی الإسلام الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)، و هو القدوه و الأسوه، لهو الخیانه العظمی للتاریخ، و للأمه، و للإنسانیه جمعاء، و لا زلنا نتجرع غصص هذه الخیانه، و نهیم فی ظلماتها.

الخطه الخبیثه:

و أما لماذا کل هذا الإفتراء علی الرسول الأکرم (صـلی اللّه علیه و آله و سلم)، فنعتقد: أن الأمر لم یکن عفویا، بل کان ثمه خطه مرسومه تهدف إلی طمس معالم الشخصیه النبویه، و التعتیم علی خصائصها الرسالیه الفذه، لیکون ذلک مقدمه لهدم الإسلام من الأساس، خصوصا من قبل الحکم الأموی البغیض و أعوانه.

و نذکر هنا بعض الأمثله التی تظهر بعض فصول هذه الخطه التی تسـتهدف الإسـلام و رموزه، و شخصـیه النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله) بالذات، و هی التالیه:

سیاسات ضد نبی الإسلام صلی الله علیه و آله وسلم :

۱- إنهم یذکرون عن زید بن علی بن الحسـین (علیهما السـلام)، أنه قال: إنه شهد هشام بن عبد الملک، و النبی یسبّ عنده؛ فلم ینکر ذلک

هشام، و لم يغيّره (١).

٢- ذكروا فى ترجمه خالد بن سلمه المخزومى المعروف ب (الفأفاء): أنه كان مرجيا، و يبغض عليا، و أنه كان ينشد بنى مروان الأشعار التى هجى بها المصطفى صلى الله عليه و آله وسلم . و خالد هذا يروى عنه أصحاب الصحاح الست ما عدا البخارى !!(٢)

٣- إن عمرو بن العاص لم يرض بضرب نصرانى يشتم النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (٣).

٤- و قد ذكر الكميت: أنه كان إذا مدح النبى صلى الله عليه و آله وسلم اعترض عليه جماعه، و لم يرضوا بذلك، فهو يقول:

إلى السراج المنير أحمد لا يعدلنى عنه رغبه، و لا رهب

عنه إلى غيره، و لو رفع الناس إلىّ العيون، و ارتقبوا

و قيل: أفرطت بل قصدت و لوعنّفنى القائلون، أو ثلبوا

إليک يا خير من تضمنت الأرض، و إن عاب قولى العيب

لجّ بتفضيلک اللسان و لوأكثر فيک الضجاج و اللجب و لعل الكميت رحمه اللّه قد أحسّ أن وراء هذه السياسه أمرا عظيما، حيث يقول:

رضوا بخلاف المهتدين و فيهم مخبّأه أخرى تصان و تحجب ه.

١- كشف الغمه للأربلى ج ٢ ص ٣٥٢ عن دلائل الحميرى، و الكافى ج ٨ ص ٣٩٥ و تيسير المطالب فى أمالى الإمام أبى طالب ص ١٠٨ و قاموس الرجال ج ۴ ص ٢٧٠.

٢- راجع: بحوث مع أهل السنه و السلفيه ص ١٠١ و تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٩۶ و دلائل الصدق ج ١ ص ٢٩. و للعلامه المظفر تعليق هنا لا بأس بمراجعته.

٣- الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٣ ص ١٩٣ و الإصابه ج ٣ ص ١٩۵ عن البخارى فى تاريخه.

و لا یمکن تفسیر (المخبأه) التی تصان و تحجب بأنها تفضیل الخلیفه علی الرسول؛ لأن ذلک لم یکن مخبأ، بل صرح به ولاه و أعوان الأمویین، کالحجاج بن یوسف، و خالد القسری، کما سنری.

فلا بد أن تکون هذه المخبأه هی طمس دین اللّه، و إزاله معالمه، و تشویه الصوره الحقیقیه لنبی الرحمه صلی الله علیه و آله وسلم ، و إزاله معالم الشخصیه النبویه بصوره نهائیه، من أذهان الناس.

۵- حدّث مطرّف بن المغیره: أن معاویه قال للمغیره فی سیاق حدیث ذکر فیه معاویه ملک أبی بکر، و عمر، و عثمان، و أنهم هلکوا فهلک ذکرهم:

(و إن أخا هاشم یصرخ به فی کل یوم خمس مرات: أشهد أن محمدا رسول اللّه، فأی عمل یبقی مع هذا لا أم لک؟! لا و اللّه، إلا دفنا دفنا) (۱).

و یقال: إن هذه القضیه بالذات هی السبب فی إقدام المأمون فی سنه ۲۱۲ ه علی النداء بلعن معاویه، لو لا أنهم أقنعوه بالعدول عن ذلک (۲) فراجع.

و نقول:

إن المغیره الذی ضرب الزهراء حتی أدماها، کما عن الإمام الحسن (علیه السلام) لم یکن ذلک الرجل الذی یرجع إلی دین، أو یهمّه أمر ذکره.

۱- الموفقیات ص ۵۷۷ و شرح النهج للمعتزلی ج ۵ ص ۱۲۹ و ۱۳۰ و مروج الذهب ج ۳ ص ۴۵۴ و کشف الغمه للأربلی ج ۲ ص ۴۴ و کشف الیقین فی فضائل أمیر المؤمنین ص ۴۷۴ و قاموس الرجال ج ۹ ص ۲۰ و بهج الصباغه ج ۳ ص ۱۹۳.

۲- مروج الذهب ج ۳ ص ۴۵۴ و ۴۵۵.

النبی صلی الله علیه و آله وسلم ؛ فإن حال المغیره فی قله الدین و مجانبه الحق معلوم (۱).

و لکن (ویـل لمن کفّره نمرود)، فإن المغیره الرجل الـداهیه لم یسـتطع تحمل جهر معاویه بهـذا الأمر، و رأی فیه مجازفه خطیره، تجرّ معـاویه، و کـل من یسـیر فی رکـابه إلی أخطـار جسـام، لاـ یمکن التکهن بعواقبها، فأحب المغیره أن ینسـحب بنفسه لیسـلم بجلده، لو کان ثمه ما یخاف منه، أو لعله أحسّ فی ولده مطرّف بعض الإیمان، فاتقاه و ذکر له هذا الأمر بصوره تشنیعیه ظاهره.

و خلاصه الأمر: إن المغیره إنما یهتم بمصلحته الشخصیه بالدرجه الأولی، لا بمصلحه معاویه.

و قـد یکون أحسّ من معاویه: أنه یرید عزله، و تولیه غیره، أو أنه کان فی نفسه موجده علیه، بسـبب عزله إیاه، فذکر عنه ما کان أسرّه إلیه، أو أن ذلک قد کان منه قبل أن یولیه معاویه الکوفه!!

۶- روی أحمد بن أبی طاهر فی کتاب: (أخبار الملوک): أن معاویه سمع المؤذن یقول: (أشهد أن محمدا رسول اللّه) فقال:

(للّه أبوک یا ابن عبد اللّه، لقد کنت عالی الهمه، ما رضیت لنفسک إلا أن یقرن إسمک باسم رب العالمین (۲)).

فهذا النص یؤید النص السابق، و یوضّح لنا مدی تبرّم معاویه بهذا الأمر، و أنه یعتبر ذکر رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی الأذان إنما هو من صـنیع رسول اللّه صـلی الله علیه و آله وسـلم نفسه. أما أن یکون ذلک بوحی من اللّه فـذلک آخر ما یفکر أو یعترف به معاویه.

۷- ثم هناک محاولاتهم الجاده للمنع من التسمی بإسم رسول ا.

۱- راجع: قاموس الرجال ج ۹ ص ۸۴- ۹۰ لتقف علی بعض حالات المغیره.

۲- شرح نهج البلاغه للمعتزلی ج ۱۰ ص ۱۰۱.

اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و قد نجحوا فی ذلک بعض الشی ء کما یعلم، بالمراجعه (۱).

۸- یقول العنزی (سمعت أبا برزه و خرج من عند عبید اللّه بن زیاد، و هو مغضب فقال:

ما کنت أظن أن أعیش حتی أخلف فی قوم یعیرونی بصحبه محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، قالوا: إن محمدیّکم هذا الدحداح إلخ ... ((۲)).

۹- و قد رأی مروان أبا أیوب الأنصاری واضعا وجهه علی قبر النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، فقال له: أتدری ما تصنع؟!

فقال أبو أیوب: نعم، جئت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله وسلم ، و لم آت الحجر (۳).

ما أشبه اللیله بالبارحه:

و ها نحن نجد نفس هذا الإتجاه الأموی یتبلور بصوره أصرح و أقبح فی نهج بعض الفرق التی تدعی لنفسها قیمومه علی الإسلام و علی مقدساته و رموزه، حیث إنها ما فتئت تعمل علی المنع من التبرک بآثار النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله)، و تجهد فی طمس کل الآثار و المعالم الإسلامیه، و إزالتها بطریقه أو بأخری، و بمبرر، و بلا مبرر. و تحکم بالکفر علی هذا الفریق، و بالشرک علی ذاک، لا لشی ء إلا لأنهم لا یوافقونهم فی المعتقد، و فی الرأی. و أمر هذه الفرقه أشهر من أن یذکر.۳.

۱- راجع: الغدیر ج ۶ ص ۳۰۹ عن عمده القاری ج ۷ ص ۱۴۳.

۲- مسند أحمد بن حنبل ج ۴ ص ۴۲۱.

۳- مسند أحمد ج ۵ ص ۴۲۲ و مستدرک الحاکم ج ۴ ص ۵۱۵ و تلخیصه للذهبی مطبوع بهامشه، و صححاه. و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۲ و وفاء الوفاء ج ۴ ص ۱۳۵۹ و شفاء السقام ص ۱۲۶ و المنتقی لإبن تیمیه ج ۲ ص ۲۶۱/ ۲۶۳.

سنّه النبی صلی الله علیه و آله وسلم أم سنّه غیره؟!:

أما قیمه سنّه النبی صلی الله علیه و آله وسلم لدیهم فیوضحها:

۱- أنه حینما أنکر أبو الدرداء علی معاویه أکله الربا، أو شربه بآنیه الذهب و الفضه، و احتج علیه بقول رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، أجابه معاویه بقوله:

أما أنا فلا أری به بأسا.

فأخذ أبو الدرداء علی نفسه أن لا یساکن معاویه فی أرض هو فیها.

و کان ذلک فی زمن عمر بن الخطاب، فلما بلغه ذلک لم یزد علی أن أرسل إلی معاویه ینهاه عن فعل ذلک، و لکنه لم یعنفه علی ما صدر منه، و لا عاقبه، و لا عزله عن عمله (۱).

و بالمناسبه فإننا نشیر هنا إلی أن أبا الدرداء لم یلتزم بما قطعه علی نفسه، حیث إنه قد ساکن معاویه بعد ذلک، و صار من أعوانه لما تسلط علی الناس، و ابتزهم أمرهم.

۲- و کان عثمان قد أحدث الصلاه: فی منی أربعا، و لم یقصرها کما کان یفعل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فاعتل عثمان مره، فطلبوا من علی (علیه السّلام) أن یصلی بالناس، فقال (علیه السّلام): إن شئتم صلیت لکم صلاه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، یعنی رکعتین.

قالوا: لا، إلا صلاه أمیر المؤمنین- یعنون عثمان- أربعا.۰.

۱- موطأ مالک ج ۲ ص ۱۳۵/ ۱۳۶ (المطبوع مع تنویر الحوالک) و سنن البیهقی ج ۵ ص ۲۸۰ و راجع ص ۲۷۸ و ۲۷۷. و راجع: المصادر التالیه: شرح النهج للمعتزلی ج ۵ ص ۱۳۰ و سنن النسائی ج ۱ ص ۲۷۹ و ۲۷۷ و اختلاف الحدیث للشافعی (مطبوع بهامش الأمم) ج ۷ ص ۲۳ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۱۹ و صحیح مسلم ج ۵ ص ۴۳ و الجامع لأحکام القرآن ج ۳ ص ۳۵۰.

فأبى (۱).

۳- و قال البعض عن الشافعيه: (و العجب، منهم من يستجيز مخالفه الشافعى لنص له آخر، فى مسأله بخلافه، ثم لا يرون مخالفته لأجل نص رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم) (۲).

و ما ذلک إلا لأن شأن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن لدى هؤلاء فى المستوى اللائق به، كما هو ظاهر.

و يقول أبو زهره: (وجدنا مالكا يأخذ بفتواهم (أى الصحابه) على أنها من السنه، و يوازن بينها و بين الأخبار المرويه إن تعارض الخبر مع فتوى صحابى. و هذا ينسحب على كل حديث عنه صلى الله عليه و آله وسلم ، حتى و لو كان صحيحا) (۳).

و إجراء حكم المتعارضين من قبل مالک بين فتوى الصحابى، و بين الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم هو الذى دفع الشوكانى إلى مهاجمه كل من يعتبر أقوال الصحابه حجه كقول النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فراجع ما قاله فى هذا المورد إن شئت (۴).

و قد ذكرنا، طائفه من النصوص الداله على أنهم يرون للصحابه حق التشريع. و يرى بعض الصحابه أن هذا حق لهم فى كتابنا: الحياه السياسيه للإمام الحسن (عليه السلام) (۵). و سيأتى بعض من ذلک فى فصل: معايير لحفظ الإنحراف.٠.

۱- المحلى ج ۴ ص ۲۷۰ و ارجع: ذيل سنن البيهقى لإبن التركمانى ج ۳ ص ۱۴۴.

۲- مجموعه الرسائل المنيريه ص ۳۲.

۳- ابن حنبل لأبى زهره ص ۲۵۱/ ۲۵۵ و كتاب مالک لأبى زهره أيضا ص ۲۹۰.

۴- ابن حنبل لأبى زهره ص ۲۵۴/ ۲۵۵ عن إرشاد الفحول للشوكانى ص ۲۱۴.

۵- راجع: الحياه السياسيه للإمام الحسن (عليه السلام) ص ۸۶- ۹۰.

بغض قریش لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم :

و قد رأینا قریشا رغم تظاهرها بالإسلام لم تزل تکّن الحقد و البغض لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ؛ باستثناء أفراد قلیلین منهم. و قد ظهر ذلک جلیا واضحا حینما حاول صلی الله علیه و آله وسلم أن ینصب علیا إماما فی حجه الوداع، فی منی أو عرفات، و قد روی بأسانید صحیحه: أن الناس قد ترکوه بسبب ذلک، و صارحهم بقوله: ما بال شق الشجره التی تلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم أبغض إلیکم من الشق، الآخر (۱). و قد حصل ذلک و النبی صلی الله علیه و آله وسلم راجع من مکه إلی المدینه؛ فراجع ذلک فی کتابنا: (الغدیر و المعارضون) إن شئت.

الخلیفه الأموی أفضل من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم :

و کان من سیاسات الأمویین تفضیل الخلیفه الأموی علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، یقول الجاحظ:

۱- (فاحسب أن تحویل القبله کان غلطا، و هدم البیت کان تأویلا، و احسب ما روی من کل وجه: أنهم کانوا یزعمون: أن خلیفه المرء فی أهله أرفع عنده من رسوله إلیهم) (۲).

۲- و یقول أیضا عن بنی هاشم: (و لم یجعلوا الرسول دون۶.

۱- راجع علی سبیل المثال: الإحسان فی تقریب صحیح ابن حبان (ط مؤسسه الرساله) ج ۱ ص ۴۴۴ و مسند أحمد ج ۴ ص ۱۶ و المعجم الکبیر للطبرانی ج ۵ ص ۵۰- ۵۲ و کشف الأستار عن مسند البزار ج ۴ ص ۲۰۶ و مجمع الزوائد ج ۱۰ ص ۴۰۸ عن أحمد عن ابن ماجه بعضه، و کنز العمال ج ۱۰ ص ۳۰۵ عن الدارمی، و ابن خزیمه، و ابن حبان، و مسند الطیالسی ص ۱۸۲ و حیاه الصحابه ج ۳ ص ۹ عن أحمد.

۲- رسائل الجاحظ ج ۲ ص ۱۶.

الخلیفه) (۱). أی کما فعله الأمویون.

۳- قال الجاحظ: خطب الحجاج بالکوفه، فذکر الذین یزورون قبر رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم بالمدینه، فقال: تبالهم، إنما یطوفون بأعواد و رمّه بالیه.

هلّا طافوا بقصر أمیر المؤمنین عبد الملک؟ ألا یعلمون: أن خلیفه المرء خیر من رسوله؟.

یقول المبرّد: إن ذلک مما کفّرت به الفقهاء الحجاج. و أنه إنما قال ذلک و الناس یطوفون بالقبر. و هذه القضیه معروفه و مشهوره (۲).

۴- و کتب الحجاج إلی عبد الملک: إن خلیفه الرجل فی أهله أکرم علیه من رسوله إلیهم، و کذلک الخلفاء یا أمیر المؤمنین أعلی منزله من المرسلین) (۳).

۵- قال خالد بن عبد اللّه القسری، و ذکر النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

أیما أکرم رسول الرجل فی حاجته، أو خلیفته فی أهله،۷.

۱- آثار الجاحظ ص ۲۰۵.

۲- راجع: النصائح الکافیه ص ۸۱ عن الجاحظ، و الکامل فی الأدب ج ۱ ص ۲۲۲ ط النهضه بمصر، و شرح النهج للمعتزلی ج ۱۵ ص ۲۴۲ و البدایه و النهایه ج ۹ ص ۱۳۱ و سنن أبی داود ج ۴ ص ۲۰۹ و العقد الفرید ج ۵ ص ۵۱ و الإشتقاق ص ۱۸۸ و وفیات الأعیان ج ۲ ص ۷ و الإلمام ج ۴ ص ۳۱۳/ ۳۱۴ و فیه أن ذلک هو سبب خروجهم مع ابن الأشعث، و راجع تهذیب تاریخ دمشق ج ۴ ص ۷۲ و بهج الصباغه ج ۵ ص ۲۹۱ و ۳۱۹ و ۳۳۸ عن العقد الفرید، و عن کتاب افتراق بنی هاشم، و عبد شمس للجاحظ.

۳- العقد الفرید ج ۲ ص ۳۵۴ و ج ۵ ص ۵۱ و راجع ص ۵۲ و راجع: البدایه و النهایه ج ۱۹ ص ۱۳۱ و تهذیب تاریخ دمشق ج ۴ ص ۷۲ و بهج الصباغه ج ۵ ص ۳۱۷.

يعرّض: أن هشاما خير من النبى صلى الله عليه و آله وسلم (۱).

۶- و يقول خالد القسرى أيضا: و اللّه لأمير المؤمنين أكرم على اللّه من أنبيائه (عليهم السلام) (۲).

۷- و زعم خالد القسرى أيضا: أن عبد اللّه بن صيفى سأل هشاما، فقال: يا أمير المؤمنين، أخليفتك فى أهلك أحب إليك و آثر عندك، أم رسولك؟!

قال هشام: بل خليفتى فى أهلى.

قال: فأنت خليفه اللّه فى أرضه و خلقه، و محمد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إليهم؛ فأنت أكرم على اللّه منه.

فلم ينكر هذه المقاله من عبد اللّه بن صيفى، و هى تضارع الكفر.

إنتهى كلام خالد (۳).

۸- و قد ادعى الحجاج: (أن خبر السماء لم ينقطع عن الخليفه الأموى (۴).

و كان الحجاج يرى: أن عبد الملك بن مروان معصوم (۵)، بل كان يرى نفسه: أنه لا يعمل إلا بوحى من السماء و ذلك حينما أخبروه: أن أم أيمن تبكى لإنقطاع الوحى بموت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم (۶). و لا عجب بعد۵.

۱- الأغانى ج ۱۹ ص ۶۰.
۲- الأغانى ج ۱۹ ص ۶۰ و راجع: تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۸۲.
۳- الأخبار الطوال ص ۳۴۶.
۴- تهذيب تاريخ دمشق ج ۴ ص ۷۲.
۵- العقد الفريد ج ۵ ص ۲۵.
۶- تهذيب تاريخ دمشق ج ۴ ص ۷۳، و راجع: الإمام الصادق و المذاهب الأربعه ج ۱ ص ۱۱۵.

هذا إذا عرفنا أن البعض یقول: إن من خالف الحجاج فقد خالف الإسلام (۱).

علی خطی الحجاج:

و الـذی یلفت نظرنا هنا: أننا نجـد الوهابیین ینفـذون السـیاسات الأمویه هذه بأمانه و دقه حتی إن زعیمهم محمد بن عبد الوهاب یقول عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم : (إنه طارش).

و بعض أتباعه یقول بحضـرته، أو یبلغه فیرضـی: عصای هـذه خیر من محمـد، لأنه ینتفع بها فی قتل الحیه و العقرب، و نحوها، و محمد قد مات، و لم یبق فیه نفع، و إنما هو طارش (۲).

نظره الأمویین إلی الحرم و الکعبه:

أما بالنسـبه إلی رأیهم فی الکعبه، و زمزم، و مقام إبراهیم و غیرها من المقدسات، فذلک أوضح من الشـمس و أبین من الأمس. و یتضح ذلک من النصوص التالیه:

۱- کان خالد القسـری قد أخذ بعض التابعین، فحبسه فی دور آل الحضـرمی بمکه، فأعظم الناس ذلک و أنکروه، فخطب، فقال: قـد بلغنی ما أنکرتم من أخذی عدو أمیر المؤمنین و من حاربه. و اللّه، لو أمرنی أمیر المؤمنین أن أنقض هذه الکعبه حجرا حجرا لنقضتها. و اللّه، لأمیره.

۱- لسان المیزان ج ۶ ص ۸۹.

۲- کشف الإرتیاب ص ۱۳۹ عن خلاصه الکلام ص ۲۳۰ و الطارش هو: الرسول فی الحاجه.

المؤمنين أكرم على اللّه من أنبيائه (عليهم السلام) (۱).

۲- قال المدائنی: کان خالد يقول: لو أمرنی أمير المؤمنين لنقضت الکعبه حجرا حجرا، و نقلتها إلی الشام (۲).

۳- و أعظم من ذلک و أشد خطرا، و أعظم جرأه علی اللّه عز و جل:

أن الحجاج لم يکتف فی حربه لإبن الزبير برمی الکعبه بأحجار المنجنيق، حتی رماها- و العياذ باللّه- بالعذره أيضا لعنه اللّه و أخزاه (۳).

۴- کما أن الوليد ابن يزيد الأموی قد أنفذ مجوسيا ليبنی علی الکعبه مشربه للخمر. کما و ذهب فی عهد هشام إلی مکه و معه خمر، و قبه ديباج علی قدر الکعبه، و أراد أن ينصب القبه علی الکعبه، و يجلس فيها، فخوفه أصحابه من ثوره الناس، حتی امتنع (۴).

۵- و تقدم قول الجاحظ: أن هاشما تفخر علی بنی أميه بأنهم لم يهدموا الکعبه (۵). و أنهم: (أعادوا علی بيت اللّه بالهدم، و علی حرم المدينه بالغزو، فهدموا الکعبه، و استباحوا الحرمه ... إلخ) (۶).

مقام إبراهيم (ع):

و قد روی عبد الرزاق عن الثوری، عن مغيره، عن أبيه، قال:۶.

۱- الأغانی ج ۱۹ ص ۲۰ و راجع: تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ۸۲.
۲- الأغانی ج ۱۹ ص ۵۹.
۳- عقلاء المجانين ص ۱۷۸ و الفتوح لإبن أعثم ج ۲ ص ۴۸۶.
۴- بهج الصباغه ج ۵ ص ۳۴۰ عن الطبری و الأغانی.
۵- آثار الجاحظ ص ۲۰۵.
۶- رسائل الجاحظ ج ۲ ص ۱۶.

رأيت الحجاج أراد أن يضع رجله على المقام- مقام إبراهيم- فيزجره عن ذلك محمد ابن الحنفيه، و ينهاه عن ذلك.

أضاف الزمخشرى: أن ابن الحنفيه قال: (و اللّه، لقد كنت عزمت إن أرادنى أن أجتذب عنقه فأقطعها) (١).

زمزم أمّ الخنافس:

قال الأصمعى: قال أبو عاصم النبيل: ساق خالد (أى القسرى) ماء إلى الكعبه؛ فنصب طستا إلى جانب زمزم، ثم خطب فقال:

قد جئتكم بماء العاديه، و هو لا يشبه أمّ الخنافس، يعنى زمزم (٢).

و قال خالد القسرى لعامله ابن أمّى: أيما أعظم، ركّيتنا؟ أم زمزم؟

فقال له: أيها الأمير، من يجعل الماء العذب النقاح مثل الملح الأجاج؟!

و كان يسمّى زمزم: أمّ الجعلان (٣).

بين الخليفه الأموى و إبراهيم الخليل:

و قال أبو عبيده: خطب خالد (أى القسرى) يوما فقال: إن إبراهيم خليل اللّه استسقى ماء فسقاه اللّه ملحا أجاجا. و إن أمير المؤمنين استسقى اللّه ماء، فسقاه عذبا نقاخا (۴).٠.

١- المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۴٩ و ربيع الأبرار ج ١ ص ٨۴٣ و طبقات ابن سعد ج ۵ ص ٨۴.
٢- تهذيب تاريخ دمشق ج ۵ ص ٨٢.
٣- الأغانى ج ١٩ ص ۵٩.
۴- الأغانى ج ١٩ ص ۶٠.

الحج إلى صخره بیت المقدس:

و یذکر المؤرخون أنه:

حین استولی ابن الزبیر علی مکه و الحجاز بادر عبـد الملک بن مروان إلی: (منع الناس من الحـج، فضـجّ الناس، فبنی القبه علی الصـخره، و الجامع الأقصـی؛ لیشـغلهم بذلک عن الحج، و یسـتعطف قلوبهم. و کانوا یقفون عند الصـخره، و یطوفون حولها کما یطوفون حول الکعبه، و ینحرون یوم العید، و یحلقون رؤوسهم) (۱).

و قد قال عبد الملک عن الصخره: هذه صخره الرحمان التی وضع علیها رجله (۲).

و کـان ابن مسـعود، و عـائشه، و عروه بن الزبیر، و ابن الحنفیه، و ابن عمر، ینکرون مـا یقوله أهل الشام عن الصـخره، من أن اللّه وضع قدمه علیها (۳).

فـذکر ابن مسـعود هنا و هو إنما توفی فی خلافه عثمان، یشـیر إلی أن أهل الشام الذین رباهم معاویه، کانوا یقولون بهذه المقاله فی وقت متقدم جدا، حتی اضطر هؤلاء الأعلام إلی الإعلان عن إنکارهم لهذا الأمر، بما فیهم ابن مسعود.

و قد اعترف البعض ببناء عبد الملک بن مروان لقبه الصخره، لکنه۸.

۱- البدایه و النهایه ج ۸ ص ۲۸۰ و ۲۸۱ و راجع: الأنس الجلیل ج ۱ ص ۲۷۲ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۱۶۱ و مآثر الأنافه ج ۱ ص ۱۲۹ و حیاه الحیوان الکبری ج ۱ ص ۶۶ و السنه قبل التدوین ص ۵۰۲- ۵۰۶.

۲- التوحید و اثبات صفات الرب ص ۱۰۸.

۳- الأباضیه، عقیده و مذهبا ص ۹۸.

زعم: أن ذلک قد کان لأجل أنه رأی عظم قبه القمامه و هیئتها، فخشی أن تعظم فی قلوب المسلمین (۱).

و لکنه کما تری تأویل بارد، و تخیّل فاسد، إذ لماذا اختار قبله الیهود لإزاله ذلک من قلوب المسلمین؟! و لماذا لا یختص ذلک بالمسجد الأقصی دون سواه؟ و لماذا منع الناس من الحج إلی الکعبه؟ و لماذا الطواف، و النحر، و الحلق، و الوقوف، إلخ؟!

ثم لماذا تحویل القبله عن الکعبه إلی بیت المقدس علی الظاهر، کما سنری؟! و لماذا؟ و لماذا؟

تحویل القبله:

ثم إنهم قد حولوا قبله المسلمین، کما ینص علیه الجاحظ.

و الظاهر هو: أنهم قد حولوها إلی بیت المقدس تجاه الصخره، التی هی قبله الیهود، کما ربما یقتضیه ما تقدم.

قال الجاحظ: (... حتی قام عبد الملک بن مروان، و ابنه الولید، و عاملهما الحجاج، و مولاهما یزید بن أبی مسلم، فأعادوا علی البیت بالهدم، و علی حرم المدینه بالغزو، فهدموا الکعبه، و استباحوا الحرمه، و حولوا قبله واسط).

إلی أن قال: (... فاحسب: أن تحویل القبله کان غلطا، و هدم البیت کان تأویلا، و احسب ما رووا من کل وجه: أنهم کانوا یزعمون ...

إلخ ...) (۲).۶.

۱- أحسن التقاسیم ص ۱۵۹.

۲- رسائل الجاحظ ج ۲ ص ۱۶.

و یقول الجاحظ أیضا: (و تفخر هاشم بأنهم لم یهدموا الکعبه، و لم یحولوا القبله، و لم یجعلوا ... إلخ) (۱).

و مما یدل علی تحویل قبله واسط أیضا: أن أسد بن عمرو بن جانی، قاضی واسط، (قد رأی قبله واسط ردیئه، فتحرّف فیها، فاتهم بالرفض) (۲). فأخبرهم أنه رجل مرسل من قبل الحکام لیتولی قضاء بلدهم.

و نقول:

أولا: إن الظاهر هو أن تحویل القبله کان إلی صخره بیت المقدس، التی جعل الحج أولا إلیها، بعد أن منع الحج إلی مکه و الکعبه. کما تقدم.

بل لقد ادعی البعض: أن القبله أساسا قد کانت قبل الهجره إلی الصخره (۳).

و ثانیا: إنه یظهر من قصه قاضی واسط: أن غیر الشیعه قد قبلوا بالأمر الواقع، وجروا علی ما یریده الحکام. و الشیعه، وحدهم هم الذین رفضوا ذلک، حتی أصبح تحری القبله مساوقا للاتهام بالرفض.

و ثالثا: لعل تحویل القبله إلی بیت المقدس یفسر لنا ما ورد من استحباب التیاسر لأهل العراق خاصه، و هم الذین کان الحجاج یحکمهم من قبل بنی أمیه. أی لیکونوا أقرب إلی الکعبه حینئذ. غیر أن أئمه أهل .

۱- آثار الجاحظ ص ۲۰۵.

۲- نشوار المحاضرات ج ۶ ص ۳۶ و تاریخ بغداد ج ۷ ص ۱۶.

۳- راجع: الکشکول للبهائی ط مصر ص ۹۸ و تاریخ الخمیس ج ۱ ص ۳۶۷ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۱۳۰.

البیت (علیهم السلام) لم یتمکنوا من الجهر و التصریح بهذا الأمر، فأشاروا إلیهم باستحباب التیاسر، ثم لما کانوا یسألونهم عن السبب فی ذلک تراهم یبررونه بما یبعد الشبهات عنهم (۱).

و لکن ذلک، فیما یظهر لم یدم طویلا، فقد التفت خصوم الشیعه إلی ذلک، و لذا تراهم یتهمون کل من یتحری القبله بالرفض، کما تقدم.

تأویلات سقیمه:

یقول البعض: إن السر فی استحباب التیاسر هو أن علامات القبله لأهل العراق لم تکن کافیه لتعیینها بدقه، بحیث تجعل التوجه إلی سمت شخص الکعبه، فکان استحباب التیاسر مکملا لتلک العلامات.

و لکن هذا مرفوض، و لا یمکن قبوله، إذ أنه لو صح هذا لوجب الحکم بوجوب التیاسر لا استحبابه.

و قال بعض آخر: إن السر فی ذلک هو أن سعه الحرم من أحد جوانبه، أزید من الجوانب الأخری.

و نقول:

أولا: إنه إذا کان اللازم هو التوجه إلی شخص الکعبه، فإن سعه الحرم و ضیقه لا أثر له فی شی ء من ذلک.

ثانیا: و لو سلمنا: أن المطلوب هو التوجه إلی الحرم، فإن سعته من أحد الجوانب لیست بمقدار یستحب معه التیاسر الموجب للإبتعاد عنه مئات الأمیال أو أکثر أو أقل.ه.

۱- راجع: وسائل الشیعه کتاب الصلاه، أبواب القبله.

کعبه المتوکل فی سامراء:

و بالمناسبه فها هو الخلف العباسی یقتدی بذلک السلف الأموی، فإن الخلیفه المتوکل، الذی استحق من البعض لقب (محی السنه) قد اقتدی بسلفه الأمویین، فبنی فی سامراء کعبه، و جعل طوافا، و اتخذ منی و عرفات، حتی یحج إلیها أمراء جیشه، و لا یفارقوه (۱).

الحجاج و القرآن:

عن سلمه بن کهیل قال: (اختلفت أنا و ذرّ المرهبی (من عبّاد أهل الکوفه، و من رجال الصحاح الست) فی الحجاج، فقال: مؤمن، و قلت:

کافر.

قال الحاکم: و بیان حجته ما أطلق فیه مجاهد بن جبیر فیما حدثناه من طریق أبی سهل أحمد القطان، عن الأعمش قال: و اللّه، لقد سمعت الحجاج بن یوسف یقول:

یا عجبا من عبد هذیل (یعنی عبد اللّه بن مسعود) یزعم أنه یقرأ قرآنا (أو قال: یزعم أن قرآنه) من عند اللّه. و اللّه، ما هو إلا رجز من رجز الأعراب، و اللّه لو أدرکت عبد هذیل لضربت عنقه)

و زاد ابن عساکر و غیره: (و لأخلین منها (أی من قراءه ابن مسعود) المصحف و لو بضلع خنزیر، أو لأحکّنّها من المصحف، و لو بضلع خنزیر).

و قد استفظع ابن کثیر هذا الکلام من الحجاج، فراجع البدایه.

۱- راجع: أحسن التقاسیم ص ۱۲۲- ۱۲۳ و لکن یحتمل أن یکون المقصود هو المعتصم العباسی، فإن فی عباره المقدسی بعضا من الإبهام. و سواء کان المتوکل هو الذی فعل ذلک أو المعتصم، فإن النتیجه واحده.

و النهایه (۱).

خلیفه أموی ینتقم من المصحف:

و یذکر المؤرخون: أن الخلیفه الأموی الولید بن یزید لعنه اللّه، قرأ ذات یوم: وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خابَ کُلُّ جَبَّارٍ عَنِیدٍ، مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ (۲)، فرمی المصحف بالنشّاب، و هو یقول:

تهددنی بجبار عنیدفها أنا ذاک جبار عنید

إذا ما جئت ربک یوم حشرفقل یا رب خرقنی الولید (۳)

لا یجرؤ الناس علی الصلاه:

و لا نجازف إذا قلنا: إنه فی عهد الخلفاء الذین سبقوا خلافه علی أمیر المؤمنین (علیه السلام) قد کانت السیطره و الهیمنه لتلک الفئه التی لم تکن تقیم للدین وزنا. و أصبح الجو العام هو جو الإستهزاء و السخریه بالدین و بالمتدینین، مع عدم اهتمام ظاهر من السلطات بردع هذا الفریق من الناس، و مکافحتهم لأسباب مختلفه.

و کشاهد علی ذلک نذکر: أن حذیفه بن الیمان، یقول:۹.

۱- مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۶۵۶ و تلخیص المستدرک للذهبی (مطبوع بهامشه) نفس الجلد و الصفحه و تهذیب تاریخ دمشق ج ۴ ص ۷۲ و الغدیر ج ۱۰ ص ۵۱ عنهما و البدایه و النهایه ج ۹ ص ۱۲۸ عن أبی داود و ابن أبی خیثمه، و راجع: بهج الصباغه ج ۵ ص ۳۱۷.

۲- سوره إبراهیم/ ۱۵.

۳- راجع: بهج الصباغه ج ۵ ص ۳۳۹ و ج ۳ ص ۱۹۳ و الحور العین ص ۱۹۰ و مروج الذهب ج ۳ ص ۲۲۶، و الأغانی ط دار إحیاء التراث ج ۷ ص ۴۹.

(ابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سرا) (۱).

مع أن حـذيفه كان صـحابيا جليلا، و كان من كبار القواد الـذين كان لهم دور هام فى فتوحات بلاد فارس، و قد توفى فى أوائل خلافه الإمام على أمير المؤمنين (عليه السّلام)، أى بعد البيعه له (عليه السلام) بالخلافه بأربعين يوما على ما قيل.

فـإذا كان أمثال حـذيفه لا يسـتطيعون الإعلان بصـلاتهم، فما ظنك بالأعم الأغلب من الناس الـذين لم يكن لهم مقام و لا مكانه حذيفه و نفوذه؟!.

ما هو إلا ملك!:

و يذكر ابن شبّه: (أن شـريح بن الحارث النميرى، الذى كان عامل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم على قومه، ثم عامل أبى بكر، فلما قام عمر (رض) أتاه بكتاب رسول اللّه (صـلى اللّه عليه و آله)، فأخـذه و وضـعه تحت قدمه، و قال: لا، ما هو إلا ملك، إنصرف) (۲).

التحالف على هدم الإسلام:

و آخر نص نذكره فى هذا السياق هو ما ذكره الزمخشرى، من أن أمويا و أنصاريا تفاخرا؛ فذكر له الأموى الأمويين الذين توفى النبى صلى الله عليه و آله وسلم و هم عمال له.

فقال الأنصارى: صدقت، و لكنهم حالفوا أهل الرده على هدم الإسلام.۶.

۱- صحيح مسلم ج ۱ ص ۹۱ و صحيح البخارى ج ۲ ص ۱۱۶.

۲- تاريخ المدينه لإبن شبه، المجلد الأول ص ۵۹۶.

فكأنما ألقمه حجرا (١).

غيض من فيض:

كان ما تقدم من النصوص غيضا من فيض، مما يدل على رأى و اعتقاد و سياسه الحكام تجاه الإسلام، و رموزه، و مقدساته. و تجاه الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم .

و لكنه ليس هو كل شى ء، فثمه نصوص بالغه الكثره تدل على ذلك أو تشير إليه.

و حيث إن استيعابها خارج عن حدود الطاقه، فإننا نكتفى بما أوردناه لننتقل فى بحثنا إلى ما يزيد الحقيقه وضوحا، و يستكمل ملامح الصوره التى أريد طمسها، بطريقه أو بأخرى، و لسبب أو لآخر. فنقول:

الدوافع و الأهداف:

و أما لماذا يحاولون النيل من المقدسات الإسلاميه، و بالأخص من شخصيه الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)، و الحط من كرامته، فلعل ذلك يعود إلى الأمور التاليه:

١- الكيد السياسى الأموى ضد الهاشميين، خصومهم قديما و حديثا، بما فيهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه، و الذى أصبح هو مصدر العزه و الشرف و المجد لكل أحد، و لا سيما الهاشميين.

٢- تبرير كل انحرافات و تفاهات الهيئه الحاكمه، و التقليل من بشاعه ما يرتكبونه من موبقات فى أعين الناس. على اعتبار: أنه ليس ثمه٩.

١- ربيع الأبرار ج ١ ص ٧٠٨/ ٧٠٩.

فواصل کبیره بین مواقف و تصرفات هؤلاء، و بین تصرفات و مواقف الرجل الأول و المثال، فهی و إن اختلفت کمیه و شکلا، و لکنها لا تختلف مضمونا و هدفا.

۳- إراده دفن هذا الدین، و القضاء علیه نهائیا، ما دام أنه یضرّ بمصالحهم، و یقف فی وجه شهواتهم، و أهوائهم و مآربهم، إلا فی الحدود التی لا تضرّ فی ذلک کله، بل تبرره و تقویه، و ترفده و تنمّیه.

۴- الحصول علی بعض ما یرضی غرورهم، و یؤکد شوکتهم و عزتهم، و یظهر قوتهم و جبروتهم.

۵- عدم وجود قناعه کافیه لدی الکثیرین منهم بأن محمدا صلی الله علیه و آله وسلم نبی مرسل حقا، و قد صرّح بذلک أمیر المؤمنین (علیه السلام) (۱).

و هو أیضا ما عبّر عنه یزید الفجور و الخمور صراحه بقوله، حین تمثّل بشعر ابن الزبعری:

لعبت هاشم بالملک فلاخبر جاء و لا وحی نزل و قد غنّی ابن عائشه هذه الأبیات أمام الولید، فقال له:

أحسنت و اللّه، إنی لعلی دین ابن الزبعری یوم قال هذا الشعر (۲).

و قال الولید بن یزید:

تلعّب بالخلافه هاشمی بلا وحی أتاه و لا کتاب

فقل للّه یمنعنی طعامی و قل للّه یمنعنی شرابی (۳) ،-

۱- راجع: شرح النهج للمعتزلی ج ۲۰ ص
۲- تاریخ الأمم و الملوک ج ۶ ص ۳۳۷ و بهج الصباغه ج ۳ ص ۱۹۴.
۳- الحور العین ص ۱۹۰ و مروج الذهب ج ۳ ص ۲۱۶ و بهج الصباغه ج ۵ ص ۳۳۹ و ج ۳ ص ۱۹۴ و البیت الثانی مقتبس من بیت قاله أبو بکر بن أبی قحافه،-

و قال بعد أن ذكر الخمر:

فلقد أيقنت أنى غير مخلوق لنار

سأروض الناس حتى يركبوا أير الحمار

ذروا من يطلب الجنه يسعى لتبـار (۱) ۶- هـذا كله بالإضافه إلى حقـد دفين على الرسول الأكرم صـلى الله عليه و آله وسـلم ، و بغض حقيقى له، بسبب ما فعله بآبائهم، و إخوانهم، و عشائرهم، و عشائرهم، الـذين حاربوا الإسـلام و كادوه بكل ما قـدروا عليه. و قـد ظهر ذلك منهم بصوره واضـحه حينما أراد صـلى الله عليه و آله وسلم أن يصرّح بإمامه أخيه، و وصيه، و ابن عمه على (عليه السلام)، و يأخذ البيعه له منهم، فقال لهم صـلى الله عليه و آله وسـلم حينئذ: ما بال شق الشجره التى تلى رسول اللّه أبغض إليكم من الشق الآخر. حسبما قدمناه عن قريب.۶.

۱- الحور العين ص ۱۹۰/ ۱۹۱ و الأغانى ط دار إحياء التراث ج ۷ ص ۴۶.

الفصل الثانی: سیاسات تستهدف الجذور:

اشاره

الأسوه و القدوه:

إن من المقبول، و المسلّم به لدى الجميع، نظريا على الأقل: أن قول النبى صلى الله علیه و آله وسلم ؛ و فعله، و تقريره حجه، و دليل على الحكم الشرعى، و قد قال تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (۱). و قال: ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۲).

و ذلك يعنى: أنه لا بد من تتبع أقواله، و أفعاله و مواقفه صلى الله علیه و آله وسلم ، لمعرفه ما يتوجب على المكلفين معرفته فى نطاق التزامهم بالحكم الشرعى، و التأسى بالرسول الأكرم صلى الله علیه و آله وسلم .

كما أن ذلك يعنى: أن النبى صلى الله علیه و آله وسلم معصوم فى كل قول أو فعل، أو موقف يصدر عنه، و لا تختص عصمته بمقام التبليغ القولى للأحكام، كما ربما يوهمه بعض ما يزعمونه فى هذا المقام.

و لأجل ذلك فإن من المفترض أن يتناقل الناس كل ما يصدر عن۷.

۱- الأحزاب/ ۲۱.

۲- الحشر/ ۷.

النبی صلی الله علیه و آله وسلم من قول و فعل عبر الأجیال، و أن یدوّنوه و یحفظوه، و أن یجمعوه و یفسروه، لا سیما و أن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم نفسه قد ذکر: أنه قد أوتی القرآن و مثله معه.

و کان جبرائیل (علیه السلام) ینزل علیه صلی الله علیه و آله وسلم ، فیعلمه السنه کما یعلمه القرآن (۱). و لا نری أننا بحاجه إلی ذکر ما یدل علی ذلک، فإنه بحمد اللّه أکثر من أن یحاط به.

الحث علی کتابه الحدیث:

هذا، و قد حثّ (صلی اللّه علیه و آله) علی کتابه و روایه ما یصدر عنه من علوم و معارف، و قد وصل إلینا من ذلک الشی ء الکثیر، مما هو مبثوث فی عشرات المصادر و المراجع (۲).ر-

---

۱- راجع الزهد و الرقائق (قسم ما رواه نعم بن حماد) ص ۲۳ و الکفایه فی علم الروایه ص ۱۲،

۲- راجع علی سبیل المثال لا الحصر ما یلی: جامع بیان العلم ج ۱ ص ۷۶ و ۳۴ و ۸۵ و ۸۴ و ۷۲ و ج ۲ ص ۳۴ و کشف الأستار ج ۱ ص ۱۰۹ و تیسیر المطالب فی أمالی الإمام أبی طالب ص ۴۴ و الغدیر ج ۸ ص ۱۵۴ و تحفه الأحوذی (المقدمه) ج ۱ ص ۳۴ و ۳۵ و مروج الذهب ج ۲ ص ۲۹۴ و البحار ج ۲ ص ۱۴۴ و ۱۵۲ و ۴۷ و ج ۷۱ ص ۱۳۹ و ۱۳۰ و البدایه و النهایه ج ۱ ص ۶ و ج ۵ ص ۱۹۴ و تقیید العلم ص ۶۵- ۷۰ و ۷۲ و ۸۵ و ۸۶ و ۸۸ و ۸۹ و میزان الإعتدال ج ۱ ص ۶۵۳ و لسان المیزان ج ۲ ص ۲۹۸ و ج ۴ ص ۲۱ و ج ۱ ص ۱۷۲/ ۱۷۳ و وفاء الوفاء ج ۲ ص ۴۸۷ و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۰۰ و ۲۳۸ و ج ۲ ص ۲۴۸/ ۲۴۹ و ۴۰۳ و ۱۶۲ و ۱۹۲ و ۲۱۵ و ج ۴ ص ۳۳۴ و ج ۵ ص ۱۸۳ و المعجم الصغیر ج ۱ ص ۱۶۲ و ۱۱۴ و الإستیعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ۴ ص ۱۰۶ و فتح الباری ج ۱ ص ۱۸۴ و ۱۸۲ و ۱۹۹ و ۲۰۳ و ۲۴۶ و ۲۴۷ و العقد الفرید ج ۲ ص ۲۱۹ و البیان و التبیین ج ۲ ص ۳۸ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۱۲۵- ۱۲۷ و ذکر-

الصحابه و غیرهم یکتبون الحدیث:

و قد کتب الصحابه، و کتب غیرهم، ممن عاش فی القرن الأول الهجری الکثیر الکثیر عنه صلی الله علیه و آله وسلم ، و کانوا یأمرون و یحثون غیرهم علی الکتابه أیضا، و کان کثیر منهم یملک صحفا و کتبا یجمع فیها طائفه من أحادیث الرسول (صلی اللّه علیه و آله) و سننه (۱). و قد سافر کثیر منهم و من۷-

---

۱- إن کل ما تقدم یمکن مراجعته فی عدد من المصادر التی ذکرناها فی الهامش المتقدم، و نزید علی ذلک ما یلی: بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۲۲- ۲۲۹ عن مصادر کثیره موردا فهرسا للصحف و الکتب للصحابه و التابعین و راجع: الجامع الصحیح للترمذی، کتاب الأحکام باب الیمین مع الشاهد و علوم الحدیث و مصطلحه ص ۲ ب- ۲۳ و جامع العلم ج ۱ ص ۸۴ و ۷۵ و ج ۲ ص ۳۴ و تذکره الحفاظ ج ۱ ص ۲۳ و ۴۲ و ۱۲۳ و المحجه البیضاء ج ۵ ص ۳۰۲ و المصنف للصنعانی ج ۱۱ ص ۱۸۳ و ۴۲۵ و ۲۵۹ و ج ۸ ص ۴۱ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۴۶ و ۲۴۷-

التابعین إلی الأقطار المختلفه فی طلب حدیث الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وسلم (۱).ر.

۱- راجع: الرحله فی طلب الحدیث ص ۱۱۰ و ما بعدها إلی آخر الکتاب و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۰۸- ۲۱۰ عن العدید من المصادر و حیاه الصحابه ج ۳ ص ۲۲۳ حتی ص ۲۲۶ عن العدید من المصادر.

عمر و أبو بکر کتبا الحدیث:

و حتی الخلیفه أبو بکر، فإنه قد کتب عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وسلم خمس مئه حدیث، لکنه عاد فمحاها فور وفاته صلی الله علیه و آله وسلم (۱).

و قد کان الصحابه یعقدون حلقات المذاکره لحدیث رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی المسجد، و قد یصل عدد بعض الحلقات إلی أکثر من ثلاثین رجلا، و ذلک فی أول إمره عمر بن الخطاب (۲).

بل إن عمر بن الخطاب نفسه قد کتب- فیما یروی عنه- لعتبه بن فرقد بعض السنن (۳)، و وجد فی قائم سیفه صحیفه فیها صدقه السوائم (۴).

و إن کنا نعتقد: أن هذا النص یهدف إلی مساواته برسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، حیث قد رووا: أنه قد وجد فی قائم سیف رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم صحیفه مشابهه (۵).

علی (ع) و ولده و شیعته:

اشاره

أما أمیر المؤمنین علی (علیه السّلام)، الذی لم یکن یفارق رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی سفر و لا حضر، إلا فی غزوه تبوک، فقد کان مهتما بروایهل.

۱- راجع: تذکره الحفاظ ج ۱ ص ۵ و کنز العمال ج ۱۰ ص ۱۷۴ عن مسند الصدیق لعماد الدین ابن کثیر، عن الحاکم. و راجع: النص و الإجتهاد ص ۱۵۱ و مکاتیب الرسول ج ۱ ص ۶۱ الطبعه الأولی و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۲۱.

۲- راجع: حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۳۳۱ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۷۱۰.

۳- مسند أحمد ج ۱ ص ۱۶.

۴- الکفایه فی علم الروایه ص ۳۵۴.

۵- راجع مکاتیب الرسول.

و تدوین حدیث رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم اهتماما بالغا حتی لقد قیل له:

ما بالک أکثر أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم حدیثا؟!

فقال: کنت إذا سألته أنبأنی، و إذا سکتّ ابتدأنی (۱).

و قد کتب علیه الصلاه و السلام عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم کتبا کثیره، و قد توارثها عنه الأئمه من ولده (۲).

و قد واصل هؤلاء الأئمه الأطهار التشجیع علی التزوار، و تذاکر الحدیث حتی لا یدرس، و حثّوا علی کتابه العلم و تناقله، و حفظه فی موارد کثیره (۳). حتی إن الزهری- و کان قد ترک الحدیث- لما سمع من الحسن۶-

---

۱- أنساب الأشراف (بتحقیق المحمودی) ج ۲ ص ۹۸ و ترجمه الإمام علی (علیه السلام)، لإبن عساکر (بتحقیق المحمودی أیضا) ج ۲ ص ۴۵۶.

۲- لقد ذکر العلامه الأحمدی فی کتابه مکاتیب الرسول ص ۷۱- ۸۹ طائفه من المصادر لذلک لکنه قد أضاف عشرات النصوص و المصادر الأخری، التی سوف یجدها القارئ فی الطبعه الثانیه لکتابه المذکور. و یمکن مراجعه: الوسائل، کتاب القضاء، و کتاب الحدود، و الکافی ج ۷ ص ۷۷ و ۹۴ و ۹۸ و ج ۲ ص ۶۶ و کنز العمال ج ۱ ص ۳۳۷ و رجال النجاشی ص ۲۵۵ و أدب الإملاء و الاستملاء ص ۱۲ و حیاه الصحابه ج ۳ ص ۵۲۱/ ۵۲۲ و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۱۶ و الغدیر ج ۸ ص ۱۶۸ و المراجعات ط الأعلمی ص ۳۰۵ و ۳۰۶ و ربیع الأبرار ج ۳ ص ۲۹۴ و البحار ج ۷۲ ص ۲۷۴ و راجع: صحیح البخاری ط سنه ۱۳۰۹ ه. ج ۱ ص ۲۰/ ۲۱ و البدایه و النهایه ج ۵ ص ۲۵۱ و راجع: طبقات ابن سعد ج ۵ ص ۷۷ و علوم الحدیث لإبن الصلاح ص ۱۶۱ و الباعث الحثیث شرح اختصار علوم الحدیث (متنا و هامشا) ص ۱۳۲ و تقیید العلم ص ۸۸ و ۸۹ و الرحله فی طلب الحدیث ص ۱۳۰.

۳- راجع: بحار الأنوار ج ۲ ص ۱۵۲ و ۱۵۳ و ۵۰ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۱۳۰ و علل الحدیث ج ۲ ص ۴۳۸ و تقیید العلم ص ۸۹- ۹۱ و ۱۰۴ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۲۲ و ۲۲۳ و ۲۴۶ و ۲۴۷ و ۲۵۷ و ۲۵۹ و ربیع الأبرار ج ۳ ص ۳۲۶-

بن عماره قولا لعلی (علیه السلام) یحث فیه علی نشر العلم، عاد فحدث الحسن بن عماره فی مجلسه ذاک أربعین حدیثا (۱).

و عن علی: قیّدوا العلم، قیدوا العلم. مرتین (۲).

و عنه (علیه السلام): قیدوا العلم بالکتاب (۳).

أما شیعه علی و أهل بیته، فأمرهم فی الإلتزام بتدوین العلم و نشره أوضح من الشمس، و أبین من الأمس، و لا نری أننا بحاجه إلی إثبات ذلک (۴).

ملاحظه هامه:

لقد کان علی (علیه السلام) أعلم أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و کان۵.

۱- الأذکیاء ص ۱۰۱.
۲- تقیید العلم ص ۸۹.
۳- تقیید العلم ص ۹۰.
۴- راجع علی سبیل المثال لا الحصر: رجال النجاشی ص ۳ و ۴ و الطبقات الکبری ج ۶ ص ۲۲۰ و ج ۵ ص ۷۷ و ج ۲ قسم ۲ ص ۱۲۳ و ج ۷ قسم ۱ ص ۱۴ و تأسیس الشیعه لعلوم الإسلام ص ۲۸۰، و المراجعات ط الأعلمی ص ۳۰۶ و راجع: الضعفاء الکبیر للعقیلی ج ۲ ص ۲۹ و ۹۶ و ۲۲۴ و أحوال الرجال ص ۱۱۶ و ۱۹۲ و شرح النهج للمعتزلی ج ۱۲ ص ۷۸ و تهذیب تاریخ دمشق ج ۱ ص ۲۳۴ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۵۹ و ۳۲۴/ ۳۲۵ و الإصابه ج ۱ ص ۲۱۳ و الغدیر ج ۹ ص ۱۳۰ و راجع: شرف أصحاب الحدیث ص ۹۵.

باب مدینه علمه، و کان أکثر أصحابه صلی الله علیه و آله وسلم حدیثا عنه، و قد کتب عنه العدید من الکتب، و إلخ ...

و لکننا إذا راجعنا ما رووه عنه فی کتبهم، فإننا لا نجد إلا أقل القلیل، بل إننا نجد لأبی هریره الذی لم یلتق برسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم إلا أشهرا یسیره أضعاف ما روی هؤلاء عن أمیر المؤمنین (علیه السلام).

و یکفی أن نذکر قول أبی ریّه رحمه اللّه هنا أن ما روی عن علی (علیه السلام) هو مئه و ثمانیه و خمسون حدیثا، و روی عن أبی بکر مئه و ثمانیه و أربعون حدیثا. أما ما روی عن أبی هریره فهو ۵۳۷۴ حدیثا (۱) فتبارک اللّه أحسن الخالقین!!

فی الإتجاه المضاد:

و نجد فی مقابل ذلک کله تیارا قویا کان و لا یزال یرفض الحدیث عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، سواء علی مستوی الروایه له، أو کتابته، أو العمل به.

و یمکن الحدیث عن هذا الإتجاه فی مرحلتین، ربما یقال: إنهما تختلفان من حیث الدوافع و الأهداف، و إن کانتا تلتقیان من حیث الآثار و النتائج.

الأولی: فی زمن الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله).

و الثانیه: بعد وفاته علیه و علی آله الصلاه و السلام.

و نحن نتکلم عن هاتین المرحلتین، مع رعایه جانب الإختصار، و الإحاله علی المراجع و المصادر مهما أمکن. فنقول:۵.

۱- راجع: أضواء علی السنه المحمدیه ص ۲۲۴ و ۲۲۵.

المنع من الحديث فی عهد الرسول صلی الله علیه و آله وسلم :

اشاره

لقد ظهرت ملامح الإتجاه الرافض للحدیث عن الرسول صلی الله علیه و آله وسلم ، و لکتابته لدی قسم من المسلمین، لا جمیعهم، و یمکن أن نقول: إنهم قریش علی وجه الخصوص. و معها من لفّ لفّها، ممن یری رأیها، و یتعامل معها، و یری مصالحه مرتبطه بصوره أو بأخری بمصالحها.

و قد کانت حجه قریش لإعتراضها علی من کان یکتب کلامه صلی الله علیه و آله وسلم هی: أنه صلی الله علیه و آله وسلم بشر یرضی و یغضب. فقد یتکلم و الحاله هذه بما لا یتفق مع الحق و الواقع. و قد شکا البعض قریشا لأجل ذلک إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، فأمره (صلی اللّه علیه و آله) بأن یکتب کل ما یتفوه به علیه الصلاه و السلام؛ فإنه لا یخرج من بین شفتیه إلا ما هو حق و صدق (۱).

دوافع هذه السیاسه:

و لعل دوافع هؤلاء إلی اتخاذ هذا الموقف هی:

۱- إن الکثیرین منهم کانوا موتورین و حاقدین علی الإسلام، و علی نبیه الأکرم (صلی اللّه علیه و آله)، و علی المسلمین. و إن کانوا یتظاهرون۸.

۱- راجع: تیسیر المطالب فی أمالی الإمام أبی طالب ص ۴۴، و تقیید العلم ص ۸۰ و انظر ص ۷۴ و ۷۷ و ۷۸ و ۷۹ و ۸۲ و تحفه الأحوذی ج ۱ ص ۳۵ (من المقدمه) و سنن الدارمی ج ۱ ص ۱۲۵ و سنن أبی داود ج ۳ ص ۳۱۸ و مسند أحمد بن حنبل ج ۲ ص ۱۶۲ و ۱۹۲، و نقله فی هامش تقیید العلم ص ۸۱ عن المصادر التالیه: المحدث الفاصل ج ۴ ص ۲ و عن الإلماع ص ۲۶ و عن جامع بیان العلم ج ۱ ص ۷۱ و عن معالم سنن أبی داود ج ۴ ص ۱۸۴ و تیسیر الوصول ج ۳ ص ۱۷۶ و حسن التنبیه ص ۹۳ و راجع: المستدرک ج ۱ ص ۱۰۵ و ۱۰۴ و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۱۸.

بخلاف ما تنطوى عليه نفوسهم و جوانحهم بعد أن اتضح لهم: أنه لا يسعهم إلا التسليم للأمر الواقع، و كذلك فعلوا ريثما تسنح لهم الفرصه للوثبه، و تسديد الضربه- كما قال أبو سفيان: و الآن لو كان لى رجال-.

۲- الحسد لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم على ما آتاه اللّه من فضله، و عدم رغبتهم فى أن يروا الناس يتأسون بنبيهم، و يطبقون أعمالهم و سلوكهم على أعماله صلى الله عليه و آله وسلم و سلوكه، و لا يريدون أن يتناقل الناس سيرته، و أقواله، و مواقفه صلى الله عليه و آله وسلم .

۳- ضعف الإعتقاد لدى الكثيرين منهم، و لا سيما من أسلم لتوّه بنبوه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و لا يرون فى ذلك أيه فائده أو عائده.

المنع عن الحديث بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم :

اشاره

أما بعد وفاته صلى الله عليه و آله وسلم ، و تسلّم قريش لإزمه الحكم و السلطان، فقد رأت أن مصلحتها تكمن فى المنع من روايه حديث الرسول، و من كتابته، و من العمل به. بل و جمع كل ما كتب فى عهده صلى الله عليه و آله وسلم ، ثم إحراقه بالنار.

و هكذا كان. و قد تابعت سياساتها هذه بقوه و بحزم كما سنرى.

أهداف هذه السياسه:

اشاره

و أما عن دوافع هذه السياسه و أهدافها، ثم ما نجم عن ذلك من آثار و نتائج فذلك ما سوف نفصله فى فصل مستقل يأتى إن شاء اللّه تعالى، بعد إلقاء نظره موضحه على المسار العام لهذه السياسه.

البادره الأولى: حسبنا كتاب اللّه:

و غنى عن البيان هنا: أن أول مواجهه مباشره و صريحه لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى هذا الخصوص، و منعه هو شخصيا من كتابه ما يريد، هى ما

جری فی مرض موته (صلی اللّه علیه و آله)، فما عرف ب (رزیه یوم الخمیس)، حینما أراد صلی الله علیه و آله وسلم أن یکتب کتابا للأمه لکی لا تضل بعده، فصدرت من بعض الحاضرین کلمات غیر لائقه فی حق النبی الأقدس (صلی اللّه علیه و آله)، ثم جاء الرفض القاطع و الجازم لکل ما یکتب فی کلمه عمر الشهیره له صلی الله علیه و آله وسلم :

(حسبنا کتاب اللّه)

ثم کثر التنازع و اللغط من الحاضرین، فأمرهم صلی الله علیه و آله وسلم ، بالقیام عنه، و القضیه معروفه و مشهوره، و قد وردت بها صحاح الأخبار و الآثار (۱) کما تنبأ صلی اللّه علیه و آله، کما سیأتی فی آخر هذا الجزء إن شاء اللّه تعالی.

البادره الثانیه:

ثم أحرق أبو بکر خمس مئه حدیث، حسبما أسلفنا فکان هو الواضع الأول لرکیزه سیاسه إحراق حدیث النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

ذروه هذه السیاسه:

اشاره

ثم کانت خلافه عمر بن الخطاب، فکان التحرک فی هذا الإتجاه أکثر دقه، کما کان أکثر شمولیه و استقصاء، حتی لیخیل إلیک: أن هذا الأمر هو أعظم ما کان یشغل بال الخلیفه، و یقضّ مضجعه، فکان یتابع ٠.

۱- راجع: صحیح البخاری ج ۴ ص ۵ و ۱۷۳ و ج ۱ ص ۲۲ و صحیح مسلم ج ۵ ص ۷۶ و مسند أحمد ج ۶ ص ۴۷ و ۱۰۶ و ۱۱۶ و ج ۱ ص ۹۰ و ۲۲ و ۲۹ و ۳۲ و ۳۳۶ و ۳۳۵ و ج ۳ ص ۳۴۶ و تهذیب تاریخ دمشق ج ۶ ص ۴۵۱ و المصنف لعبد الرزاق الصنعانی ج ۵ ص ۴۳۸ و ۴۳۹ و راجع المصادر التی فی کتابنا: صراع الحریه فی عصر المفید الطبعه الأولی ص ۸۰.

هذا الأمر، و يحث عليه ثم يراقب و يعاقب و يتخذ القرارات و الإجراءات بصوره ظاهره و مستمره و دؤوبه.

و قد أرسل بأوامره القاضيه بإقلال الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و بأن لا يكون هذا الحديث ظاهرا، و بتجريد القرآن عن الحديث، أرسل بها إلى جميع الأقطار و الأمصار. و كان يوصى بذلک و لآته، و بعوثه و جيوشه. و لم يزل يشيعهم بهذه الوصايا (۱).

و قد كانت سياساته فى هذا المجال دقيقه و مدروسه، و تصعيديه.

فهو يطلب ذلک و يوصى به باستمرار، فإذا روى أحد حديثا طالبه بالبينه و الشهود، كما فعل مع أبى بن كعب و أبى موسى، و إن لم يكن لديه بينه، عاقبه و نكل به. فإذا وجد أحدا يصر على روايه الحديث هدّده بالطرد، و النفى إن لم ينفع معه التهديد و الضرب (۲).ن-

---

۱- راجع: البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ۱ ص ۴۸۰ و غريب الحديث لإبن سلام ج ۴ ص ۴۹ و حياه الشعر فى الكوفه ص ۲۵۳ و الغدير ج ۶ ص ۲۹۴ و ۲۶۳ و الأم ج ۷ ص ۳۰۸ و فيه قال قرظه لا أحدّث حديثا عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم أبدا و راجع: سنن الدارمى ج ۱ ص ۸۵ و سنن ابن ماجه ج ۱ ص ۱۶ و مستدرک الحاكم ج ۱ ص ۱۰۲ و جامع بيان العلم ج ۲ ص ۱۲۰ و تذكره الحفاظ ج ۱ ص ۳ و شرح النهج للمعتزلى ج ۳ ص ۱۲۰ و كنز العمال ج ۲ ص ۸۳ و الحياه السياسيه للإمام الحسن ص ۷۸ و ۷۹ و شرف أصحاب الحديث ص ۹۰ و ۹۱ و ۸۸ و حياه الصحابه ج ۳ ص ۲۵۷ و ۲۵۸ و طبقات ابن سعد ج ۶ ص ۷.

۲- الحياه السياسيه للإمام الحسن (عليه السلام) للمؤلف. و راجع: أضواء على السنه المحمديه و شيخ المضيره، و السنه قبل التدوين، و أبو هريره للسيد عبد الحسين شرف الدين رحمه اللّه، و راجع: بحوث مع أهل السنه و السلفيه، و أى كتاب يبحث حول أبى هريره أو يترجم له. و راجع أيضا: الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۱۸۰ و قواعد فى علوم الحديث ص ۴۵۴ و شرف أصحاب الحديث ص ۹۲ و ۹۳ و ۱۲۳ و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص ۸۸ عن المجروحون ج ۱ ص ۱۲ و حديث طلب البينه من-

إحراق حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم :

و في خطوه تصعيديه حاسمه و حازمه يطلب الخليفه الثانى عمر بن الخطاب من الصحابه أن يأتوه بما كانوا قد كتبوه عن النبى (صلى اللّه عليه و آله)، بحجه أنه يريد جمع الحديث النبوى، و كتابته، حتى لا يندرس.

فبقى شهرا و هو يجمع مكتوبات الصحابه، ثم قام بإحراق ما اجتمع لديه محتجّا لعمله هذا بقوله.

مثناه كمثناه أهل الكتاب؟!

و الظاهر أن الصحيح: (مشناه كمشناه أهل الكتاب) (۱) و قد اشتبه ذلك على النساخ لعدم النقط فى السابق، و تقارب رسم الكلمتين).

و فى نص آخر أنه قال: (ذكرت قوما كانوا قبلكم، كتبوا كتبا فأكبوا عليها، و تركوا كتاب اللّه. و إني- و اللّه- لا أشوب كتاب اللّه بشى ء أبدا)

أو قال: لا كتاب مع كتاب اللّه.

و كتب إلى الأمصار: (من كان عنده شى ء منها فليمحه).

و مهما يكن من أمر فلقد بلغ من تشدّد الخليفه فى هذا الأمر: أنهم يذكرون فى ترجمه أبى هريره: أنهم ما كانوا يستطيعون أن يقولوا: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : حتى قبض عمر (۲).۱-

---

۱- المشناه: روايات شفويه، دونها اليهود، ثم شرحها علماؤهم. فسمى الشرح جمارا، ثم جمعوا بين الكتابين، فسمى مجموع الكتابين: (الأصل و الشرح)، المشناه و جمارا ب (التلمود).

۲- راجع ما تقدم، كلا أو بعضا فى المصادر التاليه: سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۶۰۱-

و بكلمه موجزه: إن سياسه عمر القاضيه بالمنع من روايه الحديث و من تدوينه تعتبر من البديهيات التاريخيه و من الواضحات، فلا حاجه إلى ذكر النصوص، و الإكثار من الشواهد.

بل قيل: إنه (يعنى عمر) ضرب من نسخ كتب دانيال، و أمره بمحوها (۱).۴.

۱- راجع: تقييد العلم ص ۵۱ و تاريخ عمر بن الخطاب ص ۱۴۵ و كنز العمال ج ۱ ص ۳۳۲/ ۳۳۳ و ۳۳۶ عن العديد من المصادر و المصنف للصنعانى ج ۶- ص ۱۱۴.

و ضرب الذی جاءه بکتاب وجده فی المدائن حینما فتحوها (۱).

و أما بالنسبه لأمره عمرو بن العاص بحرق مکتبه الإسکندریه (۲) و إتلاف کتب کثیره وجدوها فی بلاد فارس (۳). فقد شکک فیه الشهید العلامه المطهری (۴)، و إن کنا لا نوافقه علی کثیر مما قاله فی هذا المجال. و لبحث ذلک مجال آخر.

الصلیبیون و التراث العلمی الإسلامی:

و بالمناسبه فإننا نشیر إلی جریمه نکراء ارتکبها الصلیبیون الحاقدون ضد التراث العلمی للبشریه، حیث یذکر موندی فی تاریخه: أن ما أحرقه الأسبان من کتب قرطبه قد بلغ ملیونا و خمسین الف مجلد، عدا عما أتلفوهن.

۱- راجع: کنز العمال ج ۱ ص ۳۳۵.
۲- تاریخ الحکماء ص ۳۵۴- ۳۵۶ و تاریخ التمدن الإسلامی المجلد الثانی ص ۴۶ و ۴۸ و ۴۹ عن تاریخ مختصر الدول ط اکسفورد ط سنه ۱۶۶۳ لکن حذف ذلک من الطبعه الکاثولیکیه فی بیروت سنه ۱۹۵۸ م مع تصریحهم فی المقدمه بأنهم قد أکملوا ما نقص من طبعه أکسفورد بما حصلوا علیه من نسخ أخری. و راجع کتابنا: دراسه و بحوث فی التاریخ و الإسلام ج ۱ ص ۲۲. و الغدیر ج ۶ ص ۲۹۸ عن القفطی، و زیدان و عن الوفاء و الإعتبار ص ۲۸.
۳- و راجع: المقدمه لإبن خلدون ص ۴۸۰ و ۳۸ و راجع: کشف الظنون ج ۱ ص ۳۳. و الغدیر ج ۶ ص ۲۹۸ عن المصادر التالیه: کشف الظنون ج ۱ ص ۲۵ و ۴۴۶ و تاریخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزی ص ۱۰۷ و شرح النهج للمعتزلی ج ۳ ص ۱۲۲ و کنز العمال ج ۱ ص ۹۵.
۴- کتاب سوزی اسکندریه و إیران. و خدمات مقابل السلام و إیران.

مما عثروا علیه فی أقالیم الأندلس (۱).

أما ویلس، فیری: أنهم قد أحرقوا ملیون و خمسه آلاف مجلد فقط.

و فی وفیات الأسلاف: أن أسقف طلیطله قد أحرق من الکتب الإسلامیه ما ینوف علی ثمانین ألف کتاب. و أن الإفرنج لما تغلبوا علی غرناطه قد أحرقوا من الکتب النفیسه ما یتجاوز ملیون کتاب (۲).

(و قال بعض المؤرخین المصریین: إن الباقی من الکتب التی ألفها المسلمون لیس إلا نقطه من بحر مما أحرقه الصلیبیون، و التتر، و الأسبان) (۳).

و لما فتح الإفرنج طرابلس فی أثناء الحروب الصلیبیه أحرقوا مکتبتها بأمر الکونت برترام سنت جیل، و یقال: إنها کانت تحتوی علی ثلاثه ملایین مجلد (۴).

و أضاف جرجی زیدان: و فعل الأسبان نحو ذلک بمکتبات الأندلس لما استخرجوها من أیدی المسلمین فی أواخر القرن الخامس عشر (۵).

حجه عمر تصبح حدیثا نبویا!!:

و مهما یکن من أمر فإننا نلاحظ هنا: أن الکلمات التی استخدمها عمر بن الخطاب کمبرر أمام الناس لتنفیذ نوایاه تجاه حدیث رسولق.

۱- راجع: التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۴۵۳/ ۴۵۴.

۲- التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۴۵۴.

۳- التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۴۵۴/ ۴۵۵.

۴- راجع: تاریخ التمدن الإسلامی المجلد الثانی، جزء ۳ ص ۵۱.

۵- المصدر السابق.

اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، مثل قوله:

من کان عنده شی ء منها فلیمحه، قد أصبحت بعین ألفاظها تقریبا، و بنفس صیاغتها حدیثا ینسب إلی النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله)، فراجع و قارن (۱).

و هکذا بالنسبه لاستدلاله علی صحه ما أقدم علیه بأن الأمم السالفه قد ضلت بسبب عکوفها علی أقوال علمائها و ترکها کتاب اللّه (یعنی التوراه)!! فإنه قد أصبح هو الآخر حدیثا یروی عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، یقول أبو هریره فجمعناها فی صعید واحد، فألقیناها فی النار (۲).

و راجع أیضا ما رووه عن علی أمیر المؤمنین (علیه السّلام) فی هذا المجال (۳).

و قد نسی هؤلاء الوضاعون الأغبیاء: أن وجود حدیث من هذا القبیل عن الرسول صلی الله علیه و آله وسلم یسد الطریق علی عمر بن الخطاب للتفکیر فی کتابه السنن، و تجد الکثیرین یعترضون علیه حینما طلب منهم أن یأتوه بما۶.

۱- راجع و قارن مع کلمات عمر التقدمه ما رووه عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۵۰ و ۱۵۱ و مسند أحمد ج ۳ ص ۱۲ و ۲۱ و ۳۹ و ۵۶ و ج ۵ ص ۸۲ و تأویل مختلف الحدیث ص ۲۸۶ و الأسرار المرفوعه ص ۹ و مناهل العرفان ج ۱ ص ۳۶۱ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۴۸ و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۱۳۲ و علوم الحدیث لإبن الصلاح ص ۱۶۰ و الباعث الحثیث فی شرح اختصار علوم الحدیث (متنا و هامشا) ص ۱۳۲ و تقیید العلم ص ۲۹- ۳۴ و ۹۳ و صحیح مسلم ج ۸ ص ۲۲۹ و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۱۸. و راجع أیضا جمیع ما قدمناه من مصادر فی الصفحات السابقه.

۲- تقیید العلم ص ۳۴ و راجع ص ۳۳.

۳- جامع بیان العلم ج ۱ ص ۷۶.

كتبوه: بأن هذا يخالف أمر النبى صلى الله عليه و آله وسلم بمحو ما كتب.

كما أن حديثا كهذا يجعل وجود حديث مكتوب عند الصحابه أمرا متعذرا، إلا إذا فرض أنهم أو كثير منهم لا يأبهون لأوامر النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)، و لا لنواهيه.

أو يكون المقصود هو إظهار المنافقين الذين خالفوا أوامر النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى هذا الأمر. و إذا كان المنافقون هم أهل تلك الأحاديث المجموعه، فإن حديثهم لا قيمه له. كما أن المنافقين لا بد أن يلتفتوا إلى وجه الخدعه لهم، و لسوف لن يقروا على أنفسهم بأمر فيه إدانه و إهانه لهم.

التقليد و المحاكاه:

و نسجل هنا: أننا نجد: أن استدلال الخليفه الثانى لصحه ما أقدم أو يريد أن يقدم عليه، من المنع من كتابه و روايه حديث النبى صلى الله عليه و آله وسلم بما تقدم ذكره، قد صار هو الإستدلال التقليدى لكل الذين جاؤا بعد عمر، و حرصوا على العمل بسنته، و تنفيذ سياساته، فراجع النصوص التاريخيه المختلفه فيما يرتبط بهذه الناحيه (۱).

المنع من العمل بالسنه أيضا:

و لم يقتصر الأمر على المنع من روايه و كتابه حديث النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، بل تعدّاه إلى ما هو أهم و أكثر، و أدهى و أمرّ، و هو المنع عن العمل و الجرى على السنه النبويه الشريفه، حيث رأينا أن الخليفه يضرب الناس إذا رآهم يصلون بعد العصر (۲). و لما ضرب زيد بن خالد الجهنى لأجل ذلک،ه.

۱- راجع على سبيل المثال: تقييد العلم ص ۵۳- ۵۷ و راجع ص ۶۱.
۲- راجع: المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۴۲۹ و ۴۳۰ و ۴۳۲ و ۴۳۳ و راجع سائر المجاميع الحديثه و الروائيه لأهل السنه و الجماعه.

و قال له زيد: إنه لا يدعهما بعد إذ رأى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يصلّيهما، قال له عمر:

(لو لا أنى أخشى أن يتخذها الناس سلّما إلى الصلاه حتى الليل لم أضرب فيهما) (۱).

كما أن أبا أيوب الأنصارى كان يصلى قبل خلافه عمر ركعتين بعد العصر، فلما استخلف عمر تركهما، فلما توفى ركعهما.

فقيل له: ما هذا؟

فقال: إن عمر كان يضرب الناس عليهما (۲).

فإذا كان مثل أبى أيوب لا يجرؤ على العمل بما سنّه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فما ظنك بغيره من الناس العاديين، الذين ليس لهم ما لأبى أيوب من احترام و تقدير و مكانه لدى صحابه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم .

كما أننا لم نفهم ما هو المحذور فى أن يصلى الناس حتى الليل!! حتى جاز لعمر ضرب الناس لأجل ذلك!!

و أخيرا ... فقد روى: أن عمر قد همّ أن يمنع الناس عن كثره الطواف. و قال:

(خشيت أن يأنس الناس هذا البيت، فتزول هيبته من صدورهم) (۳).۴.

۱- المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۴۳۲ و مجمع الزوائد ج ۲ ص ۲۲۳ عن أحمد و الطبرانى، و عن كنز العمال ج ۴ رقم ۴۱۲۳ و ۴۷۸۴ و راجع مسند أحمد ج ۴ ص ۱۱۵.
۲- المصنف ج ۲ ص ۴۳۳ و فى هامشه عن كنز العمال و عن محمد بن نصر فى قيام الليل. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۱ ۶۵ المنع من العمل بالسنه أيضا: ..... ص : ۶۴
۳- تاريخ الخميس ج ۱ ص ۱۲۴.

أضف إلى ما تقدم أن الصحابی الجلیل، حذیفه بن الیمان یقول:

(ابتلینا حتی جعل الرجل منا لا یصلی إلا سرا) (۱).

و حذیفه إنما توفی فی أوائل خلافه علی (علیه السّلام)، بعد البیعه له (ع) بأربعین یوما، علی ما قیل.

و هو من القوّاد الکبار الذین کان الحکّام قبل علی (علیه السّلام) یعتمدون علیهم فی فتوحاتهم، و له مکانته المرموقه و دوره الکبیر فیما بین الشخصیات الفاعله فی النظام القائم.

فقوله المتقدم یدل علی أن الأجواء العامه کانت ضد المؤمنین، و أن السیطره کانت لأناس لا یهمّهم أمر الدین فی شی ء، بل کان المؤمنون یتعرضون للسخریه و الاستهزاء، تماما کما هو الحال بالنسبه لطغیان الفسّاق و الفجّار فی بعض البلاد الإسلامیه الیوم، مع عدم ظهور اهتمام من الحکام بردعهم و مکافحتهم، لأسباب مختلفه.

حبس کبار الصحابه فی المدینه:

و فی هذا الإتجاه بالذات یقدم الخلیفه الثانی علی خطوه أخری أیضا، و هی: أنه جمع الصحابه من الآفاق، و طالبهم بما أفشوه من حدیث رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، ثم أمرهم بالمقام عنده، و أن لا یفارقوه ما عاش، و منعهم من مغادره المدینه، فبقوا فیها إلی أن مات (۲).ن-

---

۱- صحیح مسلم ج ۱ ص ۹۱ و صحیح البخاری ج ۲ ص ۱۱۶.

۲- حیاه الصحابه ج ۳ ص ۲۷۳ و ۲۷۲ و ج ۲ ص ۴۰ و ۴۱. و یمکن الإستفاده فی هذا الأمر من المصادر التالیه: تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۴۲۶ حوادث سنه ۳۵ ه. و مروج الذهب ج ۲ ص ۳۲۱ و ۳۲۲ و مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۲۰ و ج ۱ ص ۱۱۰ و کنز العمال ج ۱۰ ص ۱۸۰ عن ابن-

و قد أضاف سببا آخر إلى إفشائهم حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فذكر أنه إنما يمنعهم من المشاركه فى الغزو؛ حتى لا يفسدوا عليه أصحاب محمد صلى الله عليه و آله وسلم (۱).

نعم ... لقد رووا عن الخليفه أنه فعل ذلك، رغم أنه هو نفسه يقول للناس- كما قيل- إنه إنما يرسل إليهم العمال؛ ليعلموهم دينهم و سنتهم (۲).

الخلف عن السلف:

و لم يقتصر الأمر فى المنع عن الحديث روايه و كتابه إلخ .. على زمان أبى بكر و عمر، فإن الذين جاؤا بعدهما من خلفاء بنى أميه، إبتداء من عثمان، ثم معاويه، فمن تلاه من الخلفاء: قد اتبعوا نفس الطريقه،م.

۱- مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۲۰ و أنوار الهدايه ص ۱۲۴ و حياه الصحابه ج ۲ ص ۴۰ و ۴۱ عن كنز العمال ج ۷ ص ۱۳۹ و عن الطبرى ج ۵ ص ۱۳۴.

۲- حياه الصحابه ج ۳ ص ۴۸۵ عن مجمع الزوائد ج ۵ ص ۲۱۱ و عن مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۴۳۹ و عن كنز العمال ج ۸ ص ۲۰۹ و عن أحمد، و ابن سعد، و مسدّد، و ابن خزيمه، و البيهقى و غيرهم.

و ساروا على نفس النهج، فى المنع عن الحديث إلا حديثا كان على عهد عمر (۱).

و أصبحت كتابه الحديث عيبا عند الناس، كما عن أبى المليح (۲).

بل لقد رووا عن ابن الحنفيه أنه قال: (إياكم و هذه الأحاديث، فإنها عيب عليكم، و عليكم بكتاب اللّه إلخ ...) (۳).

لا قرآن، و لا سنه:

و لكن و رغم توصيه ابن الحنفيه الآنفه بكتاب اللّه و قبل و فوق ذلك وصايا النبى صلى الله عليه و آله وسلم و الوصى (ع) به أيضا، و رغم أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يعلّم أصحابه الآيات من القرآن، و يوقفهم على ما فيها من علم و عمل، و ما فيها من حلال و حرام، و ما ينبغى أن يقف عنده (۴).

ثم ما روى عنه صلى الله عليه و آله وسلم من أنه قال: تعلموا القرآن، و التمسوا غرائبه.

و غرائبه فرائضه، و فرائضه حدوده، و حدوده حلال و حرام، و محكم و متشابه إلخ .. (۵).ى.

۱- راجع: الطبقات الكبرى لإبن سعد ج ۳ قسم ۱ ص ۲۰۶ و ج ۲ ص ۳۳۶ و مسند أحمد ج ۴ ص ۹۹ و تذكره الحفاظ ج ۱ ص ۷ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۷۹ و ۱۸۲ عن ابن عساكر، و ابن سعد و أضواء على السنه المحمديه ص ۴۷ عن جامع بيان العلم ج ۱ ص ۶۴ و ۶۵ و راجع: الغدير ج ۱۰ ص ۳۵۱ و شرف أصحاب الحديث ص ۱.
۲- راجع: التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۲۴۹.
۳- طبقات ابن سعد ج ۵ ص ۷۰.
۴- راجع: التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۲۷۹ عن أحمد، و طبقات ابن سعد و الطبرانى فى الأوسط، و الهيثمى و صححه.
۵- التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۲۷۹ عن الجامع الكبير عن الديلمى.

و ما روی عن عمر أنه قال حین وفاه النبی صلی الله علیه و آله وسلم : حسبنا کتاب اللّه- کما تقدم- ثم مبادرته حین تولّیه الخلافه إلی المنع من تدوین الحدیث و روایته، و إلخ ..

نعم رغم ذلک کله، فإننا لا نجد لدی رواد هذه السیاسه کبیر اهتمام بالقرآن، و تعلیمه، و تفسیره للناس، بل نجد عکس ذلک تماما، فإن عمر بن الخطاب نفسه کان یمنع الناس من السؤال عن معانی القرآن، و یضرب و یعاقب من یسأل عن شی ء منه، و ما فعله بصبیغ حیث ضربه ماءه ثم مئه حتی اضطربت الدماء فی ظهره و فی رأسه، و منع الناس من الکلام معه، و من مجالسته، فمکث حولا علی ذلک حتی أصابه الجهد، و لم یزل وضیعا فی قومه حتی هلک، و کان سید قومه (۱).

و قد بقی ابن عباس سنه کامله أو سنتین لا یجرؤ علی سؤال عمر عن آیه فی کتاب اللّه (۲)، رغم ما کان له من المکانه عنده.۶.

۱- راجع فی ذلک و غیره: تاریخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزی ص ۱۴۶- ۱۴۸ و راجع: کشف الأستار عن مسند البزار ج ۳ ص ۷۰ و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۱۱۳ و حیاه الصحابه ج ۳ ص ۲۵۸ و ۲۵۹ و الغدیر ج ۶ ص ۲۹۰- ۲۹۳ عن المصادر التالیه: إحیاء علوم الدین ج ۱ ص ۳۰ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۵۴ و ۵۵ و تهذیب تاریخ دمشق ج ۶ ص ۳۸۴ و تفسیر ابن کثیر ج ۴ ص ۲۳۲ و الإتقان ج ۲ ص ۵ و کنز العمال ج ۱ ص ۲۲۸ و ۲۲۹ عن نصر المقدسی، و الأصبهانی، و ابن الأنباری، و اللالکائی و غیرهم. و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۱۱ و ۳۲۱ و فتح الباری ج ۸ ص ۱۷ و ج ۱۳ ص ۲۳۰ و الفتوحات الإسلامیه ج ۲ ص ۴۴۵.

۲- راجع: البخاری ط سنه ۱۳۰۹ ه. ج ۳ ص ۱۳۳ فی موضعین و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۷۷ و تاریخ عمر ص ۱۵۷ و الغدیر ج ۶ ص ۲۹۲ و ۲۹۳ عن کتاب العلم لأبی عمر ص ۵۶.

قراءه القرآن أيضا مرفوضه:

بـل إن عمر كـان لاـ يرغب فی كثره القرّاء للقرآن أيضا، فقـد كتب إليه أبو موسـی بعـده ناس قرأوا القرآن، فحمـد اللّه عمر. ثم كتب إليه فی العام القابل بعده هی أكثر من العدّه الأولی، ثم كتب إليه فی العام الثالث.

فكتب إليه عمر يحمد اللّه علی ذلك، و قال: إن بنی إسرائيل إنما هلكت حينما كثرت قراؤهم (۱).

و نلاحظ: أن هذه العباره الأخيره هی من سنخ استدلاله للمنع من كتابه الحديث!! فاقرأ، و اعجب بعد هذا ما بدا لك!!

هـذا .. و من المفارقـات هنـا: أن نری هـذا الخليفه بالـذات يسـمح لكعب الأحبار أن يقرأ التوراه آناء الليل و أطراف النهار، كما سنری!!

الدقه فی التنفيذ:

و قـد كـان للإهتمـام الـذی أولاه الحكام للمنع من روايه الحـديث و كتابته، و مالمسه الناس من جـدّيه و إصـرار فی تنفيـذ هـذه السـياسه، و متابعه فصولها بـدقه و حزم من قبل شـخص الخليفه الثانی، الـذی كان قوله و رأيه فی العرب نافذا و مقبولا- قد كان لذلك تأثيرات سـريعه و حاسـمه، علی صـعيد الإلتزام التام بالتعليمات الصادره لهم فی هذا الخصوص؛ فهذا أبو موسی الأشعری (و كـذلك أنس بن مالك (۲)) بمجرد أن أحسّ أن عمر يفكر فی أمر مّـا فی هـذا الإتجـاه، يمسك عن الحـديث حتی يعلم ما أحدثه عمر.

و لنا أن نظن ظنا قويا: أنهما كانا علی علم مسبق بما كان الخليفه۲.

۱- كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۶۱ و ۱۶۲.

۲- راجع: مسند أحمد بن حنبل ج ۴ ص ۳۹۳ و ۳۷۲.

قد عقد العزم علیه فی هذا الصدد، و أراد ترویض الناس علی قبول ذلک، و الإلتزام به.

بل لقد بلغ بهم التحاشی عن حدیث رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم حدّا مثیرا للدهشه، حتی إن عبد اللّه بن مسعود- و هو الصحابی المعروف- کانت تأتی علیه السّنه لا یحدث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم بشی ء (۱).

بل لقد قال عمرو بن میمون: (صحبت عبد اللّه بن مسعود سنین فما سمعته یروی حدیثا إلا مره واحده) ثم ذکر الحدیث الذی رواه (۲).

و یقول الشعبی: (قعدت مع ابن عمر سنتین، أو سنه و نصفا، فما سمعته یحدث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم إلا حدیثا.

أو قال: جالست ابن عمر سنتین فما سمعته یحدث عن رسول اللّه شیئا (۳).

و کان زید بن أرقم إذا طلبوا منه أن یحدثهم یزعم أنه کبر و نسی (۴).

و قال عمرو بن میمون الأودی:

(کنا جلوسا بالکوفه، فجاء رجل و معه کتاب، فقلنا: ما هذا؟؟.

۱- راجع: صفه الصفوه ج ۱ ص ۴۰۵ و الطبقات الکبری لإبن سعد ج ۳ ص ۱۵۶ ط صادر و فی ط لیدن ج ۳ قسم ۱ ص ۱۱۰/ ۱۱۱ و المستدرک علی الصحیحین ج ۳ ص ۳۱۴ و تلخیص المستدرک للذهبی (مطبوع بهامشه) نفس الصفحه، و حیاه الصحابه ج ۳ ص ۲۷۱ و حیاه الشعر فی الکوفه ص ۲۵۳.
۲- أصول السرخسی ج ۱ ص ۳۴۲.
۳- راجع: سنن الدارمی ج ۱ ص ۸۴ و مسند أحمد بن حنبل ج ۲ ص ۱۵۷ و سنن ابن ماجه ج ۱ ص ۱۵ و حیاه الصحابه ج ۳ ص ۲۷۱ و الغدیر للعلامه الأمینی ج ۱۰ ص ۶۵ و ج ۶ ص ۲۹۴.
۴- مسند أحمد بن حنبل ج ۴ ص ۳۷۰ و ۳۷۱ و ۳۷۲.

قال: كتاب دانيال.

فلو لا أن الناس تحاجزوا عنه لقتل. و قالوا: كتاب سوى القرآن؟!) (۱).

و كيف لا يقتله الناس، و هو قد خالف سنّه عمر فى حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و تجاوز سياساته تجاهه؟! فإنه و لا شك قد ارتكب جريمه نكراء!! و جاء ببدعه صلعاء!!.

ثم إننا لا ندرى ماذا كان يوجد فى ذلك الكتاب المنسوب الى دانيال النبى عليه السلام. و لعل الذين اعترضوا على هذا الكتاب كانوا لا يعرفون شيئا عن مضمون ذلك أيضا.

إلى متى؟!:

هذا، و قد استمر المنع من روايه الحديث و تدوينه سارى المفعول- بصوره أو بأخرى- إلى زمن الخليفه الأموى عمر بن عبد العزيز، الذى تولى الخلافه فى مطلع القرن الثانى (فى صفر سنه ۹۹ ه) لفتره و جيزه انتهت بموته فى رجب سنه ۱۰۱ ه.

فقد أظهر عمر بن عبد العزيز هذا رغبه فى جمع الحديث، فأمر محمد بن عمرو بن حزم بأن يكتب له حديث النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، أو سنه ماضيه، أو حديث عمره بنت عبد الرحمان (۲).

و مراده بالسنه الماضيه هى سنّه أبى بكر، و عمر، و عثمان، كما٠.

۱- تقييد العلم ص ۵۷ و فى هامشه عن: ذم الكلام للهروى ص ۲۷.
۲- راجع: تقييد العلم ص ۱۰۵ و ۱۰۶ و تدريب الراوى ج ۱ ص ۹۰ عن البخارى فى أبواب العلم. و راجع: ذكر أخبار أصبهان، و طبقات ابن سعد ج ۲ قسم ۲ ص ۱۳۴ و ج ۸ ص ۳۵۳ ط ليدن و العراق فى العصر الأموى ص ۱۵۰.

سنشير إليه. و إنما أراد حديث عمر لأجل الوصول الى حديث عائشه كما هو معلوم، و لا ندرى: إن كان طلب الخليفه هذا قد نفّذ أو لا. و لكن الزهرى المتوفى سنه ۱۲۴ ه. قد كتب له طائفه من الروايات، فأرسل إلى كل بلد دفترا من دفاتره التى كتبها له.

و قد كانت هذه المحاوله أيضا ضعيفه و محدوده جدا، (۱) و لا تستطيع أن تعيد لحديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم دوره و حيويته فى الناس كما هو واضح.

و رووا أيضا: أن أبا الزناد كتب سنن الحج لهشام بن عبد الملك، و ذلك فى سنه ۱۰۶ ه. (۲) لكن ليس ثمه ما يدل على أن ذلك قد وصل إلى أيدى الناس، و تداولوه.

بل إن ما كتبه الزهرى لم نجد له أثرا ملموسا فيما بين أيدينا من تراث مكتوب ليمكننا تقييمه و الحكم عليه.

و مهما يكن من أمر، فإن من المؤكد: مفعول المنع من تدوين الحديث قد انتهى فى أواسط القرن الثانى، و أن الحركه الواسعه لتدوين الحديث قد بدأت فى أواسط القرن الثانى للهجره، على يد ابن جريج،٠.

۱- راجع: السنه قبل التدوين ص ۳۶۴ و ۳۳۲ و جامع بيان العلم ج ۱ ص ۷۶ و ۹۱ و ۵۰ و ۸۸ و ۹۲ و الطبقات الكبرى لإبن سعد ج ۷ ص ۴۴۷ و المصنف للصنعانى ج ۹ ص ۳۳۷ و سنن الدارمى ج ۱ ص ۱۲۶ و حليه الأولياء ج ۳ ص ۳۶۳ و تدريب الراوى ج ۱ ص ۹۰ و ذكر أخبار أصبهان ج ۱ ص ۳۱۲ و تاريخ الخلفاء ص ۲۶۱ و تذكره الحفاظ ج ۱ ص ۱۶۹ و ۱۷۰ و ۲۰۳ و تحفه الأحوذى (المقدمه) ج ۱ ص ۳۳ و ۴۰ و راجع: صحيح البخارى ط سنه ۱۳۰۹ ه. ج ۱ ص ۱۹ و الخطط للمقريزى ج ۲ ص ۳۳۳ و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص ۲۲۶ و ۲۲۷.

۲- الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۸۰ و الكامل فى التاريخ ج ۵ ص ۱۳۰.

و مالک بن أنس، و الربیع بن صبیح، و الثوری، و الأوزاعی، و غیرهم (۱).

و أما البدایات الضعیفه و المحدوده لکتابه الحدیث، فقد حصلت قبل ذلک، لکنها کانت محکومه للظروف العامه، و الخوف من التعرض إلی الأذی بسبب ذلک. و لم یصل إلینا و لا إلی الناس من ذلک إلا النزر القلیل، الذی لا یسمن و لا یغنی من جوع.ل.

۱- راجع: بحوث فی تاریخ السنه المشرفه. و السنه قبل التدوین ص ۳۳۷ و راجع: الجرح و التعدیل ج ۱ ص ۱۸۴ و تدریب الراوی ج ۱ ص ۱۸۹ و الخطط للمقریزی ج ۲ ص ۳۳۳ و تاریخ الخلفاء ص ۲۶۱ و تذکره الحفاظ ج ۱ ص ۱۷۰ و ۱۶۹ و ۱۶۰ و ۱۹۱ و ۲۰۳ و فتح الباری (المقدمه) ص ۴ و ۵ و کشف الظنون ج ۱ ص ۲۳۷ و النجوم الزاهره ج ۱ ص ۳۵۱ و تحفه الأحوذی المقدمه ج ۱ ص ۲۵ و ۲۶ و ۲۸ ففی کل ذلک و فی غیره تجد ما یفید فی هذا المجال.

الفصل الثالث: أين؟ و ما هو البديل؟!

اشاره

من الذی یفتی الناس؟!

و بعد ما تقدم، فقد کان لا بد للناس، الذین یدینون بهذا الدین، و یریدون أن یطبقوا أحکامه و شرائعه علی حرکاتهم و سلوکهم و مواقفهم- لا- بد لهم- من مرجع یرجعون إلیه، لیفتیهم فی أمور دینهم، و یبیّن لهم أحکامه، من دون أن یتعرض لروایه عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، لا من قریب، و لا من بعید.

و بدیهی، أنه لا یمکن السماح لکل الناس بالتصدی للفتوی؛ لأن ذلک یحمل معه مخاطر کبیره و خطیره، و یجعل السلطه فی مواجهه مشاکل صعبه، و یضعها أمام إحراجات لا طاقه لها بها. و ذلک حینما تتعارض فتاواهم و تتناقض. أو حینما تصدر عن بعض الناس فتاوی قد یعتبرها الحکام و من یدور فی فلکهم مضرّه فی مصالحهم فی الحکم، أو فی غیره.

و هذا الأمر یحمل معه أجواء الإستدلال و الإحتجاج، و التأیید و الرّد، ثمّ الإدانه، و تسفیه الأراء.

و معنی ذلک هو:

العوده إلی طرح النصوص القرآنیه، و الکلمات و المواقف النبویه،

كوسائل اقناع و احتجاج، فيكون ما فرّوا منه قد عادوا فوقعوا فيه.

مع ما فى ذلك من إضعاف لمواقع و لرموز لا تريد لها السلطه أن تضعف، بأيه صوره كانت. و يأتى إضعافها و ضعفها بإتضاح أنها فى درجه أدنى من حيث المعرفه و العلم بالقرآن و السنه، و أحكام الدين، و تعاليم الشريعه.

ثمّ هو يتسبب بالإحساس بالغبن، و بالمظلوميه بالنسبه لأولئك الذين يملكون المؤهلات الحقيقيه للفتوى، حين يكون التعامل معهم، و الموقف منهم، و من كل ما يقدمونه من علم صحيح و نافع لا يختلف عن الموقف مما يقدمه أولئك الجهله الأغبياء، الذين لا يملكون من التقوى ما يمنعهم عن الإفتاء بغير علم و لا هدى، و لا كتاب منير.

أضف إلى ذلك: أن هذا من شأنه أن يضعف الثقه بالسلطه، التى انتهجت هذه السياسه، و شجّعت هذا الإتجاه.

هذا كله، عدا عن أن الحكم يريد أن يتبنى اتجاها فكريا خاصا و متميزا، يخدم أهدافه الخاصه و العامه. و يريد أن يزرع فى الناس مفاهيم، و يحملهم على اعتقادات، و يلزمهم بأحكام لا يدع لهم مناصا من الإلتزام بها، و الجرى عليها و تبنّيها، فى مختلف الظروف و الأحوال. و لن يكون ذلك ميسورا له فى ظل هذه الحريه فى الفتوى، و فى الإستدلال عليها.

حصر الفتوى فى نوعين من الناس:

اشاره

و لأجل ذلك، فقد كان من الطبيعى أن لا يسمحوا بالفتوى إلا لنوعين من الناس.

الأول: الأمراء، و ذلك فى الأمور الحسّاسه، فيما يبدو.

الثانى: أشخاص بأعيانهم، يمكنهم تسويق فكر السلطه، بصوره أو

بأخرى.

و لأجل توضيح ذلک فإنّنا نشیر إلى كلا النوعین باختصار، فنقول:

أولا: الأمراء:

أما بالنسبه للأمراء؛ فإنّنا نقرأ فی التاریخ: أن عمر بن الخطاب قد أنكر على بعضهم بقوله:

(كیف تفتی الناس، ولست بأمیر؟! ولی حارّها من ولی قارّها) (۱).

و كان ابن عمر إذا سئل عن الفتوى قال: إذهب إلى هذا الأمیر، الذی تقلّد أمور الناس، و وضعها فی عنقه (۲).

و قد امتنع ابن عمر عن إفتاء سعید بن جبیر، و قال: یقول فی ذلک الأمراء (۳).

و قد أطلقوا على الفتوى إسم (صوافی الأمراء).

فعن المسیّب بن رافع قال: كان إذا ورد الشی ء من القضاء، و لیس فی الكتاب، و لا فی السنّه، سمی (صوافی الأمراء)؛ فدفع إلیهم إلخ ...۴.

۱- راجع: جامع بیان العلم ج ۲ ص ۱۷۵ و ۲۰۳ و ۱۹۴ و ۱۷۴ و منتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج ۴ ص ۶۲ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۶۱ و الطبقات الكبرى لإبن سعد ج ۶ ص ۱۷۹ و ۲۵۸ و المصنف للصنعانی ج ۸ ص ۳۰۱ و ج ۱۱ ص ۳۲۸ و راجع ص ۲۳۱ و أخبار القضاه لوكیع ج ۱ ص ۸۳ و تهذیب تاریخ دمشق ج ۱ ص ۵۴ و راجع: حیاه الصحابه ج ۳ ص ۲۸۶ و كنز العمال ج ۱ ص ۱۸۵ و راجع ص ۱۸۹ عن عبد الرزاق، و ابن عساكر، و ابن عبد البر، و الدینوری فی المجالسه.

۲- التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۶۷.

۳- الطبقات الكبرى لإبن سعد ج ۶ ص ۱۷۴.

و روی هشام بن عروه عن أبیه: أنه ربما سئل عن الشی ء فیقول:

هذا من خالص السلطان.

و عن ابن هرمز: أدرکت أهل المدینه، و ما فیها الکتاب و السنّه.

و الأمر ینزل، فینظر فیه السلطان (۱).

و زید بن ثابت یکتب لمعاویه فی الجد: ذلک مما لم یکن یقضی فیه إلا الأمراء (۲).

ثانیا: المسموح لهم بالفتوی من غیر الأمراء:

اشاره

و أما بالنسبه للأشخاص المسموح لهم بالفتوی: فإنما سمحوا بالفتوی بل و بالروایه أیضا لأشخاص رأوا: أن لدیهم من المؤهلات ما یکفی للإعتماد علیهم، و یطمئن لإلتزامهم بالخط المعین، و المرسوم، بصوره مقبوله و معقوله.

أما من وجدوه غیر قادر علی ذلک، فقد استبعدوه، حتی و إن کان منسجما معهم، فی خطه السیاسی، أو فی طریقه تفکیره، و أسلوب حیاته. و نذکر من هؤلاء:

۱- عائشه:

فإننا نجد مروان بن الحکم یحاول التأکید علی الدور الأساس لأم المؤمنین عائشه فی هذا المجال؛ فهو یقول:۸.

۱- جامع بیان العلم ج ۲ ص ۱۷۴.

۲- بحوث مع أهل السنه و السلفیه ص ۲۳۸.

(كيف يسأل أحد و فينا أزواج نبينا و أمهاتنا) (١).

و إنما قلنا: إنه يقصد خصوص عائشه فی كلامه هذا، لأنها هی التی كانت تتصدی للروايه و الفتوی من بين أمهات المؤمنين بصوره رئيسيه، و هی بنت الخليفه الأول أبی بكر، و مدلّله الخليفه الثانی عمر بن الخطاب، و لم يعرف عن أی من نساء النبی صلی الله عليه و آله وسلم سواها: أنهن تصدين للروايه و الفتوی إلا فی حالات قليله جدا، و كانت أم سلمه تتصدی لروايه شی ء عن النبی صلی الله عليه و آله وسلم لم يكن يعجب أمثال مروان، و لا كان يروق لهم كثيرا.

و قد كانت عائشه تفتی علی عهد عمر، و عثمان، و إلی أن ماتت.

و كان هذان الخليفتان يرسلان إليها فيسألانها عن السنن (٢).

و فی نص آخر: كانت عائشه قد استقلت بالفتوی فی خلافه أبی بكر، و عمر، و عثمان، و هلم جرّا، إلی أن ماتت (٣).

منافسون لعائشه:

و نجد من بعض الطموحين من الشباب الذين تهتم السلطه بإعطائهم دورا من نوع ما، تشكيكا بل و رفضا لما تدعيه عائشه و محبوها من علم و اطلاع كامل علی أحوال رسول اللّه صلی الله عليه و آله وسلم و أوضاعه، فهذا زيد بن ثابت يقول:٩.

١- المصنف للصنعانی ج ١ ص ١۶۶ و راجع: كشف الأستار عن مسند البزار ج ٢ ص ١٩۶ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ٣٢۴.

٢- حياه الصحابه ج ٣ ص ٢٩٨ عن الطبقات الكبری ج ۴ ص ١٨٩.

٣- حياه الصحابه ج ٣ ص ٢٨٨/ ٢٨٩ عن الطبقات الكبری لإبن سعد ج ۴ ص ١٨٩.

(نحن أعلم برسول اللّه من عائشه) (۱).

كما أن عائشه نفسها كانت لا ترتاح إذا رأت للآخرين دورا فاعلا فی نطاق الفتوی و الروایه، و لعل هذا هو ما یفسر لنا شکواها لإبن اختها عروه بن الزبیر من أن أبا هریره الذی کان یحاول إثارتها بجلوسه إلی جانب حجرتها، لیحدّث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، قالت عائشه لعروه:

ألا یعجبک أبو هریره!! جاء فجلس إلی جانب حجرتی یحدث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، یسمعنی ذلک!! و کنت أسبح، فقام قبل أن أقضی سبحتی، لو جلس حتی أقضی سبحتی لرددت علیه إلخ ... (۲).

۲- زید بن ثابت:

و ممن کان یسمح له بالفتوی أیضا: زید بن ثابت، و کان مترئسا بالمدینه فی القضاء، و الفتوی، و القراءه، و الفرائض فی عهد عمر، و عثمان (۳)

و نری أن ذلک یرجع إلی موقفه السلبی من علی أمیر المؤمنین (علیه السلام)، ثم إلی دوره فی تقویه سلطان الحکم القائم، کما سیأتی إن شاء اللّه تعالی فی هذا الکتاب، حین الحدیث عن تعلّم زید للغه۵.

۱- مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ۵ ص ۱۸۵.
۲- مسند أحمد ج ۶ ص ۱۵۷ و راجع: صحیح مسلم ج ۸ ص ۲۲۹ و فتح الباری ج ۷ ص ۳۹۰ و سیر أعلام النبلاء ج ۲ ص ۶۰۷ عن مسلم و عن أبی داود رقم ۳۶۵۵ و اختصره الترمذی برقم ۳۶۴۳ و عن البخاری فی المناقب ج ۶ ص ۴۲۲ و السنه قبل التدوین ص ۴۶۲ عن الإجابه لإیراد ما استدرکته عائشه علی الصحابه ص ۱۳۵ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۷۰۵ عن البخاری، و أحمد، و أبی داود.
۳- حیاه الصحابه ج ۳ ص ۲۸۸ عن الطبقات الکبری لإبن سعد ج ۴ ص ۱۷۵.

العبرانیه، بعد الحدیث عن غزوه حمراء الأسد.

۳- عبد الرحمان بن عوف:

(کان عبد الرحمان بن عوف ممن یفتی فی عهد رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و أبی بکر، و عمر، و عثمان بما سمع من النبی صلی الله علیه و آله وسلم) (۱).

و موقف ابن عوف من علی فی قضیه الشوری، و صرفه الأمر عن علی (علیه السلام) إلی عثمان بطریقه ذکیه و مدروسه، معروف، و لا یحتاج إلی مزید بیان.

۴- أبو موسی الأشعری:

و کان أبو موسی الأشعری- کما یقولون- لا یزال یفتی بما أمره النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی زمن أبی بکر، ثم فی زمن عمر، فبینما هو قائم عند الحجر یفتی الناس بما أمره رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ؛ إذ جاءه رجل فسارّه:

أن لا تعجل بفتیاک، فإن أمیر المؤمنین قد أحدث فی المناسک شیئا.

فطلب أبو موسی حینئذ من الناس: أن یأتمّوا بعمر، و یترکوا ما کان یفتیهم به.

ثم سأل الخلیفه عن الأمر؛ فحققه له (۲).

فأبو موسی إذن، کان یری: أن سنّه عمر مقدمه علی ما سنّه اللّه۳.

۱- حیاه الصحابه ج ۳ ص ۲۸۷ عن الطبقات الکبری لإبن سعد کاتب الواقدی، و عن منتخب کنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج ۵ ص ۷۷.

۲- راجع: مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ۴ ص ۳۹۳.

و رسوله الذی لا ینطق عن الهوی، إن هو إلا وحی یوحی!!.

و لعله یستند فی ذلک إلی ما رووه عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم من أنه قال:

لو لم أبعث فیکم لبعث عمر!!.

أو إنه قال: انه ما أبطأ عنه صلی الله علیه و آله وسلم الوحی إلا ظن أنه نزل فی آل الخطاب!!.

و غیر ذلک مما اختلقته ید السیاسه، و زینه لهم الحب الأعمی (۱).

۵- السماح لأبی هریره بعد المنع:

قال أبو هریره: (بلغ عمر حدیثی، فأرسل إلیّ؛ فقال: کنت معنا یوم کنا مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی بیت فلان؟

قال: قلت: نعم، و قد علمت لم تسألنی عن ذلک!!.

قال: و لم سألتک؟

قلت: إن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم قال یومئذ: من کذب علیّ متعمدا فلیتبوأ مقعده من النار.

قال: أما إذن، فاذهب فحدث) (۲).

و من المعلوم: أن عمر کان قد منع أبا هریره من التحدیث (۳)، و لکنه لما بلغه حدیثه، و أعجبه أرسل إلیه، و أبلغه سماحه له بالتحدیث، کما۶.

۱- راجع: کتاب الغدیر للعلامه الأمینی رحمه اللّه.
۲- البدایه و النهایه ج ۸ ص ۱۰۷ و راجع: سیر أعلام النبلاء ج ۲ ص ۶۰۳ و السنه قبل التدوین ص ۴۵۸.
۳- راجع: سیر أعلام النبلاء ج ۲ ص ۶۰۰/ ۶۰۱ و ۶۰۲/ ۶۰۳ و البدایه و النهایه ج ۸ ص ۱۰۶.

تری!!.

و لا بد لنا من أن نتساءل عن تلك الخصوصيات التی لو اشتمل عليها الحديث لأعجب الخليفه، و يكافی ء من يأتی بها بالسماح بما هو ممنوع علی من سواه، من جلّه أصحاب رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله)!!

محاوله فاشله لهم مع علی «عليه السلام»:

و قد بذلت محاوله لفرض الرأی فی مجال الفتوی، و العمل بالسنه علی علی أمير المؤمنين (عليه السلام)، فوجدوا منه الموقف الحازم، و الحاسم؛ فكان التراجع منهم و الإعتذار.

فقد روی العياشی عن عبد اللّه بن علی الحلبی، عن أبی جعفر، و أبی عبد اللّه (عليهما السلام)، قال:

حج عمر أول سنه حج، و هو خليفه، فحج تلك السنه المهاجرون و الأنصار و كان علی قد حج فی تلك السنه بالحسن و الحسين (عليهما السلام)، و بعبد اللّه بن جعفر، قال: فلما أحرم عبد اللّه لبس إزارا ورداء ممشّقين- مصبوغين بطين المشق- ثم أتی، فنظر إليه عمر، و هو يلبی، و عليه الإزار و الرداء، و هو يسير إلی جنب علی (عليه السلام)، فقال عمر من خلفهم:

ما هذه البدعه التی فی الحرم؟

فالتفت إليه علی (عليه السلام)، فقال له: يا عمر، لا ينبغی لأحد أن يعلمنا السنّه!

فقال عمر: صدقت يا أبا الحسن. لا و اللّه، ما علمت أنكم هم (۱).۹.

۱- تفسير العياشی ج ۲ ص ۳۸ و البحار ج ۹۶ ص ۱۴۲ و تفسير البرهان ج ۲ ص ۴۹.

من له الفتوى بعد عهد الخلفاء الثلاثه:

و إذا استثنينا الفتره التى تولّى فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) شؤون المسلمين، فإن الذين تصدّوا للفتوى بعد ذلك العهد ما كانوا من الشخصيات الطليعيه فى المجتمع الإسلامى، بل إن بعضهم لا يعدّ حتى من أهل الدرجه الثانيه أو الثالثه.

و بعض هؤلاء أو كلهم لم يكن يسمح لهم بالفتوى فى عهد الخلفاء الثلاثه: أبى بكر، و عمر، و عثمان.

يقول زياد بن ميناء:

(... كان ابن عباس، و ابن عمر، و أبو سعيد الخدرى، و أبو هريره، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و جابر بن عبد اللّه، و رافع بن خديج، و سلمه بن الأكوع، و أبو واقد الليثى، و عبد اللّه بن بحينه، مع أشباه لهم من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يفتون بالمدينه، و يحدثون عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، من لدن توفى عثمان إلى أن توفّوا.

و الذين صارت إليهم الفتوى منهم: ابن عباس، و ابن عمر، و أبو هريره، و جابر بن عبد اللّه) (۱).

حظر الروايه على ابن عمر، و ابن عمرو:

و لا بد لنا هنا من تسجيل تحفّظ على ما ذكره زياد بن ميناء بالنسبه لكل من عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص.۲.

۱- حياه الصحابه ج ۳ ص ۲۸۸ عن الطبقات الكبرى ج ۴ ص ۱۸۷ و راجع: سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۶۰۶/ ۶۰۷ و فى هامشه أشار إلى طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۳۷۲.

فأما بالنسبه إلى ابن عمر فقد رووا: أن معاويه قال له:

(لئن بلغنى أنك تحدث لأضربن عنقك) (١).

و أما بالنسبه لعبد اللّه بن عمرو بن العاص؛ فإنما كان يسمح له بالروايه و الفتوى قبل حرب صفّين- على ما يظهر- ثم منعه معاويه من الروايه بعدها. و قد استمر هذا المنع إلى عهد يزيد بن معاويه أيضا (٢).

أسباب المنع:

أما عن أسباب منعهما من الروايه فإنّنا نقول:

أما عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، فإنه كان يروى أحاديث رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى معاويه، كقوله صلى الله عليه و آله وسلم عنه: لا أشبع اللّه بطنه.

و قوله صلى الله عليه و آله وسلم عنه. و عن أبيه، و أخيه: اللهم العن القائد، و السائق، و الراكب.

و قوله صلى الله عليه و آله وسلم : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت حين يموت، و هو على غير سنّتى. فطلع معاويه.

و أن تابوت معاويه فى النار فوق تابوت فرعون.

و قوله صلى الله عليه و آله وسلم : يموت معاويه على غير الإسلام (٣).ك.

١- صفين للمنقرى ص ٢٢٠ و راجع: قاموس الرجال ج ٩ ص ١٧ و الغدير ج ١٠ ص ٣٥٢.

٢- راجع: مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ١٦٧ و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير و الحديث ص ١٥١ و الغدير ج ١٠ ص ٣٥٢.

٣- راجع ما تقدم فى: صفين للمنقرى ص ٢١٧- ٢٢٠ و فى قاموس الرجال، ترجمه معاويه، و راجع الغدير للعلامه الأمينى، و غير ذلك.

و أما عبد اللّه بن عمرو بن العاص، فإنه قد أحرج معاويه فى صفّين بحديث قتل الفئه الباغيه لعمّار.

و بحديث: أنه سيكون ملک من قحطان.

فقال معاويه لابيه، عمرو: ألا تغنى عنّا مجنونک؟ (١).

شواهد أخرى:

و من الشواهد على أن الحكام كانوا يواجهون كل من روى حديثا يضرّ بحكومتهم و سياساتهم بصرامه و قسوه ما ذكروه عن الخليفه المهدى العباسى، من أنه أمر بقتل رجل لروايته حديثا رأى المهدى أنه يضرّ فى حكمه و سلطانه، ثم لما عرف أن ذلک الراوى إنما يرويه عن الأعمش، قال:

(و يلى عليه، لو عرفت مكان قبره لأخرجته، فأحرقته بالنار) (٢).

و سأل سعيد بن سفيان القارى عثمان بن عفان عن مسأله، فقال:

فهل سألت أحدا قبلى؟!

فقلت: لا.٩.

١- راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودى) ج ٢ ص ٣١٢/ ٣١٣ و راجع: ٣١٧ و الجزء الأول (قسم سيره النبى صلى الله عليه و آله وسلم) ص ١٦٨ و راجع ص ١٦٩ و الطبقات الكبرى لإبن سعد ج ٣ ص ٢٥٣ ط صادر و نقله المحمودى فى تعليقاته على أنساب الأشراف عن ابن أبى شيبه. و راجع: تذكره الخواص ص ٩٣ و الفتوح لإبن أعثم ج ٣ ص ٢٦٨. و راجع: تاريخ الأمم و الملوک ج ۵ ص ۴١ ط دار المعارف. و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص ١۵٠.

٢- روضه العقلاء لإبن حبان ص ١۵٩.

قال: لئن استفتيت أحدا قبلى، فأفتاك غير الذى أفتيتك به ضربت عنقه إلخ ... (١).

أضف إلى ما تقدم: أن معاويه الذى كان يتعامل بالربا، قد حاول أن يمنع عباده بن الصامت من روايه حديث عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) حول تحريم الربا، فلم يفلح (٢).

كما أنهم قد منعوا أبا ذر من الفتيا- منعه عثمان- فلم يمتنع (٣) فواجهوه بأنواع كثيره من الأذى، و المحن و البلايا، حتى مات غريبا مظلوما فى الربذه، منفاه (۴).

و قد تقدم عن قريب أن أبا موسى الأشعرى يطلب من الناس أن يتركوا ما كان يحدثهم به مما سمعه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و يأخذوا بما أحدثه لهم عمر. فراجع.

و خلاصه الأمر:

إن الحكام إنما كانوا يسمحون بالفتوى لأشخاص بأعيانهم، و يمنعون من عداهم من ذلك إلا إذا اطمأنوا إلى أنه من مستوى يؤهله لأن ينسجم فى ما يفتى به، و يرويه مع مقاصد الحكم و أهدافه، كما كان١.

١- تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ۵۴ و حياه الصحابه ج ٢ ص ٣٩٠/ ٣٩١ عنه.
٢- تهذيب تاريخ دمشق ج ٧ ص ٢١۵ و الغدير ج ١٠ ص ١٨۵ عنه و فى الغدير نصوص أخرى للقضيه عن موطأ مالك، و صحيح مسلم و سنن البيهقى و الجامع لأحكام القرآن، و شرح النهج للمعتزلى و سنن النسائى، و اختلاف الحديث للشافعى، و مسند أحمد و غير ذلك فليراجعه طالب ذلك.
٣- راجع: حليه الأولياء ج ١ ص ١۶٠ و صحيح البخارى ج ١ ص ١۵ ط سنه ١٣٠٩.
۴- راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج ١ ص ١١١- ١۴١.

الحال بالنسبه لأبى هريره.

و حتى لو سمحوا للبعض بممارسه دوره الفتوائى، فأن ذلك يبقى مرهونا بهذا الإنسجام، فإذا ما أخلّ به أحيانا، و لو عن غير قصد، فإنه يمنع من الحديث، و لو بلغ إلى درجه الإضرار فإنه يهدد بالقتل، و الضرب، بل و ينفى إلى أبغض البلاد إليه.

كما كان الحال بالنسبه لعبد اللّه بن عمرو بن العاص، و ابن عمر، و أبى ذر، حسبما ألمحنا إليه.

لا بد من أساليب أخرى:

ثم إن الحكام قد رأوا: أن كل ذلك لا يكفى لإشباع رغبه الناس فى التعرف على الدين، و على عقائده و مفاهيمه، و أحكام. و لسوف تبقى لدى الناس الرغبه و الإهتمام، بنيل معارفه و التعرف على ما فيه من شرائع و أحكام، و من سيره و تاريخ، و عقائد و سياسات و غيرها.

و قد أصبح الإهتمام بذلك محسوسا و ملموسا، فلا بد من معالجه الأمر، بحكمه و رويه و حنكه.

و قد كان من الواضح: أن مجرد إعطاء الفتاوى لا يكفى، فقد كان ثمه حاجه إلى تثقيف الناس، فى مجالات، و شؤون و مناحى مختلفه:

تاريخيه، و سياسيه، و تربويه، و عقيديه و غيرها.

فاتجهوا إلى اعتماد أساليب أخرى، رأوا أنها قادره على حلّ هذا المشكل، و تساعدهم على الخروج من هذا المأزق، الذى وجدوا أنفسهم فيه.

و نذكر هنا بعضا من مفردات هذه الأساليب، التى اعتمدوها لسدّ الخلل و رأب الصدع، فنقول:

تشجيع الشعر و الشعراء:

إن من الواضـح: أن الشـعر العربى له تأثير السـحر على روح، و عقل و عواطف الإنسان العربى، الـذى ينجـذب إليه، و يقبل بكل مشاعره و أحاسيسه عليه.

و من الواضـح: أن هـذا الأـمر يجعل الشـعر قادرا على القيام بـدور فاعل و قوى فى مجال الإستئثار بقسط من الإهتمام لـدى فريق كبير من الناس.

فلماذا إذن لا يعطى للشعر هذا الدور، ليخفف من الأعباء التى أصبحت ترهق كاهل الحكم، فى هذا الاتجاه.

و لأجل ذلک نجد أن المبادره لتنشـيط الاتجاه الأدبى، و الاهتمام بالشـعر، قد جاءت من قبل نفس الخليفه الذى تبنّى السـياسات التى أشرنا إليها تجاه الحديث و القرآن، و نفّذها بدقه، و رسّخها بحزم، و حافظ عليها بقوه.

فأمر بكتابه الشعر، و الإحتفاظ به، فدوّنوا ذلک عندهم، و كانت الأنصار تجدّده إذا خافت بلاه (۱).

بل لقد روى لنا مالک فى موطئه، فى أواخر كتاب الصلاه أنه بلغه:

أن عمر بن الخطاب بنى رحبه فى ناحيه المسجد، تسمى (البطيحاء) و قال:

(من كان يريد أن يلغط، أو ينشد شعرا، أو يرفع صوته، فليخرج إلى هذه الرحبه) (۲)..

۱- الأغانى ط ساسى ج ۴ ص ۵ و ۶.

۲- التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۳۰۰.

و حاول أن يكتب شعر الشعراء، فكتب إلى المغيره بن شعبه بالكوفه، يطلب منه أن يجمع الشعراء، و يستشهدهم ما قالوا من الشعر فى الجاهليه، و الإسلام، و يكتب بذلك إليه (١).

و قال عمر بن الخطاب أيضا: تعلّموا الشعر، فإن فيه محاسن تبتغى، و مساوى ء تتّقى (٢).

ثم أكدت ذلك عائشه أم المؤمنين، حيث قالت: (عليكم بالشعر، فإنه يعرب ألسنتكم) (٣).

و لسنا ندرى إن كانت ترى: أن القرآن وحده، لم يكن يكفى لإعراب ألسنتهم؟ أو أن عمر كان يرى: أن ما فى القرآن لا يكفى الناس فيما يبتغونه من محاسن.

تعلّم الأنساب:

و رغم أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد قال عن علم الأنساب- حسبما روى عنه-: إنه علم لا يضرّ من جهله، و لا ينفع من علمه، و كذا روى عنه بالنسبه لعلم العربيه، و الأشعار، و أيام الناس (۴).

إنّنا رغم ذلك نجد الخليفه الثانى عمر بن الخطاب قد رتب إعطاء الجند على أساس قبلى، يرتكز على ملاحظه أنساب الناس، و انتماءاتهم٩.

١- التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٢٥٥ عن كنز العمال ج ص ١٧۶ و عن الخطط للمقريزى ج ۴ ص ١۴٣.

٢- زهره الآداب ج ١ ص ۵٨.

٣- التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٣٠٠.

۴- التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٣٠١ و ٣٠٢ و ٢٣٠ عن إحياء العلوم و غيره. و راجع: الأنساب للسمعانى ج ١ ص ٩.

العرقیه (۱).

ثم هو یخطط البصره و الکوفه علی أساس قبلی أیضا.

و کان یحث علی تعلّم الأنساب، مضمنا کلامه ما یتوافق مع التوجهات المقبوله و المعقوله، فیقول:

(تعلموا من أنسابکم ما تصلون به أرحامکم) (۲).

و الملفت للنظر هنا: أن هذه العباره نفسها قد نسبت إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم (۳).

و ربما یکون النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد قال ذلک، فاستعان عمر بن الخطاب بهذا القول لتنفیذ سیاساته فی التمییز العنصری، و إجرائها، و لم یعد الأمر یقتصر علی صله الرحم، کما هو المفروض.

و مهما یکن من أمر، فإن معاویه أیضا قد اختار دغفل بن حنظله السدوسی، لیعلم ولده یزید (لعنه اللّه) علم الأنساب (۴) لا علم الفقه، و لا القرآن، و لا أحکام الدین.

أما الهدف من نسبه کلمه عمر إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم فربما یکون هو إعطاءها حیویه و فاعلیه، لتجد طریقها إلی وعی الناس، و إلی حیاتهم العملیه بیسر و سهوله.

و قد دافع البعض عن سیاسه عمر فی توجیه الناس نحو تعلم۸.

۱- راجع کتابنا: سلمان الفارسی فی مواجهه التحدی

۲- التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۰۲ و الأنساب للسمعانی ج ۱ ص ۱۱، و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۱۶۶ عنه.

۳- التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۰۱ و ۲۳۱.

۴- الإستیعاب، و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۱۶۸.

الأنسـاب، معتبرا أنه لا ـ بـد من معرفه نسب النبی صـلى الله علیه و آله وسـلم ، و قریش، لأن الخلافه لا تجوز إلا فی قریش، و إلا لادّعاها من لا تحل له، هذا بالإضافه إلى ما یترتب على ذلک من أحکام الزواج و المواریث (۱).

أسرار الاعذار:

هکـذا یتمکن هؤلاء الـذین لم یقفوا على حقیقه، و أبعاد و أسـرار سـیاسه الخلیفه، أو أنهم یتجاهلونها عن سابق عمـد و إصـرار- هکـذا یتمکنون- من اختلاق الأعذار، التی ربما لا یتمکن الکثیرون من السذج و البسـطاء من اکتشاف خطلها و زیفها فی الوقت المناسب!!

على أننا لا نجد أنفسـنا مبالغین إذا قلنا: إن أمثال هؤلاء المتمحلین لمثل هذه الأعذار الواهیه إنما یریدون إصابه عصفورین بحجر واحد.

فهم فی نفس الوقت الـذی یبعـدون فیه أذهـان النـاس عن معرفه الحقیقه التی یخشون من ظهورهـا للنـاس، فیما یرتبط بسـیاسات حکام یحترمونهم، تستهدف طمس حدیث و سنه النبی صلى الله علیه و آله وسلم ، بالاضافه الى سیاسات لهم تجاه القرآن أیضا.

فإنهم یکونون قـد أعطوا أمورا ثبت زیفها و خطلها صـفه الواقعیه، بحیث تبـدو کأنها من الأمور المسـلّمه، التی لا مجال للشک و الشبهه فیها.

و ذلـک حینمـا یفترضون أن أمر الإمـامه لم یحسم، و أنه لیس موقوفـا على النص، و إنما هی شائعه فی جمیع بطون قریش. و أن النبی صـلى الله علیه و آله وسـلم لم یعیّن الإمام و الخلیفه بعده، بإسـمه و صـفته، و حسبه و نسبه، و لم یبایعه المسلمون فی غدیر خم، و لیس ثمه تعد على أحد فی هذا الأمر، و لا اغتصاب لحق، قرره اللّه و رسوله فی موارد و مناسبات کثیره، و بطرق۷.

۱- بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۱۶۷.

و أساليب مختلفه و متنوعه.

فلا بد من تعلم الأنساب حتى إذا اغتصب أمر هذه الأمه، و تغلّب متغلب- فلا بد من متابعته و إطاعته، بعد التحقق من نسبه القرشی- مهما كان جبارا و عاتيا، و ظالما و جانيا ...

هكذا زيّنت لهم شياطينهم، و ابتكرته لهم نفوسهم الماكره، و أهواؤهم الداعره، و سيلقون غدا جزاءهم الأوفى يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم.

البديل الاكثر نجاحا و الامثل:

أما البديل الذى كان أكثر نجاحا فی تحقيق ما يصبوا إليه الحكام، فقد كان هو:

(علوم أهل الكتاب).

و حيث إن هذا البديل قد كان أبعد أثرا، و أكثر انتشارا، فلا لا بد لنا من أن نورد بعض التفصيلات التی ربما تكون ضروريه لتكوين نظره واقعيه عن حقيقه ما جرى. فنقول:

نظره العرب الى أهل الكتاب:

إننا كتمهيد لما نريد أن نقوله نذكر: أن العرب قبل الإسلام كانوا صفر اليدين من العلوم و المعارف، كما هو ظاهر لا يخفى، و سيأتی التصريح به من أمير المؤمنين (عليه السّلام) و من غيره.

و كانوا يعتمدون فی معارفهم و لا سيما فيما يرتبط بالنبوات، و الأنبياء و تواريخهم، و تواريخ الأمم، على أهل الكتاب بصوره رئيسيه، و كانوا مبهورين بالأحبار و الرهبان بصوره قويه و ظاهره، و يعتبرونهم أهم مصدر

للمعرفه لهم. بل هم ينظرون إليهم نظر التلميذ إلى معلمه بكل ما لهذه الكلمه من معنى.

و قد رأينا: أن قريشا ترسل رسولا إلى أحبار يهود المدينه، للسؤال عن أمر النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، باعتبار أنهم أهل الكتاب الأول، و عندهم من علم الأنبياء ما ليس عند قريش (۱).

و يقول ابن عباس: (إنما كان هذا الحى من الأنصار- و هم أهل وثن- مع هذا الحى من يهود- و هم أهل كتاب- و كانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم؛ فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم) (۲).

و سيأتى: أنهم كانوا يستشيرون أهل الكتاب فى أمر الدخول فى الإسلام، و يعملون بمشورتهم أيضا.

الإسلام يرفض هيمنه اهل الكتاب:

و قد حاول القرآن و نبى الإسلام تخليص العرب من هيمنه أهل الكتاب، بالإستناد إلى ما من شأنه أن يزعزع الثقه بما يقدمونه من معلومات، على اعتبار أنها لا تستند إلى أساس، بل هى محض افتراءات و مختلقات من عند أنفسهم. و هذا الأمر وحده يكفى لعدم الثقه بهم، و بكل ما يأتون به.ه.

۱- سنن أبى داود ج ۲ ص ۲۴۹ و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۲۶۱ و راجع: الإسرائيليات فى كتب التفسير ص ۱۰۹ و راجع: الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۲ عن ابن إسحاق، و ابن جرير.

۲- تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۷۱/ ۷۲ و الإسرائيليات فى كتب التفسير ص ۱۰۸ عنه.

فقد قال تعالی عنهم: إنهم يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ* (۱).

و انهم: يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا (۲).

و إنهم رغم أنهم يعرفون النبی صلی الله علیه و آله وسلم کما یعرفون أبناءهم، و یجدونه مکتوبا عندهم فی التوراه و الإنجیل، فإنهم ینکرون ذلک بالکلیه، و ذلک حسدا من عند أنفسهم. کما یستفاد من بعص الآیات القرآنیه الشریفه.

و قد تحدّث اللّه سبحانه عن صفات الیهود، و مکرهم و غشهم، و غیر ذلک ما من شأنه تقویض الثقه بهم، فی کثیر من الآیات و المواضع القرآنیه. و استقصاء ذلک یحتاج إلی توفر تام، و جهد مستقل.

و من جانب آخر، فإننا نجد إصرارا أکیدا من الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وسلم علی إبعاد أصحابه عن الأخذ من أهل الکتاب، و عن سؤالهم عن شی ء من أمور الدین.

فنهی (صلی اللّه علیه و آله) عن قراءه کتب أهل الکتاب (۳).

و قال لأصحابه: لا تسألوا أهل الکتاب عن شی ء، فإنهم لن یهدوکم، و قد أضلوا أنفسهم (۴).ل-

---

۱- النساء/ ۴۶ و راجع أیضا: سوره البقر/ ۷۵ و النساء/ ۴۱ و المائده/ ۱۳.
۲- البقره/ ۷۹.
۳- أسد الغابه ج ۱ ص ۲۳۵.
۴- المصنف للصنعانی ج ۱۰ ص ۳۱۲ و ج ۶ ص ۱۱۰ و فی ۱۱۲ عن ابن مسعود و کذا فی ج ۱ ص ۲۱۳ و کشف الأستار ج ۱ ص ۷۹ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۷۴ و ۱۷۳ و راجع: غریب الحدیث لإبن سلام ج ۴ ص ۴۸ و فتح الباری ج ۱۳ ص ۲۸۱ عن أحمد و البزار و ابن أبی شیبه و حول کراهه النبی لهم أن یسألوا أهل-

و قد اتضح لکل أحد: أنه صلی الله علیه و آله وسلم کان یحب مخالفتهم فی کثیر من الأشیاء (۱)، حتی قالت الیهود: ما یرید هذا الرجل أن یدع من أمرنا شیئا إلا خالفنا فیه (۲).

و قد استأذنه عبد اللّه بن سلام بأن یقیم علی السبت، و أن یقرأ من التوراه فی صلاته، فلم یأذن له (۳). و سیأتی أنه لم یطع النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی ذلک أیضا.

مدارس «ماسکه»:

و قد کان من المفروض: أن یستجیب المسلمون لإراده اللّه و رسوله هذه، لا سیما، مع التعلیل و التوضیح الذی یذکره القرآن، و نبی الإسلام لهذا المنع، کقوله صلی الله علیه و آله وسلم : لن یهدوکم، و قد أضلوا أنفسهم، أو قوله: إنهم یحرفون الکلم عن مواضعه، و غیر ذلک.

و لکن الأمر الذی یثیر عجبنا هو أننا نجد: أن بعض مشاهیر الصحابه یستمر علی التعلم من أهل الکتاب. و کان بعضهم- کالخلیفه الثانی عمر بن الخطاب- یقصدهم إلی مدارسهم فی المدینه، و تسمی (ماسکه).۰.

۱- راجع: صحیح البخاری ج ۲ ص ۱۹۵ فی موضعین، و المصنف للصنعانی ج ۱۱ ص ۱۵۴ و ستأتی بقیه المصادر فی الجزء الثالث من هذا الکتاب حین الحدیث حول صیام یوم عاشوراء.

۲- سنن أبی داود ج ۲ ص ۲۵۰ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۱۵ و مسند أبی عوانه ج ۱ ص ۳۱۲ و المدخل لإبن الحاج ج ۲ ص ۴۸.

۳- راجع: السیره الحلبیه ج ۱ ص ۲۳۰.

و كان هو أكثر الصحابه اتيانا لهم. و زعموا أنهم يحبونه لأجل ذلك (۱).

الاصرار الى حد الاغتصاب:

و قد جاء عمر بن الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه و آله وسلم بترجمه للتوراه، و جعل يتلوها على النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و وجه النبى صلى الله عليه و آله وسلم يتمعّر- أى يتقبّض- و قال له رسول اللّه:

(أمهوّكون أنتم؟! لقد جئتكم بها نقيه بيضاء، و اللّه، لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى) (۲).۲.

۱- راجع حول ذلك: جامع بيان العلم ج ۲ ص ۱۲۳/ ۱۲۴ و كنز العمال عن كلامه و عن الشعبى و عن قتاده و السدى ج ۲ ص ۲۲۸ و الدر المنثور ج ۱ ص ۹۰ عن ابن جرير، و مصنف ابن أبى شيبه، و مسند إسحاق بن راهويه، و ابن أبى حاتم. و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص ۱۰۷ و ۱۰۸. و كون اسم مدارس اليهود (فاشله) مذكور فى مصادر أخرى.

۲- للحديث ألفاظ مختلفه و له مصادر كثيره، فراجع على سبيل المثال: المصنف للصنعانى ج ۱۰ ص ۱۱۳ و ج ۶ ص ۱۱۲ و ج ۱۱ ص ۱۱۱ و تقييد العلم ص ۵۲ و فى هامشه عن مصادر أخرى و جامع بيان العلم ج ۲ ص ۵۲/ ۵۳ و راجع ص ۵۰ و الفائق ج ۴ ص ۱۱۶ و مسند أحمد ج ۳ ص ۳۸۷ و ۴۷۰/ ۴۷۱ و ج ۴ ص ۲۶۶ و غريب الحديث ج ۴ ص ۴۸/ ۴۹ و ج ۳ ص ۲۸ و ۲۹ و البدايه و النهايه ج ۲ ص ۱۳۳ و قال: تفرد به أحمد و إسناده على شرط مسلم و لسان الميزان ج ۲ ص ۴۰۸ و كنز العمال ج ۱ ص ۲۳۳ و ۲۳۴ عن عده مصادر و البحار ج ۷۳ ص ۳۴۷ و ج ۲ ص ۹۹ ط مؤسسه الوفاء، و الدعوات للراوندى ص ۱۷۰ و أسد الغابه ج ۳ ص ۱۲۶/ ۱۲۷ و ج ۱ ص ۲۳۵ و النهايه فى اللغه ج ۵ ص ۲۸۲ و ميزان الإعتدال ج ۱ ص ۶۶۶ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۸۲ و ۱۷۴ و ۱۷۳ و سنن الدارمى ج ۱ ص ۱۱۵ و ۱۱۶ و المقدمه لإبن خلدون ص ۴۳۶ و الضعفاء الكبير ج ۲ ص ۲۱ و صفه الصفوه ج ۱ ص ۱۸۴ و اليهود و اليهوديه ص ۱۴ و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۲۳۰ و التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۲۲۹ و راجع: كشف الأستار ج ۱ ص ۷۹ و فتح البارى ج ۱۳ ص ۲۸۱ عن أحمد، و ابن أبى شيبه، و البزار و الإسرائيليات فى كتب التفسير ص ۸۶ و أضواء على السنه المحمديه ص ۱۶۲ و القصاص و المذكرين ص ۱۰ و أصول السرخسى ج ۲ ص ۱۰۲.

و هکذا فعلت حفصه- حسبما یروی- مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و هکذا أیضا کان موقفه صلی الله علیه و آله وسلم منها (۱).

و لم یکتف صلی الله علیه و آله وسلم بالقول و بالتغیّظ علی من یأخذ من أهل الکتاب، بل باشر إتلاف ما کتبوه عنهم بنفسه.

فقد روی أن عمر بن الخطاب جاء إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم بشی ء کتبه عن أحد الیهود، فجعل صلی الله علیه و آله وسلم ، یتتبعه رسما رسما، یمحوه بریقه، و هو یقول:

(لا تتبعوا هؤلاء؛ فإنهم قد هوکوا و تهوکوا، حتی محا آخره حرفا حرفا) (۲).

کل ذلک لم ینفع:

و لکن ما یؤسف له هو أنه رغم صراحه القرآن، و رغم جهود النبی صلی الله علیه و آله وسلم لمنع الناس من الأخذ من أهل الکتاب، فقد استمر کثیرون علی الأخذ عنهم. و التلمّذ علی أیدی من أظهر الإسلام منهم، کما سنشیر إلیه ان شاء اللّه تعالی. و قد شجعتهم السلطات علی روایه أساطیرهم بأسالیب و طرق مختلفه. کما سنری.

عود علی بدء:

و بعد ما تقدم نقول: إنهم حین منعوا الناس من السؤال عن معانی۴.

۱- المصنف للصنعانی ج ۱۱ ص ۱۱۰ و ج ۶ ص ۱۱۳ و ۱۱۴.
۲- حلیه الأولیاء ج ۵ ص ۱۳۶ و کنز العمال ج ۱ ص ۳۳۴.

القرآن، و روايه حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و كتابته، و واجهتهم مشكله إيجاد البديل، و رأوا: أن الحل الأفضل هو توجيه الناس إلى ما عند أهل الكتاب، فإن ذلك ينسجم مع الخلفيات التى كانت لدى الكثيرين، و يدفع الآخرين للتعرف على ما عند هؤلاء الناس من عجائب و غرائب، ثم هو يخفف من حده الضغوطات التى يتعرضون لها فيما يرتبط باهتمام الناس بالمعارف الدينيه.

و تبقى مشكله الفتوى، و هى مشكله سهله الحل، و قد وجدوا لها التدبير المناسب و المعقول بنظرهم، كما سنرى.

أما كيف وجهوا الناس نحو علوم أهل الكتاب، فذلك هو الأمر المهم و الحساس، الذى لا بد لنا هنا من الإشاره إلى بعض فصوله و شواهده، فنقول:

المرسوم العام:

لقد كان لا بد لهم بادى ء ذى بدء من إعطاء روايه الإسرائيليات جوازا شرعيا، مستندا إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، ليقبله الناس، و ليكون حجه على من يريد أن يعترض، فكان أن أصدروا مرسوما عاما، منسوبا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يقول:

(حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج).

كما رواه عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و أبو هريره، و أبو سعيد الخدرى (١).۴.

١- راجع: صحيح البخارى ج ٢ ص ١۶۵ ط سنه ١٣٠٩ ه. و المصنف للصنعانى ج ۶ ص ١٠٩ و ١١٠ و ج ١٠ ص ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و هوامشه و الجامع الصحيح ج ۵ ص ۴٠ و سنن أبى داود ج ٣ ص ٣٢٢ و سنن الدارمى ج ١ ص ١٣۶ و مسند أحمد ج ٣ ص ۴۶ و ١٣ و ۵۶ و ج ٢ ص ٢١۴ و ١۵٩ و ٢٠٢ و ۴٧۴ و ۵٠٢ و مشكل الآثار ج ١ ص ۴٠ و ۴١ و ذكر أخبار أصبهان ج ١ ص ١۴٩ و كشف الأستار عن مسند البزار ج ١ ص ١٠٩ و الأسرار المرفوعه ص ٩ و المجروحون ج ١ ص ۶ و مجمع الزوائد ج ١ ص ١۵١ و المعجم الصغير ج ١ ص ١۶۶ و كنز العمال ج ١٠ ص ١٢٩ و ١٣۵ و التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٢٢۴ و ٢٢۵ و ٢٢۶ و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ١٠٠ و ١٠٣ و ١٠۵ و تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ۴ و ٢٢١ و البدايه و النهايه ج ١ ص ۶ و ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٣ و تقييد العلم ص ٣٠ و ٣١ و ٣۴ و شرف أصحاب الحديث ص ١۵ و ١۴.

و بـذلک یکونون قـد سـمحوا لأهـل الکتاب بأن ینشـروا أساطیرهم، و یشـیعوا أباطیلهم، و ذلک بصوره شـرعیه، و رسـمیه، و لا یمکن الإعتراض علیها، لا سیما، و أنهم قد دعموا ذلک بمزاعم أخری من قبیل ما زعموه من أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم کان یحدثهم عن بنی إسرائیل عامه لیله، حتی یصبح (۱).

و قولهم: إنه صلی الله علیه و آله وسلم قد أمر عبد اللّه بن سلام بقراءه القرآن و التوراه، هذا لیله هو، و هذا لیله (۲).

اصل الحدیث:

و الظاهر هو أن حـدیث: حـدثوا عن بنی إسـرائیل و لاـ حرج، لیس کـذبا کله، بـل هو- فیما نظن- تحریف للکلمه المأثوره عن رسول۴.

۱- راجع: سنن أبی داود ج ۳ ص ۳۲۲ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۹۱ و ج ۸ ص ۲۶۴ و مشکل الآثار ج ۱ ص ۴۱ و مسند أحمد ج ۴ ص ۴۴۴ و ص ۴۳۷ و البـدایه و النهایه ج ۲ ص ۱۳۲ و ۱۳۳ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۳۸ و ۳۴۵ عن أبی داود و ابن خزیمه، و أحمد، و الطبرانی، و الهیثمی.

۲- راجع: ذکر أخبار أصبهان ج ۱ ص ۸۴.

اللّه صلی الله علیه و آله وسلم :

حدثوا عنی و لا حرج، و من کذب علیّ متعمدا فلیتبوأ مقعده من النار.

حسبما رواه أبو هریره!! و أبو سعید الخدری، و أنس ... (۱).

و الأولان بالإضافه إلی ابن عمرو بن العاص هم الذین ینسب إلیهم ذلک الحدیث المحرف. إلا أن یکون المراد من الحدیث: حدثوا بما حدثکم به من مخازی و إنحرافات بنی اسرائیل و لا حرج، و یکون هؤلاء الناس قد اساؤا فهم هذا الحدیث، و استفادوا منه لتنفیذ سیاساتهم و مآربهم.

خطوه اخری علی الطریق:

و بعد هذا التمهید، فقد کان من الطبیعی أن نتوقع منهم التقدم خطوه أخری باتجاه إعطاء إمتیازات لأهل الکتاب، فقد سمح الخلیفه الثانی لکعب الأحبار بأن یقرأ التوراه آناء اللیل و النهار (۲).

افتراض لا یجدی:

و نرید أن نفترض مسبقا، و قبل الدخول فی تفاصیل القضایا: أن۶.

۱- کنز العمال ج ۱۰ ص ۱۲۸ و ۱۳۵ و ۱۳۶ عن أحمد و مسلم، و أبی داود، و ابن عساکر، و صحیح مسلم ج ۸ ص ۲۲۹ المصنف للصنعانی ج ۱۱ ص ۲۶۰ و تقیید العلم ص ۳۱ و ۳۳ و ۳۴ و ۳۵ و ۷۸.

۲- راجع: غریب الحدیث ج ۴ ص ۲۶۲ و جامع بیان العلم ج ۲ ص ۵۳ و الفصل فی الملل و الأهواء و النحل ج ۱ ص ۲۱۷ و الإسرائیلیات و أثرها فی کتب التفسیر ص ۹۶ و الفائق للزمخشری ج ۲ ص ۲۳۶.

حدیث: (حدثوا عن بنی إسرائیل و لا حرج)، قد قاله رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم حقیقه، و بلا ریب.

و لکن هذا الافتراض لا یجدی، و لا یثبت به الرخصه بالأخذ عن أهل الکتاب، و الرکون إلیهم، و روایه أباطیلهم، و أساطیرهم.

إذ أن هـذا التعبیر إنما یفیـد جواز نقل ما وصل إلیهم من أخبار بنی إسـرائیل الثابته و المعلوم صـحتها، مما أخبرهم اللّه و نبیه به. حیث کانوا یتوهمون عدم جواز روایتها و تداولها، فورد الترخیص لهم بذلک.

لا أن یأخذوا عن علماء أهل الکتاب ما یصّدرونه لهم من غثّ و سمین، و صحیح و سقیم.

شیوع الاخذ عن اهل الکتاب:

و مهما یکن من أمر، فإن الناس کانوا یأخـذون من کعب الأحبار، الذی کان یحدثهم عن الکتب الإسـرائیلیه (۱) و عن وهب بن منبه، و عبد اللّه بن سلام، و غیرهم من علماء و أحبار أهل الکتاب، الذین أظهروا الإسلام.

قال الکتّانی: (و أخذ کثیر من علیّه الصحابه عن کعب الحبر معروف) (۲).

و لکی لا نکون قـد أهملنا الإشاره إلی بعض هؤلاء الـذین أخـذوا عن أهل الکتاب، فإننا نکتفی بتقـدیم نموذج بسـیط جـدا من أسماء هؤلاء، مع إلماحه فی الهامش إلی نموذج من المصادر أیضا، التی نجد فیها ما یؤید۷.

۱- راجع: سیر أعلام النبلاء ج ۳ ص ۴۸۹ و البدایه و النهایه ج ۱ ص ۱۸.

۲- التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۲۷.

أخذ من ذكرنا أسماءهم عن علماء اليهود و النصارى.

فراجع ما يؤثر فى هذا المجال عن: أبى برده بن أبى موسى الأشعرى، و أبى هريره، و عمر بن الخطاب، و ابنه عبد اللّه بن عمر، و عبد اللّه بن الزبير، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و عطاء بن يسار، و عوف بن مالك، و سعيد بن المسيّب، و زراره بن أوفى، و روح بن نباغ، و عطاء بن يزيد، و شهر بن حوشب، و عبد اللّه بن وهب، و عبد اللّه بن مغفل، و عبد اللّه بن الحرث، و أنس، و عبد اللّه بن حنضله، و أبى الدرداء، و مقاتل بن سليمان، بل لقد نسب ذلك إلى ابن عباس أيضا (۱).

هذا إلى جانب عشرات بل مئات آخرين، فراجع تراجم علماء أهل الكتاب، و انظر من روى عنهم ليتضح لك ذلك بصوره جليه (۲).ک.

۱- راجع فى ذلک كلا أو بعضا: الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص ۱۱۰ و ۱۱۷ و ۱۶۰ و ۱۶۱ و ۱۲۶ و ۱۵۴ و ۱۶۸ و فجر الإسلام ص ۲۰۱ و ۱۶۰ و أضواء على السنه المحمديه ص ۱۱۰ و ۱۲۵/ ۱۲۶ و ۱۷۲ و ۱۷۳، و دائره المعارف الإسلاميه ج ۱ ص ۲۰ و ج ۱۱ ص ۵۸۲/ ۵۸۳ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۱۷ و تهذيب التهذيب ج ۸ ص ۴۳۹ و ج ۱ ص ۵۱۱/ ۵۱۲ و جامع البيان ج ۱۷ ص ۱۰ و مجله المنار، الجزء الأول، المجلد ۲۶ ص ۶۱۵ و ۷۸۳، و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالک) ج ۱ ص ۱۳۱/ ۱۳۲ و منحه المعبود ج ۱ ص ۱۴۰ و الزهد و الرقائق ص ۴۳۴ و ۵۳۴ و ربيع الأبرار ج ۱ ص ۵۵۹ و السيره الحلبيه ج ۱ ص ۲۱۷ و التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۳۲۶ و ۳۲۷ إختصار علوم الحديث (مع الباعث الحثيث) ص ۱۹۶ و ميزان الإعتدال ج ۴ ص ۱۷۳ ترجمه مقاتل.

۲- راجع تراجمهم فى تهذيب التهذيب للعسقلانى، و سير أعلام النبلاء للذهبى، و ميزان الإعتدال، و لسان الميزان، و تهذيب الكمال، و غير ذلک.

الإرجاعات الصریحه:

و قد کان بعض الصحابه المتأثرون بأهل الکتاب یوصون بأخذ العلم عنهم. فقد روی: أنه حینما حضرت معاذا الوفاه أوصاهم: أن یلتمسوا العلم عند أربعه و هم: سلمان، و ابن مسعود، و أبو الدرداء، و عبد اللّه بن سلام، الذی کان یهودیا فأسلم (۱).

و أوضح من ذلک و أصرح ما روی من أن رجلا سأل إبن عمر عن مسأله، و عنده رجل من الیهود، یقال له: یوسف، فقال: سل یوسف، فإن اللّه یقول: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ*.

زاملتا عبد اللّه بن عمرو بن العاص:

و فی سیاق الحدیث عن الأخذ عن أهل الکتاب بعد أن ترخّص الناس بذلک، و بدأ أحبارهم و علماؤهم فی نشر أساطیرهم بجد و نشاط، نلاحظ: أن بعض الصحابه یکاد یکون متخصصا فی النقل عنهم، و فی نشر أباطیلهم و أساطیرهم.

فها نحن نجد: أن کل من یتحدث عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص لا بد أن یضع فی حسابه: أن یذکر الزاملتین اللتین یدّعی ابن عمرو: أنه قد وجدهما فی حرب الیرموک مملوءتین کتبا من علوم أهل الکتاب، فکان یحدّث عنهما بأشیاء کثیره من الإسرائیلیات (۲).۲.

۱- راجع: التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۲۶ و تهذیب تاریخ دمشق ج ۶ ص ۲۰۵. الإیضاح ص ۴۵۶.
۲- راجع: البدایه و النهایه ج ۱ ص ۲۴ و تفسیر القرآن العظیم ج ۳ ص ۱۰۲ عن مسند أحمد، و عن فتح الباری. و تذکره الحفاظ ج ۳ ص ۴۲ و الإسرائیلیات و أثرها فی کتب التفسیر ص ۱۱۱ و ۱۴۶ و ۱۴۷ و ۱۵۳ و ۲۰۷ و ۹۱ و ۹۲.

و قد قرر بعض المؤلفين (۱): أن ابن عمرو إنما اعتمد فى الرخصه بذلك على ذلك المرسوم العام، الذى أشرنا إليه فيما سبق، و هو:

حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج.

مع أنه قد تقدم: أن الحديث- لو صح- فالمقصود به روايه الحديث الثابت صحته، و المأخوذ من النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، لا من علماء بنى إسرائيل.

بالإضافه إلى احتمال آخر ذكرناه هناك.

لماذا كثره تلامذه كعب الأحبار:

إن من يراجع كتب تراجم الصحابه و التابعين يجد الكثير من الروايات رواها رواتها عن خصوص كعب الأحبار، و لو بالواسطه، الأمر الذى يشير إلى كثره تلامذه هذا الرجل، و شده اهتمام فريق من الناس بالأخذ عنه.

و لعل سبب ذلك هو تلك الثقه الكبيره التى أولاه إياها الخليفه الثانى، عمر بن الخطاب، كما يعلم من مراجعه كتب الحديث و التاريخ و التراجم. و قد قرضه الخليفه أكثر من مره، و من ذلك أنه حينما تزلف له كعب بما راق له، قال:

(... و من قوم موسى أمه يهدون بالحق و به يعدلون) (۲).

ثم جاء معاويه بن أبى سفيان ليظهر المزيد من الإهتمام بكعب، و ليمنحه المزيد من الأوسمه، و كلماته فيه و تقريظاته له معروفه۴.

۱- الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص ۱۱۱ و ۱۵۳ و راجع ص ۹۱ و ۹۲.
۲- لباب الآداب ص ۲۳۴.

و مشهوره (۱).

هذا بالإضافه إلی تأثیر ذلک المرسوم العام فی ترغیب الناس بما عند أهل الکتاب، حسبما تقدم.

ابو هریره یروی عن کعب:

و قد أفاد کعب من هذه التقریظات، و استخدمها فی جلب المزید من التلامذه إلی حظیرته، و بدأ ینشر علی تلامذته ما شاءت له قریحته، ودعته إلیه أهدافه.

و ترخص الناس فی الروایه عنه، حتی کان أبو هریره یروی عن کعب، کما یروی عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و قد روی حدیثا فی خلق السماوات و الأرض حکموا علیه بأن أبا هریره إنما تلقاه عن کعب (۲).

و یقول بشیر بن سعد- کما روی عنه-: (إتقوا اللّه و تحفّظوا من الحدیث، فو اللّه، لقد رأیتنا نجالس أبا هریره، فیحدث عن رسول اللّه، و یحدثنا عن کعب، ثم یقوم فأسمع بعض من کان معنا یجعل حدیث رسول اللّه عن کعب، و یجعل حدیث کعب عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم) (۳).

فتری: أن أبا هریره یجعل حدیثه عن کعب، إلی جانب حدیثه عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم . و لا یجد غضاضه فی أن یحدث فی مجالسه عنهما معا!!ر.

۱- راجع علی سبیل المثال: الإصابه، و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۴۲۶ عن الجاسوس ص ۵۰۲.

۲- راجع: البدایه و النهایه ج ۱ ص ۱۷.

۳- راجع: البدایه و النهایه ج ۸ ص ۱۰۹ و سیر أعلام النبلاء ج ۲ ص ۶۰۶ و فی هامشه عن تاریخ ابن عساکر ج ۱۹ ص ۱۲۱ و الإسرائیلیات و أثرها فی کتب التفسیر.

و هذا، ربما يكون السبب فى صدور الإجازه له بالتحديث بعد أن كان ممنوعا من ذلك.

كعب الاحبار حكما:

و سرعان ما أصبح كعب الأحبار شخصيه مرموقه، يحتكم إليها حتى خليفه المسلمين، ليجد عندها الجواب الكافى و الشافى، و الحكم العادل و الفاصل فقد روى المفسرون: أن خلافا وقع بين معاويه و ابن عباس فى قراءه جمله: (عين حمئه). كما يقول ابن عباس. أو: (حاميه) كما يقول معاويه: فاتفقا على تحكيم كعب الأحبار؛ فسألاه: كيف تجد الشمس فى التوراه؟!

فقال: فى طينه سوداء.

فوافق جوابه كلام ابن عباس (۱).

و لا ندرى كيف صار كلام كعب دليلا على صحه الآيه القرآنيه بهذا النحو أو بذاك؟.

و من الذى قال: إن كعب الأحبار لم يكن مسبوق الذهن بالآيه القرآنيه، فجاء بنص ينسجم معها حذرا من المواجهه مع صحابه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم لو أنه جاء بما يخالف القرآن.

و يلاحظ: أن معاويه- كما ذكرته روايه فى الدر المنثور- قد أرسل أولا إلى عبد اللّه بن عمرو بن العاص، فوافق معاويه. ثم سأل كعب الأحبار، فأجابه بما وافق ابن عباس (۲).م.

۱- راجع: تفسير القرآن العظيم ج ۳ ص ۱۰۲ و راجع: الدر المنثور ج ۴ ص ۲۴۸ عن عبد الرزاق، و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

۲- راجع: الدر المنثور ج ۴ ص ۲۴۸ عن عبد الرزاق و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم.

و فی نص آخر: أن المخالفه کانت بین ابن عباس، و عمرو بن العاص (۱).

مع أن ابن عمرو یأخذ من کتب أهل الکتاب، کما کان یأخذ کعب.

برده کعب:

و قد بلغ مقام کعب عند معاویه مبلغا عظیما، جعله یصرّ علیه هو شخصیا بأن یتولی مهمه القصص، کما أسلفنا.

بل لقد صار هذا الرجل من مواضع البرکه لهم، حتی لیقول الکتانی:

(تغالی معاویه فی برده کعب معروف) (۲).

رشوات کعب:

اشاره

و قد کان کعب یعرف کیف یهیمن علی عقول الناس، و ینال ثقتهم، و یکتسب تأییدهم. و کان أیضا من أعرف الناس بمفاتیح قلوبهم، و کیف؟

و متی؟ و بأیه صوره یوزع الرشاوی علی أتباعه، و المعجبین به، لیحتفظ بولائهم، و حبهم، و ثقتهم إلی أبعد مدی.

و قد تحدثنا عن بعض من ذلک فیما سبق، حین الحدیث عن کید و تهویلات أهل الکتاب. و نشیر هنا إلی بعض آخر من ذلک أیضا، فنقول:

ألف: کعب و خلافه علی «علیه السّلام»:

لقد کان کعب الأحبار علی علم بالتوجهات العامه لسیاسات الحکم۶.

۱- الدر المنثور ج ۴ ص ۲۴۸ عن سعید بن منصور و ابن المنذر.

۲- التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۴۴۶.

تجاه علی (علیه السّلام) و أهل بیته، و لم یکن لیخفی علیه: أن ثمه خطه لإبعادهم عن الخلافه و إبعادها عنهم بمختلف الأسالیب.

و علی هذا الأساس نلاحظ: أنه حین استشار عمر کعبا فی أمر الخلافه، و طرح له أسماء المرشحین لها، فلما انتهی إلی اسم علی (علیه السلام)، نری کعبا یرفض أن یکون لعلی (علیه السلام) نصیب فیها، بشده و قوه (۱).

و ما ذلک إلا لأنه کان علی علم بالسیاسات الخفیه فی هذا الإتجاه، و کان یعلم أیضا: أن رفضه هذا کان یروق للخلیفه، و ینسجم مع تطلعاته و تدبیراته، و طموحاته المستقبلیه.

ب: لقب الفاروق:

و بالنسبه لعمر نفسه، فإننا نجد أهل الکتاب یتزلفون له بطریقه أخری أیضا، و ذلک حینما منحوه لقب (الفاروق) الذی کان یعجبه و یروق له.

یقول النص التاریخی: (بلغنا: أن أهل الکتاب أول من قال لعمر:

(الفاروق). و کان المسلمون یأثرون ذلک من قولهم. و لم یبلغنا: أن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ذکر من ذلک شیئا) (۲).

و ربما یظهر من روایه الطبری: أن الذی سماه بذلک هو کعب).

۱- شرح نهج البلاغه للمعتزلی ج ۱۲ ص ۸۱.
۲- الطبقات الکبری لإبن سعد ج ۳ قسم ۱ ص ۱۹۳ و تاریخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزی ص ۳۰ و البدایه و النهایه ج ۷ ص ۱۳۳ و تاریخ الأمم و الملوک ط الإستقامه ج ۳ ص ۲۶۷ حوادث سنه ۲۳ و راجع: ذیل المذیل (مطبوع فی آخر تاریخ الطبری).

الأحبار نفسه (۱).

و واضـح: أن منـح هـذا اللقب للخليفه قد يكون رشوه، و قد يكون مكافأه له على إفساحه المجال لأهل الكتاب لنشـر ترهاتهم و أباطيلهم فی المسلمين بعد أن حرم المسلمون من حديث نبيهم روايه و كتابه، و من قرآنهم أيضا، حسبما ألمحنا إليه.

ج: كعب يقرّض أبا هريره:

و مما يدخل فی هذا السياق ما قاله كعب الأحبار، و هو يقرّض أبا هريره:

(ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراه أعلم بما فيها من أبی هريره) (۲).

و لا نـدری من أين حصل أبو هريره على علوم التوراه، و كيف عرف ما فيها دون أن يقرأها. و هل يمكن أن يوجد شـخص غير هذا الرجل يستطيع أن ينال علم شی ء دون أن يطلع عليه، و يعرف ما فيه؟!.

د: محاوله رشوه ابن عباس:

قـالوا: كـان ابن عبـاس يقرأ: (فی عين حمئه) فقـال كعب: مـا سـمعت أحـدا يقرؤهـا كمـا هی فی كتاب اللّه غير ابن عباس؛ فإننا نجدها فی التوراه: فی حمئه سوداء (۳).

و قد تقدم ما يدل على أن عبد اللّه بن عمرو بن العاص قد ذكر: أنهم.

۱- تاريخ الأمم و الملوك ج ۳ ص ۲۶۷.
۲- التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۲۲۸ و تذكره الحفاظ للذهبی ج ۱ ص ۳۶ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۶۰۰ و السنه قبل التدوين ص ۴۳۳ عن الإصابه ج ۷ ص ۲۰۵.
۳- الدر المنثور ج ۴ ص ۲۴۸ عن سعيد بن منصور، و ابن المنذر و ابن أبی حاتم.

یوجد فی التوراه نص آخر یختلف عما ذکره کعب الأحبار، فراجع ما ذکرناه تحت عنوان: (کعب الأحبار حکما).

و مهما یکن من أمر فإننا نقول: إن کعبا یرید بکلامه هذا مع ابن عباس: أن یرمی عصفورین بحجر واحد.

فهو من جهه یقدم رشوه إلی ابن عباس، لیکتسب حبه و ثقته، و إعجابه برجل عنده علم التوراه.

و من جهه ثانیه یکون قد کرّس فی أذهان الناس: أن هذه التوراه التی بین أیدیهم هی الکتاب المنزل علی موسی، و لیست محرفه، کما یزعمون، و علی هذا الأساس، فلا بد من تعظیمها، و الإستفاده مما فیها من علوم، و معارف.

ه: کعب یقرّض ابن عمرو بن العاص:

و أما عن تقریظات کعب لعبد اللّه بن عمرو بن العاص، فقد روی عن عبد اللّه بن السلمانی قوله: (إلتقی کعب الأحبار، و عبد اللّه بن عمرو.

فقال کعب: أتطّیر؟!

قال: نعم.

قال: فما تقول:

قال: أقول: اللهم لا طیر إلا طیرک، و لا خیر إلا خیرک، و لا رب غیرک، و لا حول و لا قوه إلا بک.

فقال: أنت أفقه العرب؛ إنها لمکتوبه فی التوراه کما قلت) (۱).

و حسبنا ما ذکرناه، فإن المقصود هو الإلماح و الإشاره لا الإستقصاء.ر.

۱- الطبقات الکبری لإبن سعد ج ۴ ص ۲۶۸ ط صادر.

سحره بنی اسرائیل یرکزون علی التوراه:

و إذا رجعنا إلی کتب التاریخ و الحدیث فسوف نجد: أن علماء أهل الکتاب کانوا یمارسون علی الناس طریقه الإرهاب الفکری، حیث یظهرون لهم: أنهم یعرفون کل شی ء، لأن التوراه مکتوب فیها کل شی ء، حتی الأرض شبرا شبرا.

قال کعب الأحبار لقیس بن خرشه لاعتراضه علیه، حین أخبره بما یجری علی أرض صفین:

(ما من الأرض شبر إلا مکتوب فی التوراه، الذی أنزل اللّه علی موسی، ما یکون علیه، و ما یخرج منه إلی یوم القیامه) (۱).

و فی نص آخر قال: (ما من شی ء إلا و هو مکتوب فی التوراه) (۲).

و نقول:

إن التوراه التی تحوی کل هذه التفاصیل لا بد أن تکون مئات بل آلاف المجلدات. و لو صح أن توراه موسی کان فیها کل ذلک، فمن الذی یضمن أن تکون التوراه الحاضره هی نفس تلک، و نحن نری: أنها تفقد کل ذلک الذی یدعون أنه یوجد فیها.

و مهما یکن من أمر، فقد أنشد الحطیئه بیتا من الشعر، فادّعی کعب الأحبار فورا: أنه مکتوب فی التوراه. (۳)۹.

۱- دلائل النبوه للبیهقی ج ۶ ص ۴۷۶ و الدر المنثور للسیوطی ج ۳ ص ۱۲۵ عنه و عن الطبرانی.

۲- بحوث مع أهل السنه و السلفیه ص ۸۲ عن أضواء علی السنه المحمدیه ص ۱۴۰.

۳- المحاسن و المساوی ج ۱ ص ۱۹۹.

و دعوی کعب وجود کثیر مما یتفق أمامه: أنه مذکور فی التوراه بهدف کسب ثقه الناس بعلمه و بمعارفه، و رفع شأن التوراه فی أعینهم، کثیر لا مجال لتتبعه هنا. (۱)

تعظیم و تقدیس التوراه:

و من أسالیبهم التی ترمی إلی جعل الناس یقدسون توراتهم المحرفه التی یتداولونها، ما زعموه من أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد قام للتوراه (۲).

ثم جاء الحکم بحرمه مس التوراه و الإنجیل للجنب (۳).

و کان أبو الجلد الجونی یقرأ القرآن کل سبعه، و یختم التوراه فی سته أیام نظرا؛ فإذا کان یوم ختمها حشد إلی ذلک ناسا. و کان یقول: کان یقال: تنزل عند ختمها الرحمه (۴).

کما أن وهب بن منبه قد أجاز النظر فی التوراه و کتابتها (۵).

و کانوا یستشهدون لبعض القضایا التاریخیه بأنها قد وردت فیر.

۱- راجع علی سبیل المثال: تاریخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزی ص ۲۴۶ و بهجه المجالس ج ۱ ص ۳۶۸. و الإسرائیلیات و أثرها فی کتب التفسیر و الحدیث ص ۹۵ عن مسند أحمد.

۲- راجع: التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۳۰ عن شرح المنهاج لإبن حجر الهیثمی و غیره.

۳- التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۳۱.

۴- الطبقات الکبری لإبن سعد ج ۷ ص ۱۶۱ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۲۸/ ۲۲۹.

۵- التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۸۸ عن ابن حجر.

التوراه، و من أمثله ذلك: أن ابن دحيه قد كذب الروايه التی تقول: إن هارون مدفون فی أحد؛ لأنه قدم هو و أخوه موسی إلی الحج أو العمره، فمات هناك، فواراه أخوه موسی فیه.

قال ابن دحيه: (هذا باطل بيقين، و إن نص التوراه: أنه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام (۱).

اصرار مسلمه اهل الكتاب على العمل بالتوراه:

و تشیر النصوص التی بین أیدینا إلی أن الذین أسلموا من أهل الكتاب قد استمروا علی تعظیم توراتهم و علی العمل ببعض ما فیها- كما ذكره المفسرون لآیه- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً (۲).

و قد روی أن عبد اللّه بن سلام، و ثعلبه، و ابن یامین، و أسد، و أسید بنی كعب، و سعید بن عمرو، و قیس بن زید. و كلهم من یهود. جاؤا إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، فقالوا: یا رسول اللّه، یوم السبت كنا نعظمه، فدعنا فلنسبت فیه. و إن التوراه كتاب اللّه، فدعنا فلنقم بها باللیل. فنزلت الآیه (۳): يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً

و فی نص آخر: (أن ابن سلام و غیره ممن أسلم من یهود استمروا علی تعظیم السبت، و كراهه أكل لحم الإبل، و شرب لبانها؛ فأنكر ذلك علیهم المسلمون. فقالوا: إن التوراه كتاب اللّه، فنعمل به أیضا، فأنزل اللّه تعالی: یا أیها الذین آمنوا ادخلوا فی السلم كافه (۴).۵.

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۱۶.
۲- الدر المنثور ج ۱ ص ۲۴۱ عن ابن أبی حاتم.
۳- الدر المنثور ج ۱ ص ۲۴۱ عن ابن جریر.
۴- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۱۱۵.

و تقدم أن الخليفه الثانی قد سمح لكعب الأحبار بأن يقرأ التوراه آناء الليل و أطراف النهار.

الفصل الرابع: القصاصون يثقفون الناس رسميا:

اشاره

القصص الحق:

إنه لا ريب فى أن القصص حينما يكون حقا، و فى خدمه الحق، و وسيله لتوعيه الناس، و تعريفهم بواجباتهم، فإنه يكون حينئذ محبوبا و مطلوبا للّه تعالى، و قد قال عز من قائل:

إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ (۱).

و حينما طلب الصحابه من النبى صلى الله عليه و آله وسلم أن يقص عليهم، نزل قوله تعالى:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْکَ هـذَا الْقُرْآنَ، وَ إِنْ کُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ (۲). الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۱ ۱۲۱ القصص الحق: ..... ص : ۱۲۱

روى أن سعد الإسكاف قال لأبى جعفر: إنى أجلس فأقص؛ و أذكر حقكم و فضلكم!۸.

۱- سوره آل عمران/ ۶۲.

۲- سوره يوسف/ ۳. و راجع: جامع البيان ج ۱۲ ص ۹۰ و الدر المنثور ج ۴ ص ۳ و الجامع لأحكام القرآن ج ۹ ص ۱۱۸ و راجع ج ۱۵ ص ۲۴۸.

قال: وددت أن على كل ثلاثين ذراعا قاصا مثلك (۱).

و كان أبان بن تغلب (قاص الشيعه) (۲).

و كان عدى بن ثابت الكوفى المتوفى سنه ۱۱۶ ه. إمام مسجد الشيعه وقاصهم (۳).

هذا هو رأى الإسلام، و صريح القرآن، و نهج أهل بيت النبوه، و معدن الرساله و موقفهم.

و لكن الأمر بالنسبه لسياسات الآخرين، و أهدافهم من هذا الأمر، لم يكن بهذه البساطه، بل هو يختلف تماما مع هذا الذى ذكرناه بصوره حقيقيه و أساسيه، و لتوضيح ذلك نقول:

الطريقه الذكيه:

سبق أن قلنا: إنه قد كان لا بد للحكم من إشغال العامه، و مل ء الفراغ الروحى و النفسى الذى نشأ عن إبعاد العلماء الحقيقيين عن التعاطى مع الناس، و تثقيفهم و تربيتهم.

و بعد أن استقر الرأى على إعطاء دور رائد لأهل الكتاب فى هذا المجال، فقد اتجه الحكام نحو استحداث طريقه جديده، من شأنها أن تشغل الناس، و تملأ فراغهم، و توجد حاله من الطمأنينه لديهم، مع ما تقدمه لهم من لذه موهومه، و لكنها محببه. مع الإطمئنان إلى أن هذه۹.

۱- راجع: إختيار معرفه الرجال ص ۲۱۴/ ۲۱۵ و جامع الرواه ج ۱ ص ۳۵۳ و تنقيح المقال ج ۲ ص ۱۲ و منتهى المقال ص ۱۴۴ و نقد الرجال ص ۱۴۸ و قاموس الرجال ج ۴ ص ۳۲۴ و معجم رجال الحديث ج ۸ ص ۶۸/ ۶۹.

۲- معرفه علوم الحديث ص ۱۳۶.

۳- تاريخ الإسلام للذهبى (حوادث سنه ۱۰۰- ۱۲۰ ه) ص ۴۱۸ و ۴۱۹.

الطريقه لا تؤدى إلى إحراج الحكام فى شى ء، بطرح أى من الأمور الحساسه، التى لا يريدون التعرض لها، أو المساس بها.

و هذه الطريقه هى السماح بالقصص لمسلمه أهل الكتاب، من الأحبار و الرهبان، حيث ينشرون فى الناس ما شاؤوا من أساطير و ترّهات، و يذهبون بأوهام الناس و خيالاتهم فى آفاق الخواء و الهباء، ثم يقذفون بها فى أقبيه الأحلام الصفيقه، أو فى أغوار النسيان العميقه و السحيقه.

و أهل الكتاب هم أجدر و أبرع من تصدى لهذا الأمر، و أولى من حقق الغايه المنشوده، لأن العرب كانوا إلى عهد قريب يحترمونهم، و يثقون بهم و بعلمهم، و لم يستطع الإسلام- رغم ما قام به من جهود- أن ينتزع هذه النظره التى لا تستند إلى أساس موضوعى من النفوس المريضه أو الضعيفه.

و قد قام أحبار أهل الكتاب بالمهمه التى أوكلت إليهم خير قيام، و حققوا كل أهداف الحكم و الحاكمين، و أهدافا أخرى كانوا هم أنفسهم يسعون إليها، و يعملون ليل نهار فى سبيل الوصول و الحصول عليها. و إذا كانوا فى السابق يعملون فى السر و الخفاء، فها هم اليوم يمارسون نشاطهم جهرا و بطلب من الحكم القائم بالذات.

اعطاء الشرعيه:

و قد مارسوا نشاطهم و دورهم هذا فى ظل قرار رسمى حكومى، يقضى باحتلال أهل الكتاب للمساجد، و أولها مسجد الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) فى المدينه، ليشغلوا الناس بما يقصونه عليهم من حكايا بنى إسرائيل، و أى شى ء آخر يروق لهم، و يخدم الأهداف التى يعملون من أجلها و فى سبيلها.

و كان تميم الدارى، الذى هو فى نظر عمر بن الخطاب خير أهل

المدينه (۱) قد طلب من الخليفه الثانى أن يقص، فسمح له، فكان يقص فى مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كل جمعه. فاستزاده يوما آخر فزاده. فلما تولى عثمان زاده يوما آخر أيضا (۲).

و كان عمر بن الخطاب يجلس إليه بنفسه، و يستمع إلى قصصه (۳).

و يقول البعض: إن تميما إنما أخذ ذلک من اليهود و النصارى (۴) مع أن تميما كان فى بادى ء الأمر نصرانيا!!

و قيل: إن أول من قص هو عبيد بن عمير. و ذلک على عهد الخليفه الثانى عمر بن الخطاب (۵).ل-

---

۱- الإصابه ج ۱ ص ۲۱۵.

۲- راجع: المصنف للصنعانى ج ۳ ص ۲۱۹ و تاريخ المدينه لإبن شبه ج ۱ ص ۱۱ و ۱۲ و راجع ص ۱۰ و ۱۵ و سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۴۴۶ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۳ ص ۳۶۰ و راجع: الخطط للمقريزى ج ۲ ص ۲۵۳. و حول أن عمر قد أمر تميما الدارى بأن يقصّ، و أنه أول من قصّ راجع: الزهد و الرقائق ص ۵۰۸ و صفه الصفوه ج ۱ ص ۷۳۷ و أسد الغابه ج ۱ ص ۲۱۵ و تهذيب الأسماء ج ۱ ص ۱۳۸ و مسند أحمد ج ۳ ص ۴۴۹ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۹۰ و الإصابه ج ۱ ص ۱۸۳ و ۱۸۴ و ۱۸۶ و المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۳۷۸ و ۳۷۹ و فيه أنه تعلم ذلک من اليهود و النصارى، و ارجع فى الهامش إلى طبقات ابن سعد ج ۱ ص ۷۵ و راجع: الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص ۱۶۱ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۷۱ و ۱۷۲ عن المروزى فى العلم و عن أبى نعيم، و عن العسكرى فى المواعظ و التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۳۳۸ و القصاص و المذكرين ص ۲۰ و ۲۱ و ۲۹ و عن الضوء السارى للمقريزى ص ۱۲۹ و مختصر تاريخ دمشق ج ۵ ص ۳۲۱.

۳- راجع: الزهد و الرقائق ص ۵۰۸ و القصاص و المذكرين ص ۲۹.

۴- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ۸ ص ۳۷۸ و ۳۷۹.

۵- راجع: سائر المصادر المتقدمه، و تاريخ المدينه لإبن شبه ج ۱ ص ۱۳ و كنز العمال-

و كان معاويه إذا صلى الفجر يجلس إلى القاص، حتى يفرغ من قصصه (۱).

كما أن عمر بن عبد العزيز كان يجلس و يستمع إلى القصاص (۲).

و كان محمد بن قيس قاصا لعمر بن عبد العزيز بالمدينه (۳).

و كان الناس يفخرون بفقيههم و قاصهم: ابن عباس، و عبيد بن عمير (۴).

و ما دام أن القصاصين صاروا مصدر فخر للأمه، فمن الطبيعى: أن نرى كثيرين من الأعيان و المعروفين قد تصدوا للقصص أيضا، فعدا عن تصدّى مثل: كعب الأحبار، الذى كان يقص فى عهد معاويه بأمر منه (۵).

و كان عمر أيضا يستدعى من كعب الموعظه (۶).

و هذا اصطلاح يقصد به القصص، كما يظهر من كتاب: القصاص ٠.

۱- التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۳۴۸ عن مروج الذهب ج ۲ ص ۵۲.

۲- القصاص و المذكرين ص ۳۳.

۳- راجع: الجرح و التعديل ج ۸ ص ۶۳ و التاريخ الكبير ج ۱ ص ۲۱۲ و تاريخ ابن معين ص ۱۶۶ و راجع: الحوادث و البدع ص ۱۰۳ عن المدونه الكبرى، كتاب الوضوء.

۴- القصاص و المذكرين ص ۴۶/ ۴۷ و راجع: المعرفه و التاريخ ج ۲ ص ۳۳ و الطبقات الكبرى ج ۵ ص ۴۴۵.

۵- القصاص و المذكرين ص ۲۵ و راجع: ربيع الأبرار ص ۵۸۸ و تاريخ المدينه ج ۱ ص ۸ و التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۳۳۶ عن أحمد، و حسّن الهيثمى أسناده.

۶- القصاص و المذكرين ص ۳۰.

و المذکرین، لابن الجوزی.

و کان تبیع بن عامر، و هو ابن زوجه کعب و ربیبه یقص (۱).

نعم، عدا عمن ذکرنا، فقد کان أبو هریره یقص، و کذا الأسود بن سریع، و محمد بن کعب القرظی، و قتاده، و عطاء، و سعید بن جبیر، و ثابت البنانی، و عمر بن ذر، و أبو وائل، و الحسن البصری، و غیرهم (۲).

فراجع المؤلفات التی تعالج موضوع القصص، و القصاصین، ککتاب:

القصاص و المذکرین، و تلبیس إبلیس، و قوت القلوب، و غیر ذلک لتطلع علی أسماء کثیرین ممن کانوا یمارسون القصص فی الصدر الأول.

حتی النساء:

و حتی النساء، فإنهن قد مارسن مهنه القصص، فقد روی ابن سعد: أن أم الحسن البصری کانت تقص علی النساء أیضا (۳).

اهتمام الحکام بالقصاصین:

و کان الحکام یهتمون بأمر القصاصین بصوره واضحه، و قد تجلی هذا الإهتمام فی جهات عدیده:

۱- فقد تقدم: أن الخلیفه الثانی عمر بن الخطاب کان یجلس إلی القصاصین، و یستمع إلیهم، و کذلک معاویه، و عمر بن عبد العزیز.۸.

۱- تهذیب الکمال ج ۴ ص ۳۱۴.
۲- راجع: القصاص و المذکرین ص ۴۴ و ۴۵ و ۵۰ و ۵۸ و ۶۲ و ۳۲ و راجع: المصنف للصنعانی ج ۳ ص ۲۲۰ و المعرفه و التاریخ ج ۱ ص ۳۹۱ و مسند أحمد ج ۳ ص ۴۵۱ و متمم طبقات ابن سعد ص ۱۳۶.
۳- راجع: التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۳۸.

۲- و قد جعلوا للقصاصین جعلا (أی أجرا) علی عملهم (۱).

و کان عمر بن عبد العزیز- حسبما یقولون- یعطی القاص الذی رتبه للقیام بهذه المهمه دینارین شهریا، فلما ولی هشام بن عبد الملک جعل له سته دنانیر (۲).

۳- کان القصص منصبا رسمیا یتدخل فیه الخلیفه بنفسه، نصبا و عزلا، کما تقدم عن عمر، و معاویه، و عمر بن عبد العزیز. و سیأتی ما یدل علی ذلک أیضا عن عوف بن مالک، و عباده بن الصامت، حیث قالا:

لا یقص إلا أمیر، أو مأمور إلخ.

و یدل علیه أیضا کلام غضیف بن الحارث مع عبد الملک بن مروان (۳)، فراجع.

و قد ذکر المقریزی طائفه ممن تولوا منصب القصص فی القرون الأولی علی التعاقب، فلیراجعه من أراد ذلک (۴).

أما من کان یقص بدون إذن من الحاکم، فقد کان یعرّض نفسه للمؤاخذه من قبل الحکام (۵).

و لعل القاص الذی ینصبه الحاکم هو الذی کان یقال له: (قاص الجماعه) (۶).۴.

۱- تاریخ المدینه لإبن شبه ج ۱ ص ۱۵ و ۱۶ و الخطط و الآثار للمقریزی ج ۲ ص ۲۵۴.

۲- تاریخ المدینه ج ۱ ص ۱۵ و راجع: الحوادث و البدع ص ۱۰۳.

۳- راجع تاریخ المدینه ج ۱ ص ۱۰ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۸۸.

۴- راجع: الخطط و الآثار ج ۲ ص ۲۵۴.

۵- راجع: أنساب الأشراف ج ۴ قسم ۱ ص ۳۴/ ۳۵.

۶- راجع: المصنف للصنعانی ج ۳ ص ۲۲۰ و تاریخ المدینه ج ۱ ص ۱۶ و ۱۴.

و یشیر إلی ذلک: أن أبا الهیثم کان قاص الجماعه فی عهد بنی أمیه، فلما جاء بنو العباس عزلوه، فاعترض علی ذلک و استنکره (۱).

۴- إن الخلفاء کما أنهم کانوا یجعلون للجماعه قاصا، فإنهم کانوا یجعلون للجند قاصا أیضا، لأجل تحریکهم، و بعث الحماس فیهم (۲) و توجیههم سیاسیا، حسبما یتوافق مع أهداف الحاکم و طموحاته.

و قد صرح الحسن بن عبد اللّه: أن الملک هو الذی یتولی منصب قاص الجند (۳).

۵- لقد کان الخلیفه یتدخل حتی فی کیفیه و نوع و مقدار العمل الذی یسمح به القاص، و تقدم أن عمر و عثمان قد عیّنا لتمیم الداری الوقت و المده و المکان. کما أن عمر بن عبد العزیز- الذی تلمّذ علی یدی مسلم بن جندب القاص- (۴) قد کتب إلی صاحب الحجاز:

أن مر قاصّک: أن یقصّ علی کل ثلاثه أیام مره. أو قال:

قاصّکم (۵).

۶- لقد کان الأمراء أنفسهم یمارسون عمل القصص، حتی قیل- بل لقد جعلوا ذلک روایه عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم - کما عن عباده بن الصامت، و عوف بن مالک:ن.

۱- راجع المعرفه و التاریخ ج ۲ ص ۴۳۶.

۲- راجع: تمدن إسلام و عرب در قرن جهارم هجری ج ۲ ص ۸۰ و ۸۵ و الجرح و التعدیل ج ۶ ص ۱۶۳.

۳- راجع: الجیش و القتال فی صدر الإسلام ص ۱۳۵.

۴- راجع: التاریخ الکبیر ج ۳ ص ۳۵۴ و المعرفه و التاریخ ج ۱ ص ۵۹۶.

۵- القصاص و المذکرین ص ۲۸. لعل الصحیح: أخبار القصاص و المذکرین.

(لا يقص إلا أمير، أو مأمور، أو مختال. أو قال: أو متكلف) (۱).

القصاصون فی خدمه سیاسیات الحکام:

و غنی عن القول هنا: أن القصاصین قد قاموا بدور فاعل فی تثبیت دعائم الحکومات الظالمه، و أصبحوا أبواقا لها للدعایه و الإعلام، یشیعون فی الناس ما یرید الحکام إشاعته، مما یخدم مصالحهم، و یوصلهم إلی أهدافهم.

و یکفی أن نذکر هنا:

۱- أن معاویه حین جاء لحرب الإمام الحسن (علیه السلام) فی العراق، استصحب معه القصاص؛ فکانوا یقصون فی کل یوم، یحضون أهل الشام عند وقت کل صلاه؛ فقال بعض شعرائهم:

من جسر منبج أضحی غبّ عاشرهفی نخل مسکن تتلی حوله السور (۲) ۲- و یقولون أیضا: إن معاویه حینما بلغه: أن علیا (علیه السلام) قنت فدعا علی أهل حربه، أمر القاص الذی یقص بعد الصبح و بعدر.

۱- راجع: قوت القلوب ج ۲ ص ۳۰۲ و ۳۰۳ و کنز العمال ج ۱۰ ص ۱۲۴ عن الطبرانی و المعجم الصغیر ج ۱ ص ۲۱۶ و تاریخ المدینه لإبن شبه ج ۱ ص ۸ و ۹ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۳۶ عن أحمد، و أبی داود، و الطبرانی فی الکبیر و الأوسط، و الهیثمی. و القصاص و المذکرین ص ۲۵ و ۲۸ و سنن ابن ماجه ج ۲ ص ۱۲۳۵ و مسند أحمد ج ۴ ص ۲۳۳ و ج ۶ ص ۲۹ و ربیع الأبرار ج ۳ ص ۵۸۸ و سنن الدارمی ج ۲ ص ۳۱۹ و مختصر تاریخ دمشق ج ۷ ص ۲۴۰ و ج ۱۰ ص ۳۳۸ و ۳۳۹ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۹۰ و النهایه فی اللغه ج ۴ ص ۷۰ و لسان العرب ج ۷ ص ۷۴ و ۷۵ و عن تحذیر الخواص ص ۵۹. و الحوادث و البدع للطرطوشی ص ۱۰۱ ط تونس سنه ۱۹۵۹.

۲- تاریخ بغداد ج ۱ ص ۲۰۸ و راجع: سیر أعلام النبلاء ج ۳ ص ۱۴۶ و فی هامشه عن ابن عساکر.

المغرب: أن يدعو له و لأهل الشام (۱).

۳- و كان عبد الملك شكا إلى العلماء!! ما انتشر عليه من أمر رعيته، و تخوّفه من كل وجه، فأشار عليه أبو حبيب الحمصى القاضى بأن يستنصر عليهم برفع يديه إلى اللّه تعالى.

فكان عبد الملك يدعو و يرفع يديه، و كتب بذلك إلى القصاص؛ فكانوا يرفعون أيديهم بالغداه و العشى (۲).

۴- و كان محمد بن واسع الأزدى من جمله القصاص و الوعاظ فى جيش قتيبه بن مسلم فى خراسان، و كان يقول قتيبه فى حقه: إنه بالنسبه إليه أفضل من ألف سيف و رمح. فراجع (۳).

۵- قال عبد الملك بن مروان لغضيف بن الحارث:

(إنا قد أجمعنا الناس على أمرين:

قال: و ما هما؟

قال: رفع الأيدى على المنابر يوم الجمعه، و القصص بعد الصبح و العصر إلخ) (۴).

۶- كما أن القصاصين قد قاموا بدور مهم فى إحداث الفتنه بين السنه و الشيعه فى بغداد، فى زمن عضد الدوله، فمنعهم من القصص.۰.

۱- الخطط للمقريزى ج ۲ ص ۲۵۳ و الولاه و القضاه هامش ص ۲۰۳ عن رفع الاصر ص ۴۷.
۲- الخطط للمقريزى ج ۲ ص ۲۵۴.
۳- راجع: البيان و التبيين ج ۳ ص ۲۷۳ و العقد الفريد ج ۲ ص ۱۷۰.
۴- مسند أحمد بن حنبل ج ۴ ص ۱۰۵ و تحذير الخواص ص ۷۰.

و ذلک فی سنه ۳۶۷ ه. (۱).

و کذلک جری فی سنه ۳۹۸ ه. ق. ثم سمحوا لهم بمزاوله أعمالهم بشرط ترکهم التعرض للفتن (۲).

جرأه القصاصین و سیطرتهم:

کان القصاصون جریئین علی اللّه و رسوله، فلم یکونوا یتورعون عن وضع الحدیث، حتی لقد قال ابن حبان: (کانوا إذا حلّوا بمساجد الجماعات، و محافل القبائل مع العوام و الرعاع أکثر جساره فی الوضع) (۳).

أی فی وضع الحدیث علی لسان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و قد حدث ابن عون، فقال: (أدرکت المسجد، مسجد البصره، و ما فیه حلقه تنسب إلی الفقه إلا حلقه واحده تنسب إلی مسلم بن یسار، و سائر المسجد قصاص) (۴).

و دعا عطاء بن أبی رباح بخمسه قصاص، فقال: قصوا فی المسجد الحرام. قال: و هو جالس إلی أسطوانه، قال: فکان خامسهم عمر بن۶.

۱- راجع: البدایه و النهایه ج ۱۱ ص ۲۸۹ و طبقات الحنابله ج ۱ ص ۱۵۸ و المنتظم ج ۷ ص ۸۸ و سیر أعلام النبلاء ج ۱۶ ص ۵۰۹ و تاریخ الإسلام للذهبی (حوادث سنه ۳۵۰- ۳۸۰ ه) ص ۱۵۳.

۲- راجع: المنتظم ج ۷ ص ۳۳۷ و ۳۳۸ و تاریخ الاسلام للذهبی (حوادث سنه ۳۸۰- ۴۰۰ ه) ص ۳۳۷/ ۳۳۸ و شذرات الذهب ج ۳ ص ۱۴۹ و ۱۵۰ و بقیه المصادر فی کتابنا: صراع الحریه فی عصر المفید ص ۲۴ و ۲۵ الطبعه الأولی.

۳- عن المجروحین ج ۲ ص ۳۰: أ.

۴- القصاص و المذکرین ص ۱۶.

ذر (۱).

و أما سیطرتهم علی عقول الناس، فذلک أوضح من الشمس، و أبین من الأمس، و یوضح ذلک کثیر من الحالات و القضایا التی حصلت لبعض المعروفین، الذین کانوا یرفضون طریقتهم، و ینظرون إلیهم بعین الریب و الشنآن. و لکن کانت کلماتهم تجذبهم، و أحادیثهم تسحرهم، رغم علمهم بکونها موضوعه و مکذوبه.

و من غریب ما یذکر هنا: أن أم الإمام أبی حنیفه لا تقبل بفتوی ولدها. و لکنها ترضی بقول قاص یقال له: زرعه (۲).

کما أن أحد الکبار المعروفین یحتج لبعض الأمور بقول أحد القصاصین من مسلمه أهل الکتاب، و هو تمیم الداری (۳).

و حین حاول الشعبی أن ینکر علی أحد القصاصین فی بلاد الشام ما یأتی به من ترهات، قامت علیه العامه تضربه، و لم یترکه أتباع ذلک القاص، حتی قال برأی شیخهم نجاه بنفسه (۴).

بل لقد بلغ الإحترام و التقدیس لمجلس القصص و القصاصین أن تخیل البعض: أن الکلام أثناء القصص لا یجوز، کما لا یجوز الکلام فی خطبه الجمعه، حتی أعلمه عطاء: أن الکلام أثناء القصص لا یضر (۵).

و قال مالک: (... و لیس علی الناس أن یستقبلوهم۸.

۱- المصدر السابق ص ۳۲.

۲- القصاص و المذکرین ص ۹۰ و تاریخ بغداد ج ۳ ص ۳۶۶.

۳- عیون الأخبار لإبن قتیبه ج ۱ ص ۲۹۷.

۴- السنه قبل التدوین ص ۲۱۱ عن تمییز المرفوع عن الموضوع ص ۱۶ ب. و الجامع لأخلاق الراوی و آداب السامع.

۵- المصنف للصنعانی ج ۳ ص ۳۸۸.

كالخطيب) (١).

القصاصون على حقيقتهم:

إنه و إن كـان كثير من الأعيان و المعروفين كانوا يحضـرون مجالس القصاصـين، و يسـتمعون إليهم (٢)، و قد اسـتمر ذلك إلى وقت متأخر نسبيا، إلا أن أمرهم قـد افتضـح، و ظهر لأكثر الناس ما كان خافيا. و بدأ الناس يجهرون بالحقيقه، و يصـرحون بها، و نحن نذكر هنا بعضا من ذلك ليتضح الأمر، و يسفر الصبح لذى عينين، فنقول:

١- قال أبو قلابه: (ما أمات العلم إلا القصاص، يجلس الرجل إلى القاص السنه فلا يتعلم منه شيئا) (٣).

و قريب من ذلك ما عن أيوب السختيانى (۴).

٢- لقد ذكر أحد الصحابه لواحد من القصاصين: أن ظهور القصاص كان هو السبب فى ترك الناس لسنه نبيهم، و قطع أرحامهم (۵).

٣- عن أحمد بن حنبل: أكذب الناس السؤال، و القصاص (۶).وت

١- الحوادث و البدع، لأبى بكر محمد بن الوليد الطرطوشى ص ٩٩ ط تونس سنه ١٩۵٩ م.
٢- راجع: القصاص و المذكرين و غيره.
٣- ربيع الأبرار ج ٣ ص ۵٨٨ و القصاص و المذكرين ص ١٠٧ و راجع ص ١٠٨ و أضواء على السنه المحمديه ص ١٢۴.
۴- السنه قبل التدوين ص ٢١٣ عنا لجامع لآداب الراوى و أخلاق السامع ص ١۴٧
۵- راجع: مختصر تاريخ دمشق ج ١٠ ص ٢٠٢ و مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨٩ و غير ذلك.
۶- القصاص و المذكرين ص ٨٣ و راجع: طبقات الحنابله ج ١ ص ٢۵٣ و عن قوت

۴- و قال محمد بن كثير عن القصاص: أكذب الخلق على أنبيائه (۱).

۵- و صرح البعض: أن السبب فى انتشار الإسرائيليات فى كتب التاريخ و التفسير هم القصاصون (۲).

۶- و قال إبراهيم الحربى: (الحمد للّه الذى لم يجعلنا ممن يذهب إلى قاص، و لا إلى بيعه، و لا إلى كنيسه) (۳).

۷- و قال ابن قتيبه: (إن القصاص على قديم الزمان كانوا يميلون وجوه العامه إليهم، و يستدرّون ما عندهم بالمناكير، و الغريب، و الأكاذيب من الحديث) (۴).

۸- و يقول آخر: (كانوا يضعون الأحاديث فى قصصهم قصدا للتكسب و الإرتزاق، و تقربا للعامه بغرائب الروايات، و لهم فى هذا غرائب و عجائب، و صفاقه، و جدّ لا توصف) (۵).

۹- و عن أيوب: ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص (۶).

۱۰- و لما قص إبراهيم الحربى أخرجه أبوه (۷).۷.

۱- القصاص و المذكرين ص ۸۴ و راجع: تحذير الخواص ص ۸۰.

۲- تاريخ المذاهب الإسلاميه ج ۱ ص ۱۵.

۳- القصاص و المذكرين ص ۱۰۹.

۴- تأويل مختلف الحديث ص ۳۵۵- ۳۵۷.

۵- الباعث الحثيث ص ۸۵.

۶- القصاص و المذكرين ص ۸۵.

۷- القصاص و المذكرين ص ۱۰۷.

مع تفاصيل أخرى:

و لا يقتصر الأمر على ما ذكر، فإنهم يقولون عن القصاصين أيضا:

١- ما هم إلا غوغاء يستأكلون أموال الناس بالكلام (١).

٢- إنهم لا يحفظون الحديث (٢).

٣- إنهم ينسبون ما يسمعونه من الناس إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و يخلطون الأحاديث بعضها ببعض، و يتصنّعون البكاء، و الرعده.

و منهم من يصفّر وجهه ببعض الأدويه، و بعضهم يمسك معه ما إذا شمّه سال دمعه، و يتظاهرون بالصعقه، و يعملون على استماله النساء، و غير ذلك (٣).

٤- و قد أحدثوا وضع الأخبار (۴).

٥- و عامه ما يحدّث به القصاص كذب (۵).

و حسبك من جرائمهم على الحق و على الدين:

١- أن قصه الغرانيق من صنعهم (۶).

٢- و منهم من روى: أن يوسف حلّ تكّته، فلاح له أبوه (٧).ق.

١- ربيع الأبرار ج ٣ ص ٥٨٩.

٢- القصاص و المذكرين ص ۶٢/ ۶٣.

٣- راجع: القصاص و المذكرين ص ٧٨ و ٧٩ فما بعدها إلى آخر الباب.

۴- القصاص و المذكرين ص ١٨.

۵- المصدر السابق ص ١٩.

۶- القصاص و المذكرين ص ٨۵.

٧- المصدر السابق.

۳- و أن قصه داود و أوريا من وضعهم (۱).

۴- و أن قراءه القرآن بالألحان قد جاءت من قبلهم (۲).

۵- و وضع بعضهم فی ساعه واحده أحاديث كثيره حول فضل صيام يوم عاشوراء، حسب اعترافه (۳).

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه و استقصائه.

موقف علی (ع) من القصاصين:

أما بالنسبه لموقف علی (عليه السلام) المتشدد جدا من القصاصين، الذين كان منهم شخصيات مشهوره، و ذات قيمه لدى بعض الفئات، فلسوف يأتی الحديث عنه إن شاء اللّه فی فصل: لا بد من إمام.

و نكتفی هنا بالإشاره إلی موقف السائرين على نهج أمير المؤمنين على (عليه السلام)، و ذلك فی الفقره التاليه.

السائرون على نهج على (ع):

إننا إنصافا للحقيقه و للتاريخ نسجل: أن المواقف السلبيه من القصاصين لمن عدا شيعه أهل البيت (ع) قد جاءت متأخره نسبيا عن موقف أتباع مدرسه أهل البيت (ع)، الذين كانوا يسجلون إنكارهم و إدانتهم لهذا الإتجاه فی صور و مستويات مختلفه.

و قد تجد ذلك قد ورد على صوره نصائح ربما جاءت خافته إلی حد۴.

۱- المصدر السابق.

۲- المصدر السابق ص ۹۶ و ۹۷.

۳- المصدر السابق ص ۸۴.

ما، و ذلک انسجاما مع مقتضیات الواقع الذی کان یفرض قدرا من التحاشی عن الجهر بما یخالف سیاسات الحکم، و لو بهذا المستوی الضعیف و الضئیل.

و لا نرید هنا أن نسبر أغوار التاریخ لنلتقط الدلائل و الشواهد الکثیره و الغزیره من هنا هناک، بل نکتفی بذکر نماذج تشیر إلی ذلک، و هی التالیه:

١- روی مسلم بسنده عن عاصم قال:

(کنا نأتی أبا عبد الرحمان السّلمی- و نحن غلمه أیفاع- فکان یقول لنا: لا تجالسوا القصاص غیر أبی الأحوص، و إیاکم و شقیقا. و کان شقیق هذا یری رأی الخوارج، و لیس بأبی وائل) (١).

٢- عن عبد اللّه بن خباب بن الأرت قال: مرّ بی أبی، و أنا عند رجل یقص، فلم یقل لی شیئا حتی أتیت البیت. فاتّزر، و أخذ السوط یضربنی، حتی حجره الزنو، و هو یقول:

أمع العمالقه؟! أمع العمالقه؟! ثلاثا. إن هذا قرن قد طلع، إن هذا قرن قد طلع، یقولها ثلاثا (٢).

٣- بل إن ابن مسعود الذی یقال: إنه یمیل إلی علی (علیه السلام)، رغم أننا نجد: أنه کان یتأثر خطی عمر بن الخطاب بصوره ملفته و واضحه، قد سجّل أیضا إدانته للقصص من أهل الکتاب (٣)، فما ظنک بغیره من أهل العلم و المعرفه بالدین؟!٩.

١- صحیح مسلم ج ١ ص ١٥ و القصاص و المذکرین ص ١٠٧.

٢- القصاص و المذکرین ص ١٠۴ و خباب صحابی معروف. و قد مات رحمه اللّه و علی (علیه السلام) فی صفین.

٣- مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨٩.

۴- و تقدم قول أبی قلابه: ما أمات العلم إلا القصاص، و أن الرجل یجلس إلی القاص السنه، فلا یتعلم منه شیئا.

۵- و تقدم أیضا قول أحد الصحابه: إن القصاص هم السبب فی ترک الناس لسنه نبیهم، و قطیعه أرحامهم.

إلی غیر ذلک مما لا مجال لتتبعه و استقصائه.

الفصل الخامس: بین الدوافع و الأهداف و الاثار و النتائج

اشاره

آثار و نتائج:

و قد استمر المنع من كتابه الحديث و روايته عشرات السنين.

و أصبح التحاشى عنه هو الصفه المميزه لعلماء الأمه و طليعتها المثقفه. بل لقد صارت كتابه الحديث عيبا أيضا، حتى فى أوائل عهد بنى مروان (۱).

و مضت السنون و الأحقاب، و مات الصحابه الأخيار، بل أوشك التابعون على الإنقراض أيضا.

و نشأت أجيال و أجيال، لم تسمع أحدا يذكر شيئا عن نبيها، و لا عن مواقفه، و تعاليمه، و سيرته و مفاهيمه. و تربت هذه الأجيال على النهج الفكرى الذى أراده لها الحكام و المتسلطون، و الموتورون و الحاقدون، و تلامذه أهل الكتاب، المعجبون بهم.

و ذهب الدين و تلاشى، حتى لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و من الدين إلا رسمه، حسبما روى عن أمير المؤمنين على عليه الصلاهد.

۱- راجع: تقييد العلم ص ۱۱۴ و ۱۱۰ و راجع سنن الدارمى ج ۱ ص ۱۲۶ و عن المحدث الفاصل ج ۴ ص ۲۳ و جامع بيان العلم ج ۱ ص ۷۳. كان حكم بنى مروان بعد حكم آل أبى سفيان، الذى انتهى بمعاويه بن يزيد.

و السلام (۱)، الذی لم یعش إلا إلی سنه أربعین من الهجره.

ثم ازداد البلاء بعد ذلک، و برح الخفاء، إلی حد الفضیحه، فاضطر عمر بن عبد العزیز إلی القیام بعمل رمزی ضعیف و ضئیل، لم یکن له أی أثر یذکر علی الصعید العملی، علی مستوی الأجیال و الأمه. ثم بدأت الحرکه الحقیقیه باتجاه التدوین فی أواسط القرن الثانی للهجره، حسبما تقدم توضیحه.

و خلاصه الأمر: إن الحال قد تردت خلال أقل من ثلاثین سنه من وفاه النبی صلی الله علیه و آله وسلم إلی ذلک الحد الذی أشار إلیه سید الوصیین (علیه السلام). و طمست معظم معالم الدین، و محقت أحکام الشریعه، کما أکدته نصوص کثیره (۲).

و کان ذلک فی حین أن الصحابه و علماءهم کانوا لا یزالون علی قید الحیاه، و کان الناس ینقادون إلی الدین و أحکامه، و یطیعون رموزه و أعلامه.

فکیف تری أصبحت الحال بعد أن فتحت الفتوح، و مصّرت الأمصار، و دخلت أقطار کثیره أو أظهرت الدخول فی الإسلام، تحت و طأه الفتوحات، التی قامت بها السلطه الحاکمه آنذاک. و کان أن تضخمت الحاله السکانیه، و اتسعت رقعه العالم الإسلامی، فی فتره قصیره جدا، و بسرعه هائله.۲.

۱- راجع: نهج البلاغه الحکمه رقم ۳۶۹ و الحکمه رقم ۱۹۰.

۲- راجع: المصنف للصنعانی ج ۲ ص ۶۳ و مسند أبی عوانه ج ۲ ص ۱۰۵ و البحر الزخار ج ۲ ص ۲۵۴. و کشف الأستار عن مسند البزار ج ۱ ص ۲۶۰ و مسند أحمد ج ۴ ص ۴۲۸ و ۴۳۲ و ۴۴۱ و ۴۴۴ و مروج الذهب ج ۳ ص ۸۵ و الغدیر ج ۸ ص ۱۶۶ و مکاتیب الرسول ج ۱ ص ۶۲.

لقد كان من الطبيعى: أن يأخذ هؤلاء الوافدون جديدا على الإسلام ثقافتهم الدينيه من الناس الذين التقوا بهم، و عاشوا معهم، أو تحت سلطتهم و هيمنتهم.

فإذا كان هؤلاء ضائعين، جهالا ـ بأحكام الشريعه، و بحقائق الدين، فما ظنك بالتابعين لهم و الآخذين عنهم، فإنهم سوف لا يأخذون عنهم إلا ثمرات ذلك الجهل، و آثار ذلك الضياع.

نصوص و شواهد:

و من الشواهد على هول ما حدث:

أننا نقرأ عن عدد من الصحابه و غيرهم: أنهم قد تنبهوا للمأساه، و عبروا عنها بأنحاء مختلفه. و نذكر من ذلك هنا النصوص التاليه:

۱- قد تقدم قول أمير المؤمنين (عليه السلام): لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و من الدين إلا رسمه.

۲- روى الإمام مالك عن عمه أبى سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال:

(ما أعرف شيئا مما أدركت الناس عليه إلا النداء بالصلاه) (۱).

قال الزرقانى، و الباجى: (يريد الصحابه، و أن الأذان باق على ما كان عليه، و لم يدخله تغيير، و لا تبديل، بخلاف الصلاه، فقد أخرت عن أوقاتها، و سائر الأفعال دخلها التغيير إلخ ...) (۲).ى.

۱- الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج ۱ ص ۹۳ و جامع بيان العلم ج ۲ ص ۲۴۴.

۲- شرح الموطأ للزرقانى ج ۱ ص ۲۲۱ و تنوير الحوالك ج ۱ ص ۹۳/ ۹۴ عن الباجى.

۳- أخرج الشافعی من طریق وهب بن کیسان، قال: رأیت ابن الزبیر یبدأ بالصلاه قبل الخطبه، ثم قال:

(کل سنن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم قد غیّرت، حتی الصلاه) (۱).

۴- یقول الزهری: دخلنا علی أنس بن مالک بدمشق، و هو وحده یبکی، قلت: ما یبکیک؟!

قال: (لا أعرف شیئا مما أدرکت إلا هذه الصلاه، و قد ضیعت) (۲).

۵- و قال الحسن البصری: لو خرج علیکم أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ما عرفوا منکم إلا قبلتکم) (۳).

و نقول: حتی القبله قد غیّرت، و جعلوها إلی بیت المقدس، حیث الصخره قبله الیهود، کما تقدم فی الفصل الأول من هذا الکتاب.

۶- و قال أبو الدرداء: (و اللّه لا أعرف فیهم من أمر محمد صلی الله علیه و آله وسلم شیئا إلا أنهم یصلون جمیعا) (۴).

۷- و عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص؛ أنه قال: (لو أن رجلین من أوائل هذه الأمه خلوا بمصحفیهما فی بعض هذه الأودیه، لأتیا الناس الیوم، و لا یعرفان شیئا مما کانا علیه) (۵).۱.

۱- کتاب الأم للشافعی ج ۱ ص ۲۰۸ و الغدیر ج ۸ ص ۱۶۶ عنه.

۲- جامع بیان العلم ج ۲ ص ۲۴۴ و راجع المصادر التالیه: ضحی الإسلام ج ۱ ص ۳۶۵ و الجامع الصحیح ج ۴ ص ۶۳۲ و الزهد و الرقائق ص ۳۱ و فی هامشه عن طبقات ابن سعد ترجمه أنس، و عن الترمذی، و عن البخاری ج ۱ ص ۱۴۱.

۳- جامع بیان العلم ج ۲ ص ۲۴۴.

۴- مسند أحمد بن حنبل ج ۶ ص ۲۴۴.

۵- الزهد و الرقائق ص ۶۱.

و عن الإمام الصادق (علیه السلام)- و قد ذکرت هذه الأهواء عنده فقال:

(لا و اللّه، ما هم علی شی ء مما جاء به رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلا استقبال الکعبه فقط) (۱).

۸- و حینما صلی عمران بن حصین خلف علی (علیه السلام) أخذ بید مطرف بن عبد اللّه، و قال: لقد صلی صلاه محمد، و لقد ذکرنی صلاه محمد صلی الله علیه و آله وسلم .

و کذلک قال أبو موسی حینما صلی خلف علی (علیه السلام) (۲).

الهاشمیون فی زمن السجاد:

۸- و أخیرا، فقد ذکروا: أن الناس و الهاشمیین فی زمن السجاد (علیه السلام) إلی أن مضت سبع سنین من إمامه الباقر (علیه السلام) کانوا لا یعرفون کیف یصلون، و لا کیف یحجون (۳).۷.

۱- البحار ج ۶۸ ص ۹۱ و قصار الجمل ج ۱ ص ۳۶۶.

۲- راجع: أنساب الأشراف ج ۲ ص ۱۸۰ ط الأعلمی و سنن البیهقی ج ۲ ص ۶۸ و کنز العمال ج ۸ ص ۱۴۳ عن عبد الرزاق و ابن أبی شیبه و المصنف للصنعانی ج ۲ ص ۶۳ و مسند أبی عوانه ج ۲ ص ۱۰۵ و مسند أحمد ج ۴ ص ۴۲۸ و ۴۲۹ و ۴۴۱ و ۴۴۴ و ۴۰۰ و ۴۱۵ و ۳۹۲ فی موضعین و ۴۳۲ و الغدیر ج ۱۰ ص ۲۰۲ و ۲۰۳ و کشف الأستار عن مسند البزار ج ۱ ص ۲۶۰ و البحر الزخار ج ۲ ص ۲۵۴. و عن المصادر التالیه: صحیح البخاری ج ۲ ص ۲۰۹ و صحیح مسلم ج ۱ ص ۲۹۵ و سنن النسائی ج ۱ ص ۱۶۴ و سنن أبی داود ج ۵ ص ۸۴ و سنن ابن ماجه ج ۱ ص ۲۹۶ و فتح الباری ج ۲ ص ۲۰۹ و المصنف لإبن أبی شیبه ج ۱ ص ۲۴۱.

۳- کشف القناع عن حجیه الإجماع ص ۶۷.

فإذا كانت الصلاه التى هى عمود الدين، و الركن الأعظم فى الإسلام، و يؤديها كل مسلم خمس مرات يوميا، كان لا يعرف حدودها و أحكامها أقرب الناس إلى مهبط الوحى و التنزيل الذين يفترض فيهم أن يكونوا أعرف من كل أحد بالشريعه و أحكام الدين!، فكيف تكون حاله غيرهم من أبناء الأمه، الذين هم أبعد عن مصدر العلم و المعرفه، و ما هو مدى اطلاعهم على أحكام الشريعه يا ترى؟!.

و إذا كانت أوضح الواضحات قد أصبحت مجهوله إلى هذا الحد، فما هو مدى معرفه الناس، و بالأخص البعيدين منهم عن مصدر العلم و المعرفه، بالأحكام الأخرى، التى يقل الإبتلاء بها، و التعرض لها، و السؤال عنها؟!

لا مبالغه و لا تهويل:

و قد يظن القارئ: أننا نبالغ فى تصويرنا لحقيقه ما تمخضت عنه تلك السياسه الخبيثه تجاه حديث الرسول صلى الله عليه و آله وسلم ، و تجاه القرآن و الإسلام.

و قد يظن مثل ذلك بالنسبه للأقوال الآنفه الذكر التى تقرر: أنه لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و من الدين إلا رسمه. أو لم يبق إلا الأذان بالصلاه، أو أن صلاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم أصبحت منسيه حتى من قبل صحابته صلى الله عليه و آله وسلم ، حتى ذكّرهم بها على أمير المؤمنين (عليه السلام) ... إلى آخر ما قدمناه.

و لكننا نأسف حين نقول للقارئ: إن هذه هى الحقيقه، كل الحقيقه، و ليس فيها أى مبالغه، أو تضخيم.

و من أجل التأكيد على ما سبق نورد للقارئ بعض الشواهد و الوقائع لتكون دليلا ملموسا على ما نقول، مع التزامنا القوى فى أن لا نذكر شيئا من تلك الشواهد الكثيره و المتضافره على جهل الخلفاء- باستثناء على

(ع)- بأحكام شرعيه هى من أبده البديهيات، و أوضح الواضحات؛ لأننا نخاف أن توجّه إلينا أصابع الإتهام بالتعصب على هذا أو ذاک، و باراده تسجيل إدانه لهم من موقع التحامل المذهبى عليهم.

مع أننا نطمئن القارئ الكريم بأن العلامه الأمينى رحمه اللّه، قد أغنانا فى كتابه القيّم (الغدير) عن ذلك، لأنه حشد فيه من الوقائع و الشواهد على ذلك الشى ء الكثير، و الكثير جدا، عن مصادر بالغه الكثره و الوثاقه لدى من يتولونهم، و يدافعون عنهم بكل حيله و وسيله.

فضائح لا تطاق:

و الشواهد التى نريد أن نوردها هنا، و تصل إلى حد الفضيحه، هى التاليه:

۱- يقول ابن عباس لأهل البصره، و هو على المنبر: أخرجوا صدقه صومكم.

فلم يفهم الناس مراده؛ فطلب أن يقوم من كان من أهل المدينه حاضرا، بتوضيح ذلك للناس؛ (فإنهم لا يعلمون من زكاه الفطره الواجبه شيئا) (۱).

كان هذا هو حال البصره، التى مصّرت فى عهد الخليفه الثانى عمر بن الخطاب، فإن أهلها لا يفهمون حتى لغه الشريعه، و لم يعرفوا عن زكاه الفطره شيئا، رغم أن من المفروض أن يكون ذلك من البديهيات، فما ظنك بعد هذا بأولئك الذين تفتح بلادهم، و يعلنون إسلامهم، و هم عشرات الألوف. و ليس لديهم من يعلمهم، و لا من يدلهم و يرشدهم.

و قد كانت لا تزال تضاف إلى الممالك الإسلاميه مناطق واسعه،۱.

۱- الأحكام فى أصول الأحكام ج ۲ ص ۱۳۱.

و بلاد شاسعه، مملوءه بالسکان، دون أن یتصدی لتعلیمهم و تثقیفهم أحد من الناس.

۲- و قد کان جیش بأکمله من هؤلاء الفاتحین للبلاد، و المفترض أنهم هم حمله الإسلام إلی سائر الأمم التی تخضع لهم، و تقبل ببسط سلطتهم- إن هذا الجیش- لم یکن فیه أحد یعرف: أن الوضوء علی من أحدث، حتی بعث قائدهم، أبو موسی الأشعری من ینادی فیهم بذلک (۱).

مع أن أمر الوضوء من أوضح الواضحات، و یمارسه کل أحد کل یوم عده مرات.

فإذا کان هؤلاء یجهلون ذلک، فما ظنک بالناس الذین یفترض فیهم أن یأخذوا أحکام دینهم و عباداتهم من هؤلاء الجهله بالذات، و هم المعلمون و الأساتذه، و المربون لهم؟!!.

۳- لقد أشار الخلیفه الثانی إلی أن الناس کانوا یعرفون جهل کبار الصحابه بأحکام الربا، فهو یقول:

(إنکم تزعمون: أنّا لا نعلم أحکام الربا. و لأن أکون أعلمها أحب إلیّ من أن یکون لی مثل مصر، و کورها) (۲).

۴- کما أن ابن مسعود لم یکن یدری: أن صرف الفضه بالفضه لا یصلح إلا مثلا بمثل (۳).۶.

۱- حیاه الصحابه ج ۱ ص ۵۰۵ عن کنز العمال ج ۵ ص ۱۱۴ و عن معانی الآثار للطحاوی ج ۱ ص ۲۷.
۲- المصنف للصنعانی ج ۸ ص ۲۶ و السنن الکبری ج ۳ ص ۲۳.
۳- راجع: المصنف للصنعانی ج ۸ ص ۱۲۳ و ۱۲۴ و السنن الکبری ج ۵ ص ۲۸۲، و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۱۱۶.

۵- و أنکر معاویه أیضا: أن یکون ذلک من الربا (۱).

و نقول:

إنه إذا کان الصحابه، حتی الخلیفه الثانی و معاویه، و حتی ابن مسعود المشهور بعلمه و فضله، لا یدرون ذلک، فما حال غیرهم من سائر الناس، فضلا عن أولئک الذین لم یروا النبی صلی الله علیه و آله وسلم و لا عاشوا معه، بل سمعوا باسمه، لا أکثر و لا أقل؟!.

۶- لقد شکا أهل الکوفه إلی عمر، سعد بن أبی وقاص: أنه لا یحسن یصلی (۲).

۷- إن ابن عمر، لا یحسن أن یطلق امرأته، حیث طلقها ثلاثا فی طهر کان واقعها فیه، فاستحمقوه لأجل ذلک (۳).

۸- إن ابن مسعود قد أفتی رجلا فی الکوفه بجواز أن یتزوج أم زوجته التی طلقها قبل الدخول، ففعل ذلک، و بعد أن ولدت له أم زوجته ثلاثه أولاد، و عاد ابن مسعود إلی المدینه، و سأل عن هذه المسأله، فأخبروه بعدم جواز ذلک، فعاد إلی الکوفه، و أمر ذلک الرجل بفراق تلک المرأه، بعد کل ما حصل (۴).۹.

۱- المصنف للصنعانی ج ۸ ص ۳۴ و السنن الکبری ج ۵ ص ۲۸۲ و ۲۷۷ و ۲۷۶ و عن صحیح مسلم ج ۲ ص ۲۵ و ۵۲.
۲- سیأتی ذلک مع مصادره فی غزوه أحد.
۳- راجع: صحیح مسلم ج ۴ ص ۱۸۱ و راجع ص ۱۷۹ و ۱۸۲ و الغدیر ج ۱۰ ص ۳۹ و راجع: مسند أحمد ج ۲ ص ۵۱ و ۶۱ و ۶۴ و ۷۴ و ۸۰ و ۱۲۸ و ۱۴۵ و عن صحیح البخاری ج ۸ ص ۷۶ و عن تاریخ الأمم و الملوک ج ۵ ص ۳۴ و عن الکامل فی التاریخ ج ۳ ص ۲۷ و عن الصواعق المحرقه ص ۶۲ و عن فتح الباری ج ۷ ص ۵۴ و صححه کل ذلک فی الغدیر.
۴- راجع: المصنف للصنعانی ج ۶ ص ۲۷۳ و ۲۷۴ و السنن الکبری ج ۷ ص ۱۵۹.

كما أن مسروقا و معاويه كانا لا يعرفان حكم هذه المسأله أيضا (۱).

۹- إنهم إنما كانوا يعرفون قراءه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى صلاته؛ باضطراب لحيته (۲).

۱۰- لقد أفتى عبد اللّه بن عمر، و عبد اللّه بن عمرو (۳): أن ماء البحر لا يجزى من وضوء و لا جنابه.

و قريب من هذا روى عن سعيد بن المسيب (۴) و روى مثل ذلک عن أبى هريره أيضا (۵).

و مما يضحک الثكلى:

هـذا، و قـد ذكر لنا الزبير بن بكار و غيره نموذجا مخجلا، يضـحک حتى الثكلى من خطب عدد من ساده القبائل (۶)، ممن كان الخلفاء۵.

۱- راجع: المصنف ج ۶ ص ۲۷۴ و ۲۷۵.
۲- صحيح البخارى ط سنه ۱۳۰۹ ه. ج ۱ ص ۹۰ و ۹۳ و مسند أحمد ج ۵ ص ۱۰۹ و ۱۱۲، و السنن الكبرى ج ۲ ص ۳۷ و ۵۴ عن الصحيحين، و البحر الزخار ج ۲ ص ۲۴۷ و جواهر الأخبار و الآثار (مطبوع بهامش البحر الزخار) ج ۲ ص ۲۴۷ عن أبى داود و الترمذى، و الإنتصار، و النسائى، و البخارى.
۳- راجع: المصـنف للصنعانى ج ۱ ص ۹۳ و المغنى لإبن قـدامه ج ۱ ص ۸ و الشـرح الكبير بهامشه ج ۱ ص ۷ و راجع: تحفه الأحوذى ج ۱ ص ۲۳۱ ط دار الفكر، و الخلاف ط جماعه المدرسـين ج ۱ ص ۵۱ و المحلى ج ۱ ص ۲۲۱ و نيل الأوطار ج ۱ ص ۲۰ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۳ ص ۵۳ و عن المصنف لإبن أبى شيبه ج ۱ ص ۸۸.
۴- راجع: الخلاف ج ۱ ص ۵۱ و تحفه الأحوذى ج ۱ ص ۲۳۱ و نيل الأوطار ج ۱ ص ۲۰.
۵- نيل الأوطار ج ۱ ص ۲۰ و المحلى ج ۱ ص ۲۲۱ و تحفه الأحوذى ج ۱ ص ۲۳۱.
۶- الموفقيات ص ۲۰۳- ۲۰۵ و راجع: جمهره خطب العرب ج ۳ ص ۳۵۵.

يولونهم أمور الناس فى عنفوان الدوله الأمويه.

و هى إن دلت على شـى ء فإنما تـدل على مدى الإنحطاط الفكرى الذى كان يهيمن على طبقه الرؤساء و أصـحاب النفوذ آنئذ، فكيف يمكننـا أن نتصور حـاله سـائر النـاس ممن كـانوا لاـ يملكون إمكانيات حتى الحصول على لقمه العيش، و الاحتفاظ برمق الحياه.

قال الزبير بن بكار:

(شـكا عبد اللّه بن عامر الى زياد بن أبيه– و هو كاتبه على العراق الحصـر على المنبر، فقال: (اما انک لو سمعت كلام غيرک فى ذلک الموقف استكثرت ما يكون منک).

قال: فكيف اسمع ذاک.؟!

قال: رح يوم الجمعه وكن من المقصوره بالقرب حتى اسمعک خطب الناس.

فلمـا كان يوم الجمعه قال زياد: (ان الأمير سـهر البارحه فليس يمكنه الخروج الى الصـلاه. و التفت الى رجل من ساده بنى تميم، فقال له: قم فاخطب، و صلّ بالناس.

فلما أوفى على ذروه المنبر قال: الحمد للّه الذى خلق السماوات و الارض فى سته اشهر.

قالوا: قبحک اللّه.– جل ثناؤه– يقول: فى سته أيام. و تقول انت:

فى سته اشهر. فنزل و التفت الى شريف لربيعه فقال له: قم فاخطب.

فلما ارتقى على المنبر ضرب بطرفه، فوقع على جار له كان يخاصمه فى حد بينهما.

فقال: الحمد للّه. و ارتج عليه. فقال لجاره: اما بعد فان نزلت اليک يا اصلع لأفعلن بک، و لأفعلنّ.

فانزلوه. فالتفت إلی رئیس من رؤساء الأزد، فقال له: انهض فأقم للناس صلاتهم، فلما تسنم المنبر قال:

الحمد للّه، و لم یدر ما یقول بعد ذلک، فقال: أیها الناس، قد و اللّه هممت أن لا أحضر الیوم، فقالت لی إمرأتی: انشدتک باللّه إن ترکت فضل الصلاه فی المسجد یوم الجمعه، فاطعتها، فوقفت هذا الموقف الذی ترون. فاشهدوا جمیعا انها طالق. فأنزلوه إنزالا عنیفا.

و أرسل زیاد إلی عبد اللّه بن عامر، انه لیس أحد یقیم صلاتهم، و لا بد ان تحمل علی نفسک. فخرج فخطب فتبین فضله فی الناس علی سائر الناس. (۱)

الترکه الموروثه:

أما بالنسبه إلی حجم الترکه التی ورثها الناس عن سلفهم الصالح (علی حد تعبیرهم) فقد ادّعوا: أنه قد وصل إلیهم من حدیث رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم - من غیر طریق أهل البیت (علیهم السلام)- نزر قلیل، لا یتناسب مع الحاجات التی تواجه الناس، و لا تتوافق مع هذا التراث الضخم جدا، الذی سطره علماؤهم عبر القرون المتمادیه، فهم یقولون:

۱- إن حدیث النبی صلی الله علیه و آله وسلم أربعه آلاف حدیث (۲).

۲-عن أحمد بن حنبل: (الأصول التی یدور علیها العلم عن النبی (صلی اللّه علیه و آله) ینبغی أن تکون ألفا و ماءتین) (۳).۱.

۱- الأخبار الموفقیات ص ۲۰۳- ۲۰۴ ح ۱۱۹.

۲- علوم الحدیث لإبن الصلاح ص ۳۶۷ و الباعث الحثیث ص ۸۵ و السنه قبل التدوین عن فتح المغیث ج ۴ ص ۳۹ و عن تلقیح فهوم أهل الآثار.

۳- إرشاد الفحول ص ۲۵۱.

۳- لکن نصا آخر یقول: إنه لم یصل إلی الأمه سوی خمس مئه حدیث فی أصول الأحکام، و مثلها فی أصول السنه (۱).

ثم إنهم یقولون: إن هـذا الواصل لم یصح منه عندهم إلا أقل القلیل، حیث قد بلغت روایه أبی حنیفه سبعه عشر حدیثا فقط. أما مالک، فإنما صح عنده ما فی کتاب الموطّأ، (و غایتها ثلاث مئه حدیث، أو نحوها) (۲).

فمن أین إذن جاءت هذه الآلاف المؤلفه من الأحادیث التی وصفوها بالثبوت و الصحه، فملأت صحیحی البخاری و مسلم، و مستدرک الحاکم، و باقی الصحاح الست، و صحیح ابن حبان، و صحیح أبی عوانه. و غیر ذلک کثیر.

هذا فضلا عن غیرها من مئات الألوف بل الملایین من الأحادیث التی یزعم حفاظ الحدیث أنها عندهم.

بل إن أحمـد بن حنبل الذی یقول ما قدمناه هو نفسه قد ألف المسـند الذی یضم أربعین ألف حدیث، منها عشره آلاف مکرره (۳).

و یزعمون: أنه لیس فیه حدیث موضوع عدا ثلاثه أو أربعه أحادیث تکلّموا فیها.

بل لا یتأتی الحکم بکون واحد منها موضوعا إلا الفرد النادر، مع۶.

۱- مناقب الشافعی ج ۱ ص ۴۱۹ و عن الوحی المحمدی لمحمد رشید رضا ص ۲۴۳.

۲- المقدمه لإبن خلدون ص ۴۴۴ و أضواء علی السنه المحمدیه ص ۳۸۸.

۳- بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۳۶.

الاهتمام القوی فی دفع ذلک (۱).

نعم، من أین جاءت هذه الأحادیث و الروایات، إن ذلک لمریب حقا. و إنه أیضا لغریب و عجیب!!

نظریه التطور عند أهل الحدیث:

قد ظهر مما تقدم: أن الأحادیث التی کان قد بلغ تداولها إلی درجه الصفر أو کاد، قد بدأت بعد السماح للناس بالروایه، بعد عشرات السنین تظهر علیها أعراض التضخم المطّرد بصوره غیر طبیعیه، و بدون أیه ضابطه أو رابطه.

إذ أن مراجعه جامعه لکتب تراجم الحفاظ و أهل الحدیث، و من یسمونهم بالفقهاء مثل تذکره الحفاظ للذهبی (۲) و غیره تعطینا أمرین:

أحدهما: أنها تعظّم و تفخم و تخلع مختلف الألفاظ الداله علی الحفظ و العلم، و التبحر علی أشخاص کثیرین، بل تصف بعضهم بأنه وحید فی مصره أو فی عصره. ثم یظهر: أنه إنما کان یحفظ ثلاث مئه حدیث، أو لم یثبت لدیه سوی سبعه عشر حدیثا، أو لا یعرف أنه یحرم الزواج بأم الزوجه، أو ما إلی ذلک مما ألمحنا إلیه.

الثانی: إن ملاحظه طبقات الحفاظ تعطینا تدرجا ملفتا للنظر فی حجم الأحادیث، فتجد أن طبقه کبیره فی الصدر الأول یوصف الحافظ۳.

۱- راجع: تعجیل المنفعه برجال الأربعه ص ۶. و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۳۷ عنه. و القول المسدد فی الذب عن المسند للإمام أحمد، لإبن حجر العسقلانی. و ذیل القول المسدد للمدراسی.

۲- شرف أصحاب الحدیث ص ۱۱۵ و فضل الإعتزال و طبقات المعتزله لعبد الجبار ص ۱۹۳.

منها بأن عنده ثلاثون أو ستون حديثا، أو مئه أو عشره أحاديث، أو مئتا حديث، و نحو ذلك.

ثم إذا تقدم الزمان قليلا يترقى العدد ليتراوح بين الألف و الألفين، و الثلاثه و الخمسه و نحو ذلك.

ثم فى فتره لا حقه يترقى العدد إلى بضع عشرات: عشرين ألفا، ثلاثين، و هكذا ..

ثم تأتى فتره فتوصل الأعداد إلى مئه ألف أو مئتين أو ثلاث مئه.

ثم يقفز العدد إلى الست و السبع مئه، و إلى المليون حديث، و أكثر من ذلك حتى ليفوز بعضهم مثل شعبه بلقب أمير المؤمنين فى الحديث (۱).

و لا ننسى هنا: أن نستشهد لهذا الذى ذكرناه بأننا فى حين نجد:

أن القاضى عبد الجبار يصرح بأن أحاديث التجسيم و التشبيه من أخبار الآحاد (۲).

و قال أحمد بن حنبل: إن بعض أهل الحديث أخبره:

أن يحيى بن صالح (المتوفى سنه ۲۲۲ ه.) (۳) قال: (لو ترك أصحاب الحديث عشره أحاديث، يعنى هذه التى فى الرؤيه).

ثم قال أحمد: (كأنه نزع إلى رأى جهم) (۴).ب-

۱- و راجع: الباعث الحثيث ص ۱۸۶ و ۱۸۷.

۲- فضل الإعتزال، و طبقات المعتزله ص ۱۹۳ و ۱۵۸.

۳- راجع: سير أعلام النبلاء ج ۱ ص ۴۵۶ و التاريخ الكبير ج ۸ ص ۲۸۲ و تهذيب التهذيب ج ۱۱ ص ۲۳۰.

۴- سير أعلام النبلاء ج ۱۰ ص ۴۵۵ و العلل و معرفه الرجال ج ۱ ص ۱۸۷ و تهذيب-

فيحيى بن صالح الذى يروى له البخارى، و أصحاب الصحاح الست سوى النسائى (۱) يريد أن يقول: إن الاعتقاد برؤيه اللّه قائم على عشره أحاديث فقط. بل صرح بعضهم: بأن أخبار الرؤيه لا تزيد على ثمانيه أحاديث (۲).

و لكننا بعد حوالى نصف قرن من الزمن نجد ابن خزيمه الذى يصفونه بأنه (إمام الأئمه) يؤلف كتابا بعنوان (التوحيد و إثبات صفات الرب) يبلغ عدد صفحاته حوالى أربع مئه صفحه، قد شحنه بأحاديث التجسيم، و أحاديث الرؤيه من أوله إلى آخره، و فيه الكثير مما يدل على أن للّه تعالى يدا، و رجلا، و عينا، و إصبعا، و ساقا و وإلخ ... تعالى اللّه عما يقوله الجاهلون و المبطلون علوا كبيرا.

فمن أين جاءت هذه الأحاديث؟ و كيف و متى لفقت و اخترعت؟! لا ندرى، غير أننا وجدنا الإمام الشافعى ينقل عن القاضى أبى يوسف، الذى عاش فى أواخر القرن الثانى قوله:

(و الروايه تزداد كثره، و يخرج منها ما لا يعرف، و لا يعرفه أهل الفقه، و لا يوافق الكتاب و لا السنه) (۳).

و ذلك يفسر لنا العديد من الظواهر الأخرى الملفته للنظر، مما سنشير إلى بعض منه فيما يلى من مطالب.۸.

۱- راجع: مقدمه فتح البارى ص ۴۵۲ و تهذيب التهذيب ج ۱۱ ص ۲۲۹.

۲- المغنى للقاضى عبد الجبار ج ۴ ص ۲۲۸ و ص ۲۲۵ و ۲۳۰ و ۲۳۳.

۳- الأم للشافعى ج ۷ ص ۳۰۸.

الوضع و الوضاعون:

و بعـد مـا تقـدم، فإننـا سوف لن نفاجـأ إذا سـمعناهم يحكمون على ۱۲ أو ۱۴ أو ۳۵ ألف حـديث، بـل على مئـات الألوف من الأحاديث بالكذب و الوضع و الإختلاق؛ و كثير من هذا المختلق و الموضوع قد جاء لأهداف مختلفه، و منها: لإرضاء الملوك و تأييد سلطانهم، و تحقيق أهدافهم و مآربهم (۱).

و قد ذكر العلامه الأمينى فى كتابه الغدير ج ۵ ص ۲۸۸- ۲۹۰ قائمه بالموضوعات بلغت ۴۰۸۶۸۴ حديثا فراجع.

و حتى تلك الأحاديث التى سـكتوا عنها أو حكموا بصـحتها، و هى تعد بعشرات الألوف و الملايين (۲)، و قد زخرت بها كتب صحاحهم و مجاميعهم الحديثيه، فإنها تصبح موضع شك و ريب، بل إننا لنطمئن لعدم صحه الكثير منها، من الأساس.ک.

۱- راجع: على سبيـل المثـال التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۲۰۸ و الكفـايه فى علم الروايه ص ۴۳۱ و راجع: المجروحون ج ۱ ص ۱۵۶ و ۱۸۵ و ۱۵۵ و ۱۴۲ و ۹۶ و ۶۳ و ص ۶۵ حول وضع الحـديث للملوك. و راجع: البـاعث الحثيث ص ۸۴ و بحوث فى تاريخ السـنه المشرفه ص ۳۲ و ۳۳ و لسـان الميزان ج ۳ ص ۴۰۵ و ج ۵ ص ۲۲۸ و الفوائـد المجموعه ص ۴۲۶ و ۴۲۷ و أى كتـاب يتحـدث عـن الموضوعـات فى الأخبـار و الآثـار مثـل اللآلـى ء المصـنوعه للسـيوطى، و الأسـرار المرفـوعه للشوكـانى و الموضوعات للفتنى، و غير ذلك.

۲- راجع على سبيـل المثال: التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۲۰۲- ۲۰۸ و ۴۰۷ و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۴۱۴ و لسان الميزان ج ۳ ص ۴۰۵ و تـذكره الحفاظ ج ۲ ص ۶۴۱ و ۴۳۰ و ج ۱ ص ۲۵۴ و ۲۷۶ و هـذا الكتاب مملوء بهـذه الأرقام العاليه و المخيفه، فليراجعه طالب ذلك.

الحاجه أمّ الإختراع:

و بعـد، فـإذا كان كبار الصـحابه، و ابن مسـعود لا يعرفون أحكام الربا، و ابن عمر لا يعرف كيف يطلّق امرأته، و جيش بأكمله لا يعرف أن الوضوء على من أحدث إلى آخر ما تقدم.

فـإن مـن الطـبيعى: أن يرى النـاس فى من يـدّعى أنه يحفـظ ثلاـثين أو أربعين حـديثا، أو مئه أو مـاءتى حـديث، أو عرف بعض الأحكام عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : أنه أعلم العلماء، و أفقه الفقهاء فى عصره، أو فى مصره، أو بلده. و أن يصبح هو الملاـذ و المرجع و الموئل لهم فيما ينوبهم من أمور دينهم. و يتلمـذون عليه، و يأخـذون عنه أحكامهم، و شـريعه نبيهم، كما يظهر جليـا من مراجعه كتب التراجم و الرجـال، التى تمثـل التيار العام لبعض الفئات، التى كانت تنسـجم مع سـياسات الحكام، و ترتبط بها بنحو أو بآخر.

و من جهه أخرى؛ فإن هـذا العالم الجليل!! إذا وجـد نفسه فى موقع كهـذا، و واجه الواقع، و احتاج إلى المزيد مما ليس عنده منه أثاره من علم، فلسوف يبحث عما يلبى له حاجته، و يوصـله إلى بغيته. و أين؟ و أنّى له أن يجـد ذلك إلا عنـد أناس، أخـذ على نفسه (أو أخـذ الحكـام عليه و على النـاس): أن لاـ يتصـلوا بهم، و لا يأخـذوا شـيئا عنهم، و هم أهل بيت النبوه، و معـدن الرساله عليهم الصلاه و السلام.

فلا غرو بعـد هـذا إذا رإينا هـذا الرجل الجليل يبادر إلى ما هو أسـهل و أيسـر، فيضـيف من عنـد نفسه، و على حسابه الخاص ما شاءت له قريحته، و سمحت له به همّته، حيث لا رقيب عليه و لا حسيب، و لا مانع من ضمير، و لا رادع من وجدان.

الفقه و الفقهاء:

أما بالنسبه إلى فقه الفقهاء، و مذاهب العلماء، فقد أصبح من المفهوم: أن وراء الأكمه ما وراءها، حين نرى أن فقه أبى حنيفه، و مالك، و الشافعى، و غيرهم يتسع و يتضخم، و يزيد و يتورم، حتى تضيق عنه المجلدات الكثيره و آلاف الصفحات. مع ما نراه من استنادهم إلى المئات و الألوف من الروايات التى كانت تلك حالها، و ذاك مآلها!!

فاقرأ و اعجب، فما عشت أراك الدهر عجبا!!

أما ما يستندون إليه، و يعتمدون عليه فى غير الفقه، فذلك حدّث عنه و لا حرج؛ و هو يصل إلى الألوف الكثيره، كما يظهر من تتبع مختلف المواضع و المواقع.

يعترفون .. ثم يتهمون:

و من الطريف أن نذكر هنا: أنهم فى حين يعترفون بأنهم قد وضعوا أحاديث فى فضائل أبى بكر، و عمر، و عثمان، ردا على من ينتقص منهم (۱).

و يعترفون أيضا: بأنه عندما كثر سبّ الصحابه (و هو أمر لم يحصل.

و ما حصل هو مجرد التعريف ببعض ما ارتكبه أشخاص منهم، تحبهم الهيئه الحاكمه، أو ممن كانوا أحد أركانها، ردا على الغلو الحاصل فيهم، حتى لتعتبر أقوالهم سنه، و ما إلى ذلک) فقد وضعت أحاديث فى فضل الصحابه جميعا، أو فى فضل جمع منهم (۲).ه.

۱- راجع: اللآلى المصنوعه ج ۱ ص ۲۸۶ و ۳۱۵/ ۳۱۶ و ۴۱۷ و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص ۲۲ عنه و عن تنزيه الشريعه ج ۱ ص ۳۷۲ و ج ۲ ص ۴.

۲- اللآلى المصنوعه ج ۱ ص ۴۲۸ و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص ۲۲ عنه.

إنهم مع انهم يعترفون بهذا، لكنهم يتهمون بعض الشيعه بوضع أحاديث فی فضل علی، و الطعن فی معاويه (۱).

مع أن عليا فی غنی عن ذلک، و لا يمكن لأحد أن يضع أكثر مما قاله رسول اللّه صلی الله عليه و آله وسلم فی حقه، مما ثبت بالآثار الصحيحه و المتواتره، و التی تفوق حد الإحصاء.

كما أنه يكفی معاويه التعريف بما ثبتت روايته عن رسول اللّه صلی الله عليه و آله وسلم فی حقه مما لا يجهله أحد، حتی إن النسائی قد نال شرف الشهاده حينما أظهر حديثا واحدا منها (۲)، فكيف لو أراد إظهار كل ما يعرفه، مما رواه عن رسول اللّه صلی الله عليه و آله وسلم فی حقه؟!

التجنی علی العراقيين:

اشاره

و قد كان العراق موطنا لعلی (عليه السلام) مده خلافته، و قد ناصر العراقيون عليا، و رأوا ورووا بعض فضائله (عليه السلام). و قاتلوا الناكثين و المارقين و القاسطين معه، فعاداهم الناس، و اتهموهم بالكذب و الوضع لأجل ذلک، و فرضوا عليهم حصارا ثقافيا و إعلاميا.

و لعل أول من بادر إلی اتهامهم بذلک هو أم المؤمنين عائشه (۳) التی ٠.

۱- اللآلی المصنوعه ج ۱ ص ۳۲۳ و بحوث فی تاريخ السنه المشرفه ص ۲۲ عنه و عن ابن تيميه فی المنتقی من منهاج الإعتدال ص ۳۱۳.

۲- الحضاره الإسلاميه فی القرن الرابع الهجری ج ۱ ص ۱۲۱ و راجع: وفيات الأعيان ج ۱ ص ۷۷ ط بيروت و البدايه و النهايه ج ۱۱ ص ۱۲۴ و مرآه الجنان ج ۲ ص ۲۴۱ و تذكره الحفاظ ج ۲ ص ۷۰۰ و راجع ص ۶۹۹ و شذرات الذهب ج ۲ ص ۲۴۰ و راجع: سير أعلام النبلاء ج ۱۴ ص ۱۳۲ و تهذيب الكمال ج ۱ ص ۳۳۹ و تهذيب التهذيب ج ۱ ص ۳۸ و المنتظم ج ۶ ص ۱۳۱.

۳- بحوث فی تاريخ السنه المشرفه ص ۲۴ و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ۱ ص ۷۰.

لقیت علی أیدیهم فی حرب الجمل شر هزیمه.

و اتهمهم بذلک أیضا عبد اللّه بن عمرو بن العاص الذی لقی منهم الأمرّین فی حرب صفین (۱).

و کذلک الزهری (۲) الذی کان له وجاهه و مکانه خاصه فی البلاط الأموی (۳).

أما مالک، الـذی لم یرو عن أحد من الکوفیین، سوی عبـد اللّه بن إدریس، الـذی کان علی مذهبه، فقد رأی: أن أحادیث أهل العراق، تنزّل منزله أحادیث أهل الکتاب، أی فلا تصدق و لا تکذب (۴).

و کان یقول: لم یرو أوّلونا عن أولیهم، کذلک لا یروی آخرونا عن آخریهم (۵).

السبب هو السیاسه و الانحراف عن علی (ع):

و قد کانت هذه السـیاسه سیاسه أمویه و شامیه، ضد علی (علیه السلام)، منطلقها التعصب و التجنی، و لیس تحری الحق، و التزام جانبه.

و قد قالوا عن الجوزجانی: إنه فی کتابه فی الرجال (یتشدد فی جرح الکوفیین من أصحاب علی، من أجل المذهب)، لذلک قال ابن حجر:أ.

۱- الطبقات الکبری لإبن سعد ط صادر ج ۴ ص ۲۶۷.

۲- بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۴ و تهذیب تاریخ دمشق ج ۱ ص ۷۰.

۳- ستأتی إشاره إلی ذلک حین الحدیث حول روایات بدء الوحی، و قصه ورقه بن نوفل.

۴- بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۵ عن ابن تیمیه فی المنتقی من منهاج الإعتدال ص ۸۸.

۵- بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۵ عن الکامل لإبن عدی ج ۱ ص ۳: أ.

(لا عبره بحطه علی الکوفیین) (۱).

و قال الأوزاعی: (کانت الخلفاء بالشام، فإذا کانت الحادثه سألوا عنها علماء أهل الشام، و أهل المدینه، و کانت أحادیث العراق لا تجاوز جدر بیوتهم، فمتی کان علماء أهل الشام یحملون عن خوارج أهل العراق؟!) (۲).

و یقول ابن المبارک: (ما دخلت الشام إلا لأستغنی عن حدیث أهل الکوفه) (۳).

بل إن ذلک قد انعکس حتی علی علوم العربیه، مثل علم النحو و غیره؛ حیث نجد اهتماما ظاهرا بتکریس نحو البصریین، و استبعاد نحو الکوفیین، مهما عاضدته الدلائل و الشواهد، فراجع و لا حظ. و لهذا البحث مجال آخر.

فشل المحاولات:

علی أن کل تلک الجهود، و إن ترکت بعض الأثر بصوره عامه، و لکنها لم تؤت کل ثمارها المرجوه، فقد فرض الفقه و الحدیث العراقی نفسه علی الساحه، و لا یمکنهم الإستغناء عنه بالکلیه، فقبلوه علی مضض و کره منهم، حتی لیقول ابن المدینی: (لو ترکت أهل البصره لحال القدر،ن.

۱- بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۹۳ و راجع تهذیب التهذیب ج ۱ ص ۹۳ و ج ۵ ص ۴۶ و ج ۱۰ ص ۱۵۸.
۲- تهذیب تاریخ دمشق ج ۱ ص ۷۰/ ۷۱ و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۵ عنه.
۳- المصدران السابقان.

و ترکت أهل الکوفه لذلک الرأی (یعنی التشیّع) خربت الکتب) (۱).

و قال محمد بن یعقوب: (إن کتاب أستاذه (یعنی صحیح مسلم) ملآن من حدیث الشیعه) (۲).

و قد روی البخاری نفسه عن طائفه کبیره ممن ینسبون إلی التشیع من العراقیین و غیرهم (۳).

خلاصات لا بد من قراءتها:

اشاره

و لمزید من التأیید و التأکید علی ما نرید أن نقوله، نعود إلی التذکیر ببعض النقاط المفیده فی إیضاح المطلوب، فنقول:

لا معاییر و لا ضوابط:

لقد کانت کل تلک السیاسات التی تحدثنا عنها تنفّذ فی حین: أن الناس لم یکونوا قادرین علی تمییز الغث من السمین، و الصحیح من السقیم، لأنهم کانوا قد فقدوا المعاییر و الضوابط المعقوله و المقبوله، التی تمکنهم من ممارسه دور الرقابه الدقیقه و المسؤوله علی ما یزعم أنه شریعه و دین، و أحکام و إسلام.

إنفلات الزمام:

و بما أن الناس کانوا یریدون معرفه شی ء عن دینهم، و یحبون قرآنهم،۸.

۱- الکفایه فی علم الروایه ص ۱۲۹.

۲- الکفایه فی علم الروایه ص ۱۲۹.

۳- راجع: فتح الباری (المقدمه) ص ۴۶۰ و ۴۶۱ و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۸.

و إسلامهم، و نبیهم. و بما أنه لم یعد ثمه من یستطیع أن یعارض أو أن یعترض، فقد راجت بضائع الکذابین و الوضاعین، و قامت سوقهم علی قدم و ساق. و تمکنوا من إشاعه أباطیلهم، و ترّهاتهم، و أضالیلهم. و لم یکن کثیر من الناس یملکون القدره علی تمییز الصحیح من السقیم، و الحق من الباطل، و الأصیل من الدخیل.

أهل الکتاب یمارسون دورهم:

و کان أهل الکتاب فی طلیعه المستفیدین من هذه الأجواء، حسبما أوضحناه. حیث إن ذلک قد سهّل علی الذین أظهروا الإسلام منهم: أن ینشروا أباطیلهم و ترّهاتهم، بعد أن خلت لهم الساحه، و أصبحوا هم مصدر العلم و المعارف الدینیه، و الثقافه لأکثر الناس. خصوصا مع ما کانوا ینعمون به من حمایه و تأیید من قبل الحکام آنئذ.

إبعاد أهل البیت عن الساحه:

إنما أصبح ذلک ممکنا بعد أن تمکن الحکام من فرض ظروف منعت الصفوه من أهل البیت (علیهم السلام)، و شیعتهم الأبرار رضوان اللّه تعالی علیهم من ممارسه دورهم فی التصحیح و التنقیح، و التقلیم و التطعیم، و فضح زیف المزیفین، و دفع کید الخائنین. و حرص أکثر الناس و لا سیما الحاقدون و المتزلفون، و ضعفاء النفوس، علی الإبتعاد عنهم (علیهم السلام)، و لا سیما بعد استشهاد سید شباب أهل الجنه، الإمام الحسین (ع)، و صحبه الأخیار، و أهل بیته الأطهار فی کربلاء الفداء.

و قد أشار الإمام السجاد إلی ذلک، فقال: (اللهم إن هذا المقام لخلفائک و أصفیائک، و مواضع أمنائک. فی الدرجه الرفیعه، التی اختصصتهم بها، قد ابتزوها حتی عاد صفوتک، و خلفاؤک مغلوبین،

مقهورين، مبتزين. يرون حكمك مبدلا، و كتابك منبوذا، و فرائضك محرفه عن جهات أشراعك، و سنن نبيك متروكه إلخ ...) (۱).

و الملفت للنظر هنا: أنه (عليه السلام) يقرر هذه الحقيقه و يعلنها فى صيغه دعاء، فى خصوص يوم عرفه فى موسم الحج، حيث يجتمع الناس من مختلف الأقطار و الأمصار، ليستفيدوا من هذه الشعيره العظيمه، و يعودوا إلى بلادهم بمزيد من الطهر، و الصفاء، و الإخلاص، و الوعى لدينهم، و لعقيدتهم.

ثم تكون هذه الفقرات جزءا من دعاء يدعو به المسلمون كل يوم جمعه فى طول البلاد الإسلاميه و عرضها. و باستمرار، ليسهم ذلك فى المزيد من إيجاد حاله الوعى الرسالى، و ليكون من ثم واحدا من مسؤولياتهم الإيمانيه، و العقيديه.

و قد تعودنا من الإمام السجاد (عليه السلام) هذا الأسلوب الفذ فى أكثر من مجال من مجالات الفكر، و العقيده، و السلوك، كما يتضح ذلك بالمراجعه إلى الصحيفه السجاديه، و غيرها من الأدعيه المنقوله عنه صلوات اللّه و سلامه عليه و على آبائه و أبنائه الطيبين الطاهرين.

الالتجاء المبكر الى الراى و القياس:

و غنى عن القول: إن استبعاد حديث الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، قد أوقع السلطات الحاكمه فى مأزق حقيقى على صعيد الفتوى، و إصدار الأحكام، و لذلك كان أول من بادر إلى العمل بالرأى و القياس هم الحكام أنفسهم، الذين كانوا يصرون على استبعاد أهل البيت- قدر الإمكان- عن دائره الفتوى، و عن بث العلوم و المعارف الصحيحه، و الصافيه فى الناس.ه.

۱- الصحيفه السجاديه، دعاء ۴۸. و هو الدعاء الخاص بيوم الجمعه، و عرفه.

ثم تبعهم رعيل كبير ممن تسمى بالفقهاء و المحدثين، الذين كان الكثيرون منهم، من طلاب اللّبانات، و من المتزلفين إلى الحكام، و من وعاظ السلاطين.

فطغت مدرسه الرأى، و انتشر العمل بالإستحسان و بالقياس (۱) (حتى استحالت الشريعه، و صار أصحاب القياس أصحاب شريعه جديده) (۲) كما قاله المعتزلى الشافعي.

و سيأتى (۳): أن أبا بكر كان أول من عمل برأيه، حينما لا يكون لديه نص عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، كما زعموا.

ثم جاء عمر بن الخطاب، فأكد ذلك، و رسخه، قولا و عملا.

و ستأتى بعض أقواله و رسائله إلى أبى موسى الأشعرى (۴)، و شريح القاضى، التى يأمر فيها بالعمل بالرأى و القياس فى رقم ۲۸ من هذا الفصل.

مع أنهم يقولون: إن عمر بن الخطاب هو الذى انتقد القائلين بالرأى، و روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قوله:

(إن أصحاب الرأى أعداء السنن، تفلتت منهم أن يعوها، و أعيتهم أن يحفظوها، و سلبوا أن يقولوا: لا ـ نعلم؛ فعارضوا السنن برأيهم) (۵).۹.

۱- حياه الشعر فى الكوفه ص ۲۵۳ و كنز العمال ج ۱ ص ۳۳۲ و غير ذلك.

۲- شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج ۱۲ ص ۸۴.

۳- فى فصل: معايير لحفظ الإنحراف رقم/ ۱۱- رأى الصحابى حيث لا نص.

۴- سيأتى ذلك إن شاء اللّه فى فصل: معايير لحفظ الإنحراف رقم/ ۲۸- القياس، و الرأى و الإستحسان.

۵- كنز العمال ج ۱ ص ۳۳۵ عن ابن أبى نصر و الغدير ج ۷ ص ۱۱۹ و ۱۲۰ عن جامع بيان العلم ج ۲ ص ۱۳۴ و مختصره ص ۱۸۵ و عن أعلام الموقعين ص ۱۹.

و لعل ذلک قد کان منه قبل أن یواجه المشکله، و یحتاج إلی العمل بآرائه، أی قبل أن یتشدد فی المنع من روایه حدیث النبی صلی الله علیه و آله وسلم و کتابته، و قبل أن یمنع الصحابه من الفتوی و یحصر حق الفتوی بالأمیر، أو من یختاره الأمیر.

و ربما یکون ذلک منه مختصا بأولئک الذین یفتون الناس بآرائهم، دون إجازه من الحاکم أو الأمیر.

و لعل التوجیه الأول هو الأنسب بسیاق کلامه، حیث ینسبهم إلی الجهل بالسنن، فعارضوا السنن بآرائهم.

إلا أن یدّعی: أنه یرید أن غیر الأمراء لم یکن لدیهم علم بالسنن و العلم بها محصور بالأمراء. و هذا کلام لا یمکن قبوله، و لا الموافقه علیه، لمخالفته الظاهره للبداهه و للواقع.

أصدق الحدیث:

و قد أوضح لنا الإمام الصادق (علیه السلام)- فیما روی عنه- سبب لجوئهم إلی الرأی، و القیاس فی دین اللّه، ثم ما نشأ عن ذلک. و هی شهاده ممن کان حاضرا و ناظرا، و قد شاهد و عاین، و خبر الأمور، و وقف علی أغوارها، و استکنه أسرارها، فهو یقول:

(یظن هؤلاء الذین یدعون أنهم فقهاء علماء، قد أثبتوا جمیع الفقه و الدین، مما یحتاج إلیه الأمه!!

و لیس کل علم رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، علموه، و لا ـ صار إلیهم من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم و لا عرفوه.

و ذلک أن الشی ء من الحلال، و الحرام، و الأحکام، یرد علیهم؛ فیسألون عنه، و لا یکون عندهم فیه أثر من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم . و یستحیون

أن ينسبهم الناس إلی الجهل، و يكرهون أن يسألوا فلا يجيبون؛ فيطلب الناس العلم من معدنه.

فلذلک استعملوا الرأی، و القياس فی دين اللّه، و تركوا الآثار و دانوا بالبدع إلخ ...) (۱).

الدوافع و الاهداف:

اشاره

قد قدمنا فيما سبق إيضاحات حول سياسات الحكام تجاه حديث الرسول، روايه و كتابه، و تجاه السؤال عن معانی القرآن و غير ذلک. و بقی أن نشير إلی دوافع هذه السياسه و أهدافها، فنحن نجمل ذلک علی النحو التالی:

۱- للخليفه مقام الرسول:

لقد كان الخليفه الإسلامی- بنظر الناس- يحتل مقام رسول اللّه صلی الله عليه و آله وسلم . و ذلک يعنی: أنه لا بد أن يقوم بنفس المهام، و يتحمل نفس المسؤوليات التی للرسول الأكرم صلی الله عليه و آله وسلم .

فهو القاضی، و الحاكم، و المربی، و القائد العسكری، و المفتی، و العالم، و وإلخ ...

و قد كان الناس يرون: أن لهم الحق فی توجيه أی نقد له، و مطالبته بأيه مخالفه تصدر منه، و أی خطأ يقع فيه.

و إذا رجعنا إلی أولئک الذين تسلموا زمام الحكم فور وفاه رسول اللّه صلی الله عليه و آله وسلم ، فإننا نجد: أنهم ليسوا فی مستوی توقعات الناس، لا سيما و أن۱.

۱- وسائل الشيعه ج ۱۸ ص ۴۰ و تفسير العياشی ج ۲ ص ۳۳۱.

التناقضـات فی فتـاواهم و أعمالهم مع ما سـمعه الصـحابه و رأوه من رسول اللّه صـلی الله علیه و آله وسـلم ، و عرفوه من مواقفه، کانت کثیره و خطیره. هـذا کله عـدا عن مخالفاتهم لکثیر من النصوص القرآنیه، و أخطائهم، أو عـدم اطلاعهم علی تفسـیر کثیر من آیاته. بالإضافه إلی تناقضهم فی الأحکام و الفتاوی باستمرار.

و قد اعترفوا هم أنفسهم بالحقیقه، و قرروها فی مناسبات عده، حتی و هم یواجهون بعض الإعتراضات من قبل النساء، علی بعض مخالفـاتهم حیث ظهر أنهم لاـ یملکون الکـثیر من المعرفه بالأحکـام الشـرعیه، و الـدینیه، التی یحتاجهـا النـاس فی معاملاـتهم و شؤونهم.

بل إن الخلیفه الثانی قد سـجل کلمه طارت فی الآفاق، و أصبحت لها شهره متمیزه، و ذلک حینما طالب أبا موسی الأشعری ببینه علی حـدیث رواه، و إلاـ فلسوف ینزل به العقاب. ثم اتضـح صـحه الحـدیث، فقال عمر بن الخطاب فی هـذه المناسـبه: إنه ألهاه الصفق بالأسواق (۱) عن الحضور عند النبی صلی الله علیه و آله وسلم لسماع حدیثه، و الإستفاده منه.

و هو الذی یقول أیضا: کل الناس أفقه من عمر، حتی ربات الحجال فی خدورهن.ه.

۱- راجع: صـحیح البخـاری ج ۴ ص ۱۷۲ و ج ۲ ص ۴ و ۹ و مسـند أحمـد ج ۴ ص ۴۰۰ و سـنن أبی داود ج ۴ ص ۳۴۶ و التراتیب الإـداریه ج ۲ ص ۷ و ۴ و ۲۵ و حیاه الصـحابه ج ۲ ص ۵۶۹ و الغـدیر ج ۶ ص ۱۵۸ عن البخـاری، و أبی داود و عن مسلم ج ۲ ص ۲۳۴ و عن مسند أحمد ج ۳ ص ۱۹ و عن سنن الدارمی ج ۲ ص ۲۷۴ و عن مشکل الآثار ج ۱ ص ۴۹۹. و حول تنکیل عمر بمن لا یأتی علی الحدیث ببینه راجع: حیاه الصحابه ج ۳ ص ۳۶۰، عن کنز العمال ج ۷ ص ۳۴ و غیره.

و قال عشرات المرات: لو لا على لهلک عمر. و نحو ذلک (۱).

و مهما یکن من أمر، فقد کثرت الإعتراضات، و ظهر القصور جلیا واضحا فی نطاق تطبیق الروایه، و الفتوی، و القضاء، و الموقف السیاسی، و غیر ذلک، علی النص القرآنی، و السنه النبویه بصوره عامه.

و قد بدا واضحا: أن استمرار الوضع علی هذا المنوال لسوف یضعف موقع الحاکم، و سیهتز و یتزعزع، و لن تبقی له تلک المصداقیه و الفاعلیه، و لا الهیمنه القویه التی یتوخاها.

۲- إحراجات لا بد من الخروج منها:

و من جهه أخری، فقد کانت هناک تصریحات کثیره للرسول الأعظم صلی الله علیه و آله وسلم ، و مواقف حاسمه و حساسه تجاه بعض القضایا و بعض الناس، إیجابیه هنا، و سلبیه هناک، کان إظهارها، و شیوعها بین الناس لا یخدم مصلحه الحکام، بل هو یضرهم و یجرحهم بصوره کبیره و خطیره، فلا بد من معالجه هذا الأمر و تلافی سلبیاته، فکان انتهاج هذه السیاسه مفیدا جدا لهم فی ذلک. و إلیک تفصیل ذلک:

إن مما یدل أو یشیر إلی أنه قد کان ثمه مواقف للرسول صلی الله علیه و آله وسلم ، و نصوص لم یکن إظهارها فی مصلحه الحاکم، فکان لا بد من التعتیم علیها، و طمسها، قول ابن ابی الحدید المعتزلی: (قد أطبقت الصحابه إطباقا واحدا علی ترک کثیر من النصوص لما رأوا المصلحه فی ذلک) (۲).

و واضح: أن مراده من الصحابه المجمعین من عدا علیا (علیه۳.

۱- راجع: الغدیر للعلامه الأمینی رحمه اللّه تجد تفصیل هذه النصوص، و طائفه کبیره من مصادرها.

۲- شرح النهج للمعتزلی ج ۱۲ ص ۸۳.

السلام)، لأن المعتزلی نفسه یقول: (إنما قال أعداؤه: لا رأی له؛ لأنه كان متعبدا بالشریعه، لا یری خلافها).

إلی أن قال: (و غیره من الخلفاء كان یعمل بمقتضی ما یستصلحه، و یستوفقه، سواء أكان مطابقا للشرع أم لم یكن. و لا ریب أن من یعمل بما یؤدی إلیه اجتهاده، و لا یقف مع ضوابط و قیود یمتنع لأجلها مما یری الصلاح فیه، تكون أحواله إلی الإنتظام أقرب) (۱).

و قد قال عثمان للناس علی المنبر: (أیها الناس، إنی كتمتكم حدیثا سمعته من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم كراهه تفرقكم عنی، ثم بدا لی إلخ ...) (۲).

هناك مواقف إیجابیه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) تجاه بعض المخلصین من صحابته، الذین كانوا یملكون مؤهلات نادره، و میزات فریده، تجعل لهم الحق دون كل من عداهم بالتصدی لإمامه الأمه، و قیادتها. و أعنی به علیا أمیر المؤمنین علیه الصلاه و السلام.

و قد ركزت كلمات و مواقف الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) علی إظهار تلك المیزات الفریده بالذات. سواء منها ما یرتبط بفضائله (علیه السلام) الذاتیه، أو فیما یرتبط بما له من جهاد و سوابق.

ثم أوضحت تلك المواقف النبویه، و النصوص عنه صلی الله علیه و آله وسلم بالإستناد إلی ذلك: أن الإمامه و قیاده الأمه إنما هی حق له، و للأئمه من ولده (علیهم السلام)، دون كل أحد سواهم.

و ذلك من شأنه: أن یضع الهیئه التی تصدت للحكم بعد النبی صلی الله علیه و آله وسلم أمام إحراجات كبیره فی مسأله مصیریه، و خطیره و حساسه، بل و فی۱.

۱- شرح النهج للمعتزلی ج ۱ ص ۲۸.

۲- حیاه الصحابه ج ۱ ص ۴۵۵ عن مسند أحمد ج ۱ ص ۶۵ و راجع ص ۶۱.

منتهى الحساسيه. و يضع علامات استفهام واضحه على مجمل الوضع القائم آنذاك، و مدى شرعيته.

فكان لا بد من محاربه هذا النوع من النصوص، و التعتيم على تلكم المواقف، تلافيا لما هو أعظم و أدهى.

فعن عبد الرحمان بن الأسود عن أبيه، قال:

(جاء علقمه بكتاب من مكه أو اليمن، صحيفه فيها أحاديث فى أهل البيت- بيت النبى صلى الله عليه و آله وسلم - فاستأذنا على عبد اللّه (۱)، فدخلنا عليه، قال:

فدفعنا إليه الصحيفه.

قال: فدعا الجاريه، ثم دعا بطست فيه ماء. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ۱ ۱۷۲ ۲ - إحراجات لا بد من الخروج منها: ..... ص : ۱۷۰

لنا له: يا أبا عبد الرحمان، أنظر فيها؛ فأن فيها أحاديث حسانا!

قال: فجعل يميثها فيها و هو يقول: نحن نقص عليك أحسن القصص. بما أوحينا إليك هذا القرآن. القلوب أوعيه؛ فاشغلوها بالقرآن، و لا تشغلوها بما سواه) (۲).

و يذكرون: أن ابن عباس أتى أيضا بكتاب فيه قضاء على (ع)، فمحاه إلا قدر ذراع (۳).

و إن كنا شك فى صحه ذلك، و نرى، أن ابن مسعود هو الذى فعل ذلك.

و سيأتى فى مواضع من الجزء الرابع من هذا الكتاب بعض النماذج۱.

۱- أى ابن مسعود.
۲- تقييد العلم ص ۵۴ و السنه قبل التدوين ص ۳۱۲ و راجع: غريب الحديث لإبن سلام ج ۴ ص ۴۸. و ليس فيه: أن الأحاديث فى أهل البيت.
۳- صحيح مسلم ج ۱ ص ۱۱.

للحرب الإعلاميه التی کانت تمارس ضد علی و أهل بیته (علیهم السلام) و شیعته الأبرار رضوان اللّه تعالی علیهم.

هناک أقوال صحیحه، و مواقف صریحه لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم تبیّن انحراف و زیف کثیر من الشخصیات و الرموز التی کانت تدعم الحکم الجدید، و تشد من أزره، و تعمل علی بسط سلطته، و ترسیخ نفوذه.

بل فیهم بعض من أصبح جزءا من تکوینه و هیکلیته، و من رکائزه و دعائمه، الأمر الذی جعل الحکم الجدید یری نفسه مسؤولا عن الحفاظ علی سمعه هؤلاء الناس. و رفعه شأنهم، و بسط نفوذهم، و إظهارهم علی أنهم شخصیات علی درجه من الفضل و النبل، و لهم من المواقف المشرفه، و من الکرامات ما لیس لغیرهم.

بل لا بد أن یظهروا للناس- و لو عن طریق الإختلاق، و التحریف، و التزویر- أن هؤلاء الناس هم الذین شیدوا أرکان الدین، و ضحوا و جاهدوا حتی قام عموده، و اشتد عوده.

أما أقوال النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وسلم فی حقهم، و مواقفه صلی الله علیه و آله وسلم تجاههم، فلا ضیر فی أن تکتم و تنستر، ثم تتلاشی و تندثر، بل لا بد لها من ذلک، و حیث لا یمکن ذلک، فلا أقل من التأویل و التبدیل، و التحریف و التزییف، أو اختلاق ما یناقض و یعارض. و ذلک هو أضعف الأیمان.

و قد روی الإمام أحمد بن حنبل: أنه کان بین حذیفه و سلمان شی ء؛ فسأله أبو قره الکندی عن ذلک، فقال:

(إن حذیفه کان یحدث بأشیاء یقولها رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی غضبه لأقوام، فأسأل عنها، فأقول: حذیفه أعلم بما یقول. و أکره أن یکون ضغائن بین أقوام. فأتی حذیفه؛ فقیل له: إن سلمان لا یصدقک و لا یکذبک بما تقول.

فجاءنی حذیفه فقال: یا سلمان ابن أم سلمان.

قلت: یا حذیفه ابن أم حذیفه، لتنتهین، أو لأكتبن إلی عمر.

فلما خوّفته بعمر تركنی إلخ ... (۱).

إذن، فقـد كان حذیفه یحدث الناس بما كان یوقع سـلمان الذی كان أمیرا علی المدائن من قبل عمر فی حرج شدید فكان لا بدّ لسلمان من ان یوقف حذیفه عن الإستمرار فی ذلك، فاستفاد من هذه الوسیله لتحقیق هذا الهدف.

و بعبـاره أخری: إن السـیاسه كانت قـد فرضت حظرا علی تناقل بعض ما یتعلق بأحوال الأشـخاص. و قـد كان حـذیفه بنقله تلك الأمور قد أحرج سلمان، فلما هدّده بالكتابه إلی الخلیفه كف عن ذلك.

غیر أنه قـد وردت فی آخر الحدیث زیاده نحسب أنها لم ترد علی لسان سـلمان، و هی أن النبی صـلی الله علیه و آله وسـلم قال: (أیما مؤس لعنته لعنه، أو سببته سبه، فی غیر كنهه، فاجعلها علیه صلاه) (۲).

فإن ذلك لا شك فی كونه من الأكاذیب علی رسول اللّه صـلی الله علیه و آله وسـلم ، و علی سلمان، فراجع ما ذكرناه فی غزوه أحد من هذه الكتاب، ثم ما ذكرناه فی الجزء السادس حول موضوع السب و اللعن أیضا.

۳- التأثر بأهل الكتاب:

هناك فرقتان من الیهود:

إحداهما: فقهاء الفریسیین، و هم یؤمنون بكتابه العلم و تدوینه.ق.

۱- مسند أحمد ج ۵ ص ۴۳۹.

۲- المصدر السابق.

و یکتبون کلام علمائهم و أحبارهم. کما هو الحال بالنسبه إلی التلمود، الذی له أهمیه کبیره عند معظم الیهود، بل إن أهمیته لدی بعض فرقهم لتزید علی أهمیه العهد القدیم نفسه (۱).

الثانیه: فرقه یقال لها: (القراء)، و هم الذین کثروا و نشطوا بعد ضعف أمر الفریسیین. و هم یقولون بعدم جواز کتابه شی ء غیر التوراه (۲).

و قد صرح البعض بأن فرقه الصدوقیین لا تعترف إلا بالعهد القدیم، و ترفض الأخذ بالأحادیث الشفویه المنسوبه إلی موسی (علیه السلام) (۳).

بل لقد جاء فی التلمود نفسه: (إن الأمور التی تروی مشافهه لیس لک الحق فی إثباتها بالکتابه) (۴).

و قد علق علی ذلک بعض العلماء بقوله: (من العجیب: أن الیهود کتبوا التلمود و المشناه حتی هذا النهی. و أهل الحدیث من المسلمین کتبوا الأحادیث حتی الحدیث المکذوب: لا تکتبوا عنی ... إلخ) (۵).

غیر أننا نقول: إن المقصود هو المنع من الروایات الشفویه عن الأنبیاء، أما أقوال العلماء فهی الشریعه، تماما کما یقول البعض الآن: إن آراء الصحابه شریعه و سنه.۷.

۱- راجع: الیهودیه و الیهود ص ۲۳.
۲- راجع: التفکیر الدینی عند الیهود، لمحمد حسن ضاضا و راجع: مقارنه الأدیان (الیهودیه) ص ۲۲۷.
۳- الیهودیه و الیهود ص ۸۶ و مقارنه الأدیان (الیهودیه) ص ۲۲۶.
۴- الفکر الدینی الإسرائیلی للدکتور ظاظا ص ۷۹ عن التلمود: حیطین ۶۰ ب- تمور ۱- ۱۴/ ب.
۵- بحوث مع أهل السنه و السلفیه هامش ص ۹۷.

و الذی یظهر لنا هو: أن کعب الأحبار قد کان من الفرقه التی لا تجیز کتابه غیر التوراه. و یشیر إلی ذلک: أنه حینما سأله الخلیفه الثانی عن الشعر، أجابه کعب واصفا العرب بقوله:

(أجد فی التوراه قوما من ولد إسماعیل، أناجیلهم فی صدورهم، ینطقون بالحکمه) (۱).

و قد روی مثل ذلک وهب بن منبه أیضا- الذی کان أیضا فی الأساس من أهل الکتاب- فقد جاء فی روایه مطوله له قوله:

(یا رب، إنی أجد فی التوراه قوما أناجیلهم فی صدورهم، یقرؤونها. و کان من قبلهم یقرؤون کتبهم نظرا، و لا یحفظونها، فاجعلهم أمتی، قال: تلک أمه محمد) (۲).

فلعل کعب الأحبار، و غیره ممن کان مقربا من السلطه قد استفاد من حسن الظن به من قبل الصحابه و الحکام، فألقی هذا الأمر إلیهم، و هم غافلون، فوافق قبولا منهم، بسبب ما کانوا یعانونه من مشکلات ألمحنا إلیها آنفا.

و مما یشیر إلی أن السلطه قد کانت تختزن فی وعیها شیئا من ذلک۹.

۱- راجع: العمده لإبن رشیق ج ۱ ص ۲۵ و قد صرح بذلک کعب فی حدیث آخر فراجع الدر المنثور ج ۳ ص ۱۲۵ ثم روی ذلک أبو هریره و قتاده عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم فراجع الدر المنثور ج ۳ ص ۱۲۴ و ۱۲۳ و ۱۲۲ و قد استدل البعض بهذا الحدیث علی حفظ القرآن عن ظهر قلب، فراجع مناهل العرفان ج ۱ ص ۲۳۵ و النشر فی القراءات العشر ج ۱ ص ۶. و فی ربیع الأبرار ج ۲ ص ۱۵۰ ذکر هذا الحدیث عن التوراه علی لسان راهب اخر فراجع.

۲- راجع: البدایه و النهایه ج ۶ ص ۶۲ و نزهه المجالس ج ۲ ص ۱۹۹.

هو التعليل الذی جاؤا به حینما أرادوا إحراق ما جمعوه من أحادیث کتبها الصحابه عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، حیث ذکروا: أن سبب إقدامهم علی هذا الأمر هو الإلتفات إلی أن أمما کانوا قبلهم کان بینهم کتاب اللّه، فلما کتبوا أقوال علمائهم أکبوا علیها، و ترکوا کتاب اللّه (فراجع ما تقدم).

و الملفت للنظر هنا: أن یتخیل هؤلاء المساواه فیما بین أقوال النبی الذی لا ینطق عن الهوی، و بین أقوال علماء أهل الکتاب الذین کانوا یخلطون الحق بالباطل عن عمد و إصرار فی کثیر من الأحیان، إن لم یکن فی أکثرها.

بغضهم لعلی (ع) سبب آخر:

هذا، و لا بد من الإشاره هنا إلی أن السیاسه التی انتهجت تجاه حدیث النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و إن کانت سببا مهما لما حاق بالإسلام من بلاء، علی صعید تجهیل الناس به، و التلاعب بالدین، و تغییر أحکام الشریعه.

و لکن ذلک لیس هو کل شی ء فی هذا المجال، بل إن ثمه سببا آخر کان له دوره و تأثیره فی ذلک، و هو:

بغض علی (علیه السلام)، و الإصرار علی مخالفته فی کل شی ء.

قال ابن عباس: (اللهم العنهم، قد ترکوا السنه من بغض علی) (۱).

قال السندی: (أی و هو کان یتقید بها) (۲).۳.

۱- سنن النسائی ج ۵ ص ۲۵۳ و سنن البیهقی ج ۵ ص ۱۱۳ و الغدیر ج ۱۰ ص ۲۰۵ عنهما و عن کنز العمال عن ابن جریر نص آخر.

۲- تعلیقه السندی علی سنن النسائی ج ۵ هامش ص ۲۵۳.

و قال النيسابورى حول السبب فى تركهم الجهر بالبسمله فى الصلاه:

(و أيضـا، ففيه تهمه أخرى، و هى: أن عليـا رضـى اللّه عنه كـان يبالغ فى الجهر بالتسـميه؛ فلما كان زمن بنى أميه بالغوا فى المنع عن الجهر، سعيا فى إبطال آثار على) (۱).

و رغم اعتراف الحجـاج بـأن أمير المؤمنين (عليه السـلام) المرء الـذى لاـ يرغب عن قوله، فإنه يصـر على مخالفته، و العمل برأى عثمان (۲)!!.

و قـد عـاش الحسـنان (عليهما السـلام) فى الناس دهرا طويلا، و هما إمامان قاما أو قعـدا، لكن ما روى عنهما فى أحكام الشـريعه قليل جدا لا يكاد يذكر.

و لا يمكن أن يصغى إلى ما اعتذر به ابن شهر آشوب هنا، حيث قال:

(و أما من قل منهم الروايات، مثل الحسن و الحسين، فلقله أيامهما) (۳).

و الصحيح هو أن الناس أهملوا أقوالهم، و لم يهتموا بنقل شى ء عنهم، بغضا منهم لهم، أو خوفا من معاقبه الحكام.۴.

۱- تفسير النيسابورى (مطبوع بهامش جامع البيان للطبرى) ج ۱ ص ۷۹.
۲- مروج الذهب ج ۳ ص ۸۵ و الكامل فى الأدب ج ۱ ص ۲۰۷ و راجع: مكاتيب الرسول ج ۱ ص ۶۲.
۳- مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۲۷۴.

الفصل السادس: لا بد من امام:

اشاره

(لاـ بدّ من امام:) و لسنا بعد ذلک کله بحاجه إلی التأکید علی أنه کان لا بد لهذا الدین من رائد و حافظ، و إمام یحفظ له مسیرته، و ینشر تعالیمه، و یربی الناس تربیه إلهیه صالحه و قویمه. و یکون هو الضمانه الحقیقیه له علی مر العصور، و کر الأیام و الدهور.

و قد کان أئمه أهل البیت الأطهار (علیهم السلام) هم هذه الضمانه، التی بها حفظ الدین و أحکامه، و بهم سلمت رسومه و أعلامه. و کیف لا، و هم سفینه نوح، و أحد الثقلین الذین لا یضل من تمسک بهما، و اهتدی بهدیهما.

و هذا ما یفسر لنا ما روی عن الإمام الباقر (علیه السلام) فی قوله للحکم بن عیینه (عتیبه)، و سلمه بن کهیل: شرّقا و غرّبا؛ فلا تجدان علما صحیحا إلا شیئا خرج من عندنا (۱).

و یقول (علیه السلام) عن الحسن البصری: (فلیذهب الحسن یمینا۷.

۱- إختیار معرفه الرجال ص ۲۱۰ و ۲۰۹ و الکافی ج ۱ ص ۳۹۹ و بصائر الدرجات ص ۹ و الوسائل ج ۱۸ ص ۴۷.

و شمالا؛ فواللّه، ما يوجد العلم إلا ها هنا) (۱).

و عنه (عليه السلام): (فليذهب الناس حيث شاؤوا؛ فواللّه ليس الأمر إلا ها هنا، و أشار إلى بيته) (۲).

و عنه (عليه السلام) أيضا: كل شى ء لم يخرج من هذا البيت فهو و بال (۳).

موقف الائمه (ع) من روايه الحديث و كتابته:

لا أعتقد: أننا بحاجه إلى التذكير بموقف الأئمه من روايه الحديث و كتابته، فإن ذلك أوضح من الشمس، و أبين من الأمس. فعلى (عليه السلام) هو الذى رفع الحظر عن روايه حديث النبى (صلى اللّه عليه و آله) (۴) و هو الذى يقول: تزاوروا، و أكثروا مذاكره الحديث، فإن لم تفعلوا يندرس الحديث (۵).

و هو الذى يقول: (قيدوا العلم، قيدوا العلم)، مرتين. و نحوه غيره (۶).

و قد قال (عليه السلام):).

۱- الكافى ج ۱ ص ۵۰ و وسائل الشيعه ج ۱۸ ص ۴۲/ ۴۳ و ۸.

۲- الكافى ج ۱ ص ۳۹۹ و بصائر الدرجات ص ۱۲.

۳- الإختصاص ص ۳۱.

۴- راجع: سرگذشت حديث (فارسى) هامش ص ۲۸ و راجع: كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۷۱ و ۱۷۲ و ۱۲۲.

۵- معرفه علوم الحديث ص ۶۰ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۸۹.

۶- تقييد العلم ص ۸۹ و ۹۰ و فى هامشه قال: (و فى حض على (عليه السلام) على الكتابه انظر معادن الجوهر للأمين العاملى ۱: ۳).

(من یشتری منی علما بدرهم؟.

قال الحارث الأعور: فذهبت، فاشتریت صحفا بدرهم، ثم جئت بها).

قال الراوی: (فکتب له علما کثیرا) (۱).

و عنه (علیه السلام):

(إذا کتبتم الحدیث فاکتبوه بأسناده، فإن یک حقا کنتم شرکاء فی الأجر، و إن یک باطلا کان وزره علیه) (۲).

و مثل ذلک کثیر عنه (علیه السلام) (۳).

کما أن الإمام الحسن (علیه السلام) دعا بنیه، و بنی أخیه، فقال:

(یا بنیّ، و بنی أخی، إنکم صغار قوم یوشک أن تکونوا کبار آخرین؛ فتعلموا العلم؛ فمن لم یستطع منکم أن یرویه؛ فلیکتبه، و لیضعه فی بیته) (۴).).

۱- التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۵۹ و طبقات ابن سعد ج ۶ ص ۱۱۶ و تاریخ بغداد ج ۸ ص ۳۵۷ و کنز العمال ج ۱۰ ص ۱۵۶ و تقیید العلم ص ۹۰ و فی هامشه عمن تقدم، و عن کتاب العلم لإبن أبی خیثمه ص ۱۰ و عن المحدث الفاصل ج ۴ ص ۳.
۲- کنز العمال ج ۱۰ ص ۱۲۹ عن الحاکم، و أبی نعیم، و ابن عساکر.
۳- راجع علی سبیل المثال: کنز العمال ج ۱۰ کتاب العلم.
۴- تقیید العلم ص ۹۱ و نور الأبصار ص ۱۲۲ و کنز العمال ج ۱۰ ص ۱۵۳ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۱۳۰ و جامع بیان العلم ج ۱ ص ۹۹ و العلل و معرفه الرجال ج ۱ ص ۴۱۲ و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۲۲۷ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۲۴۶/ ۲۴۷ عن ابن عساکر، و عن البیهقی فی المدخل، و فی هامش تقیید العلم عن بعض من تقدم، و عن: تاریخ بغداد ج ۶ ص ۳۹۹ (و لم أجد) و عن ربیع الأبرار ۱۲ عن علی (علیه السلام).

و قد کتب علی (علیه السلام) عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کتبا کثیره، کما هو أشهر من أن یحتاج إلی تفصیل و بیان.

و قد حثّ الأئمه (علیهم السلام) شیعتهم علی هذا الأمر، کما یظهر بأدنی مراجعه لکتب حدیثهم و روایتهم.

بل إن الأئمه (علیهم السلام) کانوا یطّلعون علی بعض الکتب التی کانت تؤلف فی زمنهم، و یبدون ملاحظاتهم علیها.

و نری أن ذکر الشواهد و المصادر لکل ذلک، مع هذه الکثره الکاثره فیها لیست فی محلها، و هی تضییع للوقت و للجهد.

موقف الائمه (ع) من الاسرائیلیات و رواتها:

و قد واجه الأئمه (ع) ترهات بنی إسرائیل، بالکلمه و بالموقف، بصرامه و بحزم. و أعلنوا للملأ زیف تلک الأباطیل، و کذبوا من جاؤوا بها بصراحه و وضوح فی مناسبات کثیره.

بل إن أمیر المؤمنین علیا (ع)، لیس فقط کذب و فند، و إنما قد هدد و توعد بالجلد أحیانا، کما حصل منه لمن یروی قصه أوریا، کما یزعم القصاصون، کما سیأتی.

و قد وصف (علیه السلام) کعب الأحبار، فقال: إنه لکذاب (۱).

و کان کعب منحرفا عن علی علیه الصلاه و السلام (۲).

هذا بالإضافه إلی أنه قد طرد القصاصین من المساجد، کما سنری.۷.

۱- أضواء علی السنه المحمدیه ص ۱۶۵ و شرح النهج للمعتزلی ج ۴ ص ۷۷ و البحار ط قدیم ج ۸ ص ۶۷۵.

۲- راجع: شرح النهج للمعتزلی ج ۴ ص ۷۷.

و قـد كـذب الإمام الباقر (عليه السـلام) كعب الأحبار فى بعض أباطيله، كروايته: أن الكعبه تسـجد لبيت المقدس فى كل صـباح (١).

و ذلك من أجل أن يتوصل إلى تبرير جعل الصـخره التى فى بيت المقدس قبله لأهل نحلته من اليهود، و أنها هى القبله الأولى و الأعلى، بملاحظه أن الكعبه التى هى قبله المسلمين تسجد للصخره كل صباح.

هذا، و للإمام الصادق (عليه السلام) موقف يكذب فيه أباطيل أهل الكتاب أيضا (٢).

كمـا أنه (عليه السـلام) قـد قـال و هو يتحـدث عن العلمـاء: (و من العلماء من يطلب أحاديث اليهود و النصارى ليغزر به علمه، و يكثر به حديثه، فذاك فى الدرك الخامس من النار) (٣).

الشيعه فى مواجهه الفكر الاسرائيلى:

و قد اقتدى الشيعه الأبرار رضوان اللّه تعالى عليهم بأئمتهم (عليهم٨.

١- الكافى ج ۴ ص ٢۴٠ و البحار ج ۴۶ ص ٣۵۴. و يبدو أن كعبا قد استمر على تعظيم الصخره، حتى إنه حينما كان مع عمر فى بيت المقدس، و سأله عمر: أين يجعل المسـجد و القبله، قال: خلف الصخره، فقال له عمر: ضاهيت اليهوديه يا كعب. فراجع هذه القضـيه بنصوصـها المتقاربه فى: الأنس الجليل فى أخبار القدس و الخليل ج ١ ص ٢۵۶ و الأموال لأبى عبيد ص ٢٢۵ و الإصابه ج ۴ ص ١٠۵ و الأسرار المرفوعه ص ۴۵٧.

٢- البحار ج ٧١ ص ٢۵٩ ط إيران و ج ۴۶ ص ٣۵٣/ ٣۵۴ و سفينه البحار ج ٢ ص ١۶٧، و الكافى ج ۴ ص ٢٣٩.

٣- البحار ج ٢ ص ١٠٨.

السلام)، فی محاربه الفکر الإسرائیلی الدخیل، و تصدوا لرموزه، و للمروجین له بحزم، و شجاعه، و صلابه، رغم ما کان یتمتع به أولئک الأفاکون من حصانه قویه من قبل الحکام علی أعلی المستویات.

لقد واجههم الشیعه، و تصدوا لهم، عملا بالتکلیف الشرعی، الذی أکده ما روی عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وسلم ، من أنه قال:

(إن اللّه قضی بالجهاد علی المؤمنین فی الفتنه بعدی ...) إلی أن قال: (... یجاهدون علی الإحداث فی الدین، إذا عملوا بالرأی فی الدین، لا رأی فی الدین إلخ ...) (۱).

و نذکر هنا بعض النماذج لمواقف أتباع مدرسه أهل البیت، و هی التالیه:

۱- لقد أعلن ابن عباس بالنکیر علی أولئک الذین یسألون أهل الکتاب، مع وجود کتاب اللّه بین ظهرانیهم (۲).

۲- و روی نظیر ذلک عن ابن مسعود أیضا (۳).۶.

۱- تفسیر فرات ص ۶۱۴ ط جدید.

۲- راجع: صحیح البخاری ج ۴ ص ۱۹۳ و ۱۷۳ و ج ۲ ص ۷۱ و المصنف للصنعانی ج ۱۰ ص ۳۱۴ و ج ۱۱ ص ۱۱۰ و جامع بیان العلم ج ۲ ص ۵۱ و الفصل فی الملل و الأهواء و النحل ج ۱ ص ۲۱۶ و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۱۳۴ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۹۲ و الدر المنثور ج ۱ ص ۸۳ عن البخاری، و عبد الرزاق، و ابن أبی حاتم، و البیهقی فی شعب الإیمان.

۳- راجع: المصنف للصنعانی ج ۶ ص ۱۱۲ و ج ۱۱ ص ۱۶۰ و ج ۱۰ ص ۳۱۳ و جامع بیان العلم و فضله ج ۲ ص ۵۰ و البدایه و النهایه ج ۲ ص ۱۳۴ و فتح الباری ج ۱۳ ص ۲۸۱ و راجع: سنن الدارمی ج ۱ ص ۱۲۲ و تقیید العلم ص ۵۳ و ۵۶.

۳- و قد تصدی ابن عباس، و حذیفه بن الیمان لتکذیب کعب الأحبار صراحه فی بعض الموارد (۱).

۴- أما أبو ذر ذلک الرجل الصابر المجاهد، فالکل یعلم موقفه من کعب الأحبار فی مجلس الخلیفه الثالث عثمان، حینما جاؤوا بترکه عبد الرحمان بن عوف، و تصدی کعب الأحبار لإصدار فتاواه فی دین اللّه؛ فضربه أبو ذر رحمه اللّه بعصاه، و قال له:

(یا ابن الیهودیه، تعلمنا دیننا؟!).

أو (متی کانت الفتیا إلیک یا ابن الیهودیه) (۲).

ثم کان جزاء هذا الصحابی الجلیل هو النفی و التشرید، و مکابده المحن و البلایا، حتی مات مظلوما غریبا فی الربذه، منفاه (۳).

علی یواجه القصاصین بالحقیقه:

أما موقف علی من القصاصین، فتوضحه النصوص التالیه:۱.

۱- أضواء علی السنه المحمدیه ص ۱۶۵ عن الکاف الشاف ص ۱۳۹.

۲- راجع: مروج الذهب ج ۲ ص ۳۴۰ و مسند أحمد ج ۱ ص ۶۳ و راجع: حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۱۶۰ و تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۳۳۶ و ج ۴ ص ۲۸۴ و الغدیر ج ۸ ص ۳۵۱ عنه. و راجع: أنساب الأشراف ج ۵ ص ۵۲ و شرح النهج للمعتزلی ج ۳ ص ۵۴ و ج ۸ ص ۲۵۶ و سیر أعلام النبلاء ج ۲ ص ۶۷- ۶۹ و الطبقات الکبری لإبن سعد ج ۴ ص ۲۳۲ و الأوائل ج ۱ ص ۲۷۹ و مجمع الزوائد ج ۱۰ ص ۲۳۹ و حیاه الصحابه ج ۲ ص ۱۵۷ و ۱۵۸ و ۲۵۹ و عن کنز العمال ج ۳ ص ۳۱۰. و أشار إلیه العلامه الطباطبائی فی تفسیر المیزان ج ۹ ص ۲۵۸ و ۲۵۱.

۳- راجع کتابنا: دراسات و بحوث فی التاریخ و الإسلام ج ۱ ص ۱۱۱- ۱۴۱.

۱- عن الحارث، عن علی، أنه دخل المسجد، فإذا بصوت قاص، فلما رآه سكت، قال علی: من هذا؟!

قال القاص: أنا

فقال علی: أما أنی سمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم يقول: سيكون بعدی قصاص لا ينظر اللّه إليهم (۱).

۲- عن سعيد بن أبی هند: أن عليا مرّ بقاص، فقال: ما يقول؟!

قالوا: يقص!

قال: لا، و لكن يقول: إعرفونی (۲).

۳- عن أبی عبد الرحمان السّلمی، قال: مرّ علی بن أبی طالب برجل يقص، فقال: أعرفت الناسخ من المنسوخ؟

قال: لا.

قال: هلكت و أهلكت (۳).

۴- عن أبی يحيی، قال: مر بی علی و أنا أقص؛ فقال: هل عرفت الناسخ من المنسوخ؟

قلت: لا.

قال: أنت أبو إعرفونی (۴).۸.

۱- كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۷۲ عن أبی عمير بن فضاله فی أماليه.

۲- كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۷۲ عن مسدّد، و صحح.

۳- الدر المنثور ج ۱ ص ۱۰۶ عن أبی داود فی ناسخه، و عن النحاس فی ناسخه، و عن سنن البيهقی و نثر الدر ج ۱ ص ۳۱۲ و ذكر أخبار أصبهان ج ۱ ص ۸۹.

۴- كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۷۱ عن المروزی فی العلم. و راجع: ربيع الأبرار ج ۳ ص ۵۸۸.

علی (ع) یضرب القصاصین و یطردهم:

لم یقتصـر موقف علی (علیه السـلام) من القصاصـین علی الإدانه الکلامیه، بـل تعـداه إلی ما هو أبعـد من ذلک، فجاء متمیزا و حاسما فی الوقت نفسه، و قد تجلی ذلک فی أنه (علیه السلام) قد استعمل فی مواجهتهم الأسالیب التالیه:

۱- تعریتهم أمام الناس، و تعریفهم بنوایاهم، و ذلک ببیان حقیقه حبهم للظهور، کما تقدم.

۲- تهجین عملهم عن طریق نشـر أقوال النبی صـلی الله علیه و آله وسـلم فیهم حیث أنه صـلی الله علیه و آله وسـلم قال: سـیکون بعدی قصاص لا ینظر اللّه إلیهم.

۳- إظهار جهلهم، و قله معرفتهم، ثم ما یترتب علی ذلک من هلاک لهم أنفسهم، ثم إهلاک للآخرین.

و قد تقدمت الأمور الثلاثه الآنفه الذکر.

۴- طردهم من المساجد.

۵- ضربهم.

و یوضح هذین الأمرین النصوص التالیه:

ألف: عن أبی البختری، قال: دخل علی بن أبی طالب المسجد، فإذا رجل یخوّف، فقال: ما هذا؟

فقالوا: رجل یذکّر الناس.

فقال: لیس برجل یذکّر الناس، و لکنه یقول: أنا فلان بن فلان، إعرفونی. فأرسل إلیه فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟!

فقال: لا.

قال: فاخرج من مسجدنا، و لا تذكّر فيه (۱).

و المذكر هو القاص فى اصطلاحهم، كما يظهر من الكتب التى تتحدث عن القصاصين، فراجع تبليس ابليس، و القصاص و المذكرين لإبن الجوزى.

ب: و حين قدم البصره طرد القصاصين من المسجد، حيث إنه لا ينبغى القصص فى المسجد (۲).

ج: عن أبى عبد اللّه (عليه السلام)، أنه قال: (إن أمير المؤمنين (عليه السلام) رأى قاصا فى المسجد فضربه، و طرده) (۳).

۶- التهديد بالضرب الوجيع، و بإقامه الحدود عليهم و يوضح ذلك:

ألف: ما روى، من أنه حينما بلغه (عليه السلام) ما يقوله القصاصون فى قصه أوريا قال:

(من حدّث بحديث داود على ما يرويه القصاص، جلدته ماءه و ستين جلده، و ذلك حدّ الفريه على الأنبياء) (۴).۰۴

۱- كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۷۱ عن المروزى فى العلم، و النحاس فى ناسخه، و العسكرى فى المواعظ، و الدر المنثور ج ۱ ص ۱۰۶ و الجامع لأحكام القرآن ج ۲ ص ۶۲.
۲- عن قوت القلوب ج ۲ ص ۳۰۲ و راجع: الحوادث و البدع ص ۱۰۰.
۳- الكافى ج ۷ ص ۲۶۳ و تهذيب الأحكام للطوسى ج ۱۰ ص ۱۴۹ و الوسائل ج ۱۲ ص ۱۱۱ و ج ۱۸ ص ۵۷۸ و ج ۳ ص ۵۱۵ و ج ۱۰ ص ۴۶۸ و ج ۱۱ ص ۵۶۷ و ج ۸ ص ۱۴ و ۸۲ و سفينه البحار ج ۲ ص ۴۳۳ و راجع: الصافى ج ۴ ص ۲۹۶ و مجمع البيان ج ۸ ص ۴۷۲ و تفسير البرهان ج ۴ و راجع: الدر المنثور ج ۱ ص ۱۰۶.
۴- راجع: سمير الليالى ص ۳۲۴ و الإسرائيليات فى كتب التفسير و الحديث ص ۲۰۴

ب: و سیأتی أنه (علیه السلام) قد امتحن أحد القصاصین، فأجابه، و لو أنه عجز عن الجواب لکان قد أوجعه ضربا (۱) علی حد تعبیره.

موقف سائر الائمه من القصاصین:

و لا- یختلف موقف سائر الأئمه (علیهم السلام) عن موقف أمیر المؤمنین صلوات اللّه و سلامه علیه من القصاصین، و یوضح ذلک النصوص التالیه:

۱- إن الإمام السجاد (ع) قد نهی الحسن البصری عن مزاوله عمل القصص. فاستجاب للنهی (۲).

۲- و فی محاوره جرت بین الإمام الحسن (علیه السلام) و بین أحد القصاصین، نجد الإمام الحسن یکذّب ذلک الرجل فی دعواه کونه قصاصا تاره، و مذکّرا أخری؛ باعتبار أن هاتین الصفتین هما للنبی (صلی اللّه علیه و آله)، فلما سأله عن نفسه أی شی ء هو؟.

قال له (علیه السلام): المتکلّف من الرجال (۳).

ای الذی یتکلف أمرا لیس له.

۳- و عن الإمام الباقر (علیه السلام) فی تفسیر قوله تعالی: وَ إِذا رَأَیْتَ الَّذِینَ یَخُوضُونَ فِی آیاتِنا أن منهم القصاص (۴).۲.

۱- کنز العمال ج ۱۰ ص ۱۷۲ عن وکیع فی الغرر، و القصاص و المذکرین ص ۲۳.

۲- راجع وفیات الأعیان ج ۱ ص ۷۰.

۳- تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۲۲۷ و ۲۲۸.

۴- راجع: تفسیر العیاشی ج ۲ ص ۳۶۲.

۴- و ذکر للإمام الصادق (علیه السلام): أن بعض القصّاص یقول:

هذا المجلس لا یشقی به جلیس.

فقال (علیه السلام): هیهات هیهات أخطأت استاهم الحفره (۱).

أی أنهم أرادوا شیئا فوقعوا فی غیر ما أرادوا.

۵- کما أنه (علیه السلام) قد لعنهم، و اعتبرهم یثیرون الناس ضدهم (علیهم السلام).

ثم إنه (علیه السلام) قد حرم الإستماع إلی القصاصین.

هذا بالإضافه إلی أنه (علیه السلام) قد اعتبر أنهم هم الغاوون أتباع الشعراء، کما نصت علیه الآیه الکریمه (۲).

شرط الاجازه للقصاصین:

و مما تقدم نعرف: أن معرفه الناسخ من المنسوخ شرط فی السماح للقاص بأن یقص علی الناس.

و ثمه شرط آخر، و هو أن یکون عارفا بالدین، واقفا علی مرامیه و أهدافه، کما یظهر من سؤال أمیر المؤمنین للقاص الذی امتحنه، فأجاب؛ فسمح له بمواصله عمله، و لو لا ذلک لکان (علیه السلام) قد أوجعه ضربا.

و لأجل أن البعض لم یکن یعرف الناسخ من المنسوخ، فإنه (علیه السلام) قد حکم علیه بأنه قد هلک و أهلک. و بیّن أن من لا یعرف ذلک، و یتصدی لهذا العمل الخطیر فإنه یکون طالبا للدنیا و للشهره بین الناس.۱.

۱- البحار ج ۷۴ ص ۲۵۹.

۲- بحار الأنوار ج ۶۹ ص ۲۶۴ و ۲۶۵ و راجع: وسائل الشیعه ج ۶ ص ۱۱۱.

أما حين يطمئن (عليه السلام) إلى أن القاص جامع للشروط المطلوبه، فإنه (ع) يسمح له بمزاوله عمله ذاك، فقد:

(قال على (عليه السلام) للقاص: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟!

قال: نعم.

قال: قال: قصّ) (١).

و معنى ذلـك، هو أن القصاصـيين كـانوا إلى جـانب و عظهم النـاس، يقومون بمهمـات أخرى، و هى بيـان الأحكام الشـرعيه، و تفسير القرآن، إلى جانب أمور تقدمت و ستأتى الإشارات إليها فى الموارد المختلفه.

و تقـدم فى فصل: القصاصون يثقفون الناس رسـميا: أن الإمام الباقر (عليه السـلام) قـد قال لسـعد الإسـكاف: وددت أن على كل ثلاثين ذراعا قاصا مثلك.

و أن أبان بن تغلب كان قاص الشيعه.

و أن عدى بن ثابت الكوفى كان إمام مسجد الشيعه و قاصهم.

امتحان القصاصين:

ثم إننا قـد رأينا أمير المؤمنين (عليه السـلام)، يجرى امتحانا لأحد القصاصـين، فلو لم ينجح فى الإمتحان لكان (عليه السـلام) قد أوجعه ضربا.

فقد رووا: أنه (عليه السلام) انتهى إلى قاص يقص، فقال:۵.

١- القصاص و المذكرين ص ١٠۵.

تقصّ، و نحن حـديثوا عهـد برسول اللّه صـلى الله عليه و آله وسـلم ؟! أمـا أنى أسألك عن مسألتين، فإن أصـبت و إلا أوجعتك ضربا.

قال: سل يا أمير المؤمنين.

قال: ما ثبات الإيمان و زواله؟

قال: ثبات الإيمان الورع، و زواله الطمع (۱).۳.

۱- كنز العمال ج ۱۰ ص ۱۷۲ عن وكيع فى الغرر، و القصاص و المذكرين ص ۲۳.

الفصل السابع: اجراءات و ضوابط مشبوهه:

اشاره

معايير لحفظ الانحراف:

و بعد، فإن التصدى للفكر الإسرائيلى، و إن أفلح فى حفظ و صيانه الإسلام إلى حدّ بعيد، و لكن آثار هذا الحفظ إنما ظهرت، أو فقل: قد اقتصرت على التيار الذى كان يقوده الأئمه (عليهم السلام) و شيعتهم، و من تخرّج من مدرستهم، و اختار طريقتهم و نهجهم.

أما الآخرون؛ الذين كانوا فى الخط الآخر، فقد استمروا فى التحرك فى دائره السياسه المعلنه، و المصرح بها من قبل الحكام، فأخذوا عن أهل الكتاب الشى ء الكثير مما هو محرف و مدسوس، و نفذوا و التزموا بالإسلام الذى راق للحكام، و روجوا له.

فكان أن شحنوا كتبهم و مجاميعهم الحديثيه بالشى ء الكثير من الفتاوى، و المعارف، و العقائد، و السياسات، و السير و التواريخ، التى تنسجم مع ما يريده أولئك الحكام، مما اتحفهم به أهل الكتاب، أو غيرهم من المرتزقه و المتزلفين.

نعم، لقد شحنوا بها كتبهم، و مجاميعهم، من دون أى تحقيق، أو تمحيص، إلا فيما يمسّ القشر، و لا يتعرض لما دونه فى شى ء؛ لأنها قد جاءت محكومه لضوابط و معايير من شأنها أن تكرّس الإنحراف، و تقوى

من تیاره، و تعمق جذوره، لأنها إنما وضعت لتأکید تلک الأباطیل و الترهات و من خلالها، و من أجل حفظ الإنحراف و تکریسه لا لإزالته و التخلص منه.

أما المعاییر الحقیقیه و الضوابط الأصیله، القادره علی کشف الزیف، و إحقاق الحق. فقد کانت مرفوضه من هؤلاء الناس جمله و تفصیلا، حتی إن ما ورد من الأمر بعرض الحدیث علی کتاب اللّه سبحانه، قد رفض، و ضرب به عرض الجدار، بل قد اعتبروه من وضع الزنادقه، کما سیأتی فی الفصل التالی إن شاء اللّه تعالی.

نماذج یسیره:

اشاره

و نحن من أجل جلاء الحقیقه، و التعریف بحقیقه المؤامره، نذکر هنا نماذج یسیره من ضوابط تهدف لحفظ الإنحراف، و معاییر لتکریس الباطل و ترسیخه، بکل ما فیه من فتاوی باطله، و روایات مختلفه، أو محرفه، و أساطیر و ترّهات عن أهل الکتاب و غیرهم.

بالإضافه إلی أسالیب تبریر المواقف اللا إنسانیه و اللاشرعیه، التی صدرت و تصدر عمن یهمهم حفظهم، و الإحتفاظ بهم بأی ثمن کان.

و النماذج التی نرید تقدیمها إلی القارئ الکریم هی التالیه:

١- الصحابه کلهم عدول:

اشاره

لقد کان الکثیرون من الصحابه، ممن تهتم السلطه، و بعض الفئات و الإتجاهات المذهبیه و السیاسیه بإعطائهم دورا متمیزا و أساسیا، سواء علی الصعید السیاسی، أو العقیدی، أو فی مجال الحدیث، و الروایه، أو الفتیا، أو علی صعید المواقف، تأییدا و تأکیدا، أو غیر ذلک.

مع أن أولئک الأشخاص لا یملکون تاریخا نظیفا و لا مشرفا، لا فی حیاتهم السلوکیه من حیث الإلتزام بأحکام الدین، و لا فی مجال التحلی بمکارم الأخلاق، و حمید الخصال.

فکان أن عملوا من أجل تبریر انحرافاتهم و مخالفاتهم، و تبرئتهم مما ارتکبوه من جرائم، و موبقات، حتی ما هو مثل الزنا، و شرب الخمر، و قتل النفوس، و سرقه بیت مال المسلمین، و ما إلی ذلک، علی إختراع إکسیر یستطیع أن یحول تلک الجرائم و الموبقات، و المعاصی، إلی خیرات، و طاعات و مبرات، و حسنات، یستحقون علیها المثوبه، و ینالون بها رضا اللّه و الجنه.

و کان هذا الاکسیر هو دعوی:

أن الصحابه بساطهم مطوی، و إن جری ما جری، و إن غلطوا کما غلط غیرهم من الثقات (۱). و (الصحابه کلهم عدول، سواء منهم من لا بس الفتن، و من لم یلابس) و ذلک بإجماع من یعتد به من الأمه (۲).۸.

۱- أضواء علی السنه المحمدیه ص ۳۴۲ عن الذهبی فی رسالته التی الفها فی الرواه الثقات.

۲- راجع: الکفایه فی علم الروایه ص ۴۶- ۴۹ و الباعث الحثیث ص ۱۸۲ و ۱۸۱ و تدریب الراوی ج ۲ ص ۲۱۴ و السنه قبل التدوین ص ۳۹۴ و ۴۰۳ و عنهم و عن فتح المغیث ج ۴ ص ۳۵. و راجع: علوم الحدیث لإبن الصلاح ص ۲۶۴ و ۲۶۵ و ۲۶۸ و علوم الحدیث لصبحی الصالح ص ۳۵۳ الطبعه الثامنه و قواعد فی علوم الحدیث للتهانوی ص ۲۰۲ و ۲۰۳ و الإصابه ج ۱ ص ۹ و ۱۰ و الأحکام فی أصول الأحکام ج ۲ ص ۸۱ و ۸۲ و فواتح الرحموت ج ۲ ص ۱۵۶ و إرشاد الفحول ص ۷۰ و ۶۹ و ۶۴ و ۶۵ و الخلاصه فی علوم الحدیث ص ۱۲۴ و ۹۴ و ۶۷ و سیر أعلام النبلاء ج ۲ ص ۶۰۸.

و عمده مستندهم فى ذلك آيات كريمه ورد فيها ثناء على الصحابه فى ظاهر الأمر. مع أن الثناء ناظر إلى بعض منهم، و هم خصوص المتصفين بصفه الإيمان، مع مواصفات معينه أخرى أشارت إليها، أو صرحت بها تلك الآيات بالذات. و قد تحدثنا عن ذلك باختصار فى كتابنا: صراع الحريه فى عصر المفيد، فراجع.

أضف إلى ذلك: أن تلك الآيات لم تتناول الأفراد بالنصوصيه، إنما غايتها عموم، يرد التخصيص عليه بحسب الموارد. مع أن دليل شمول الصحبه لمطلق من رأى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ركيك جدا (۱).

لفت نظر:

لا أدرى إن كان قولهم بعداله كل صحابى، يشبه القول بعصمه الحاخامات لدى اليهود (۲)، أو أنه مستوحى منهم، أم لا؟.

۲- من هو الصحابى؟:

و قد يكون من بين من يراد تبرير جرائمه و موبقاته، من كان حين وفاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم صغيرا جدا، أو لم ير النبى صلى الله عليه و آله وسلم سوى مره واحده، فى ساعه من نهار، و بصوره عابره، فجاءت المعالجه من قبل من يهمهم أمر هؤلاء؛ فقررت: أن الصحابى هو كل من صحب النبى صلى الله عليه و آله وسلم سنه أو شهرا، أو يوما، أو ساعه، أو رآه (۳).ى-

---

۱- أضواء على السنه المحمديه ص ۳۴۹ عن العلم الشامخ للمقبلى ص ۲۹۷- ۳۱۲.

۲- راجع: مقارنه الأديان (اليهوديه) ص ۲۲۲.

۳- راجع: الكتابه فى علم الروايه ص ۵۱ و راجع ص ۵۰ و الباعث الحثيث ص ۱۷۹ و ۱۸۱ متنا و هامشا و الإصابه ج ۱ ص ۵ و ۷ و ۴ و نهايه الوصول ج ۳ ص ۱۷۹ و إرشاد الفحول ص ۷۰ و أضواء على السنه المحمديه ص ۳۵۲ و تدريب الراوى-

و عدوا من الصحابه صبیانا و أطفالا رأوا النبی (صلی اللّه علیه و آله) یوم الفتح، و فی حجه الوداع، و غیرهما (۱).

۳– صحابیه المرتد:

و حین یجدون: أن بعض من یعزّ علیهم من الصحابه یرتد عن الدین، و یحارب النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، ثم یعود فیظهر الإسلام، کطلیحه بن خویلد، و بعضهم ارتد، و أهدر النبی صلی الله علیه و آله وسلم دمه، کما هو الحال بالنسبه لعبد اللّه بن سعد بن أبی سرح.

و کذا الحال بالنسبه للأشعث بن قیس الذی ارتد عن الإسلام، ثم لما أسر، و أظهر التوبه فی عهد أبی بکر أطلقه الخلیفه، و زوجه أخته فی نفس الساعه (۲).

إنهم حین یجدون ذلک، یبادرون إلی ادّعاء: أن الصحابی إذا ارتد ذهبت صحابیته، فإذا عاد إلی الإسلام عادت إلیه صحابیته، من دون۱.

۱- راجع: الباعث الحثیث ص ۱۸۴ و السنه قبل التدوین ص ۳۹۲ و معرفه علوم الحدیث ص ۲۴ و علوم الحدیث لصبحی الصالح ص ۳۵۶ و ۳۵۷ ط ۸ و راجع: سلّم الوصول ج ۳ ص ۱۸۰.

۲- راجع: الإصابه ج ۱ ص ۵۱.

حاجه إلی أن یری النبی صلی الله علیه و آله وسلم من جدید (۱)، أی و تعود إلیه عدالته أیضا!!

۴- السکوت عما شجر بین الصحابه:

لقد کان و لا یزال الجهر بما فعله بعض الصحابه محرجا، بل مخجلا لمن یعتقدون لزوم موالاتهم، و الإرتباط بهم، و یوجب سلب ثقه الناس بأناس یراد لهم أن یثقوا بهم، بل یراد لهم أن یقدسوهم.

و لو فرض أنه یمکن إسکات بعض العوام، بواسطه إطلاق بعض الشعارات البراقه و الرنانه، أو بواسطه بعض الفتاوی المختلقه، أو بشی ء من الترغیب أو الترهیب، فإن ذلک لا یتیسر بالنسبه لجمیع الناس، فلا بد من اعتماد أسلوب آخر للخروج من المأزق.

فقالوا عن الصحابه: (الواجب علینا أن نکف عن ذکرهم إلا بخیر) (۲).

و قالوا: ینبغی للقاص (أن یترحّم علی الصحابه، و یأمر بالکف عما شجر بینهم، و یورد الأحادیث فی فضائلهم) (۳).

و قد أخذوا علی أبی عمر بن عبد البر: أنه قد شان کتابه (الإستیعاب) بذکر ما شجر بین الصحابه. (۴)۴.

۱- راجع الإصابه ج ۱ ص ۱۵۸ و ترجمه طلیحه و تدریب الراوی ج ۲ ص ۲۰۹ و راجع فواتح الرحموت ج ۱ و سلّم الوصول ج ۳ ص ۱۸۰.
۲- السنه قبل التدوین ص ۳۹۷ عن المنهج الحدیث فی علوم الحدیث ص ۶۲ عن شرح مسلّم الثبوت.
۳- القصاص و المذکرین ص ۱۱۵.
۴- الباعث الحثیث ص ۱۷۹ و علوم الحدیث لإبن الصلاح ص ۲۶۲ و تقریب النواوی (مطبوع مع تدریب الراوی) ج ۲ ص ۲۰۷ و الخلاصه فی أصول الحدیث للطیبی ص ۱۲۴.

۵- من ينتقد الصحابه زنديق:

و حيث لم ينفع الأمر بالسكوت عما شجر بين الصحابه، فقد لجأوا إلى أسلوب آخر للخروج من المأزق. و هو اتهام من ينتقد الصحابه بالزندقه، و الخروج من الدين، و الإلحاد.

قال أبو زرعه: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فاعلم أنه زنديق، و ذلك أن الرسول صلى الله عليه و آله وسلم عندنا حق، و القرآن حق، و ما جاء به حق. و إنما أدى الينا هذا القرآن و السنن أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم . و إنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب و السنه، و الجرح بهم أولى. و هم زنادقه) (۱).

و قال السرخسی: (من طعن فيهم فهو ملحد، منابذ للإسلام، دواؤه السيف، إن لم يتب) (۲).

و من الواضح: أن حمله الإسلام و تعاليمه الى الأمم ليسوا هم الوليد بن عقبه و لا مروان بن الحكم، و لا إبن أبی سرح نظراؤهم، و إنما هم علی (عليه السلام) و أهل البيت و أبو ذر و سلمان و ابن مسعود، و أبی بن كعب و نظرائهم من أعلام الأمه و علمائها. و ما كلام أبی زرعه و غيره هنا إلّا مغالطه ظاهره، لا تسمن و لا تغنی من جوع.

۶- لا يفسق الصحابی بما يفسق به غيره:

أما بالنسبه إلی المعاصی التی ارتكبوها، و لا يمكن دعوی التأويل و الإجتهاد فيها، فقد جاء تبريرها بدعوی:۴.

۱- الكفايه فی علم الروايه ص ۴۹ و السنه قبل التدوين ص ۴۰۵ عنه.

۲- أصول السرخسی ج ۲ ص ۱۳۴.

أن الصحابی لا یفسق بما یفسق به غیره (۱).

۷- حتمیه توبه الصحابی:

و إذا ارتکب الصحابی ما یوجب العقاب له أخرویا، مما توعّد اللّه عباده علیه بالعقاب بالنار، و لم یمکن دفع ذلک عنه، لا بدعوی الإجتهاد، و التأویل، و لا بغیر ذلک.

فإن علاج ذلک هو بالقول:

إن التوبه حتمیه الوقوع ممن یعصی منهم (۲).

۸- ذنب البدری یقع مغفورا:

و لبعض الشخصیات مزید من الأهمیه، فلا یمکن ترکها تعصی اللّه، ثم ننتظر إلی أن تصدر التوبه منها، و هی قد تتأخر بعض الوقت.

بل لا بد من مغفره ذنوب هؤلاء فورا.

ففتشوا عن تاریخ هؤلاء الأشخاص، فوجدوا أنهم ممن حضر بدرا- و إن لم یعلم عنه أنه قاتل- فجاءت المعالجه لتقدم معیارا جدیدا یقول:

إن ما یقع من معاص لا یحتاج إلی التوبه، إذا کان مرتکب ذلک ممن شهد بدرا لأن أهل بدر مغفور لهم (۳).ا.

۱- السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۰۳ و ۲۰۴ عن الخصائص الصغری، عن شرح جمع الجوامع و راجع: فتح الباری ج ۷ ص ۲۳۷.
۲- راجع: فتح الباری ج ۷ ص ۲۳۸ و السیره الحلبیه ج ۲ ص ۲۰۳.
۳- راجع: الصحیح من سیره النبی الأعظم صلی الله علیه و آله وسلم ج ۳ حین الحدیث حول غفران ذنب من شهد بدرا.

۹– الصحابه مجتهدون:

و كـان لاـ بـد من تبرير أخطاء وقع فيها بعض الصـحابه، سواء فى مواقفهم، أو فى فتاواهم، حتى حارب بعضـهم بعضا، و أزهقت أرواح كثيره، و سفكت دماء غزيره، و خرج بعضهم على إمام زمانه، و قاتلوه. كما جرى فى الجمل، و صفين، و النهروان.

فاخترعوا للصـحابه مسأله الإجتهاد، فكلهم مجتهدون (۱)، و لاـ اعتراض على المجتهـد، بـل هو إن أصاب فله أجران، و إن أخطأ كان له أجر واحد.

و بهذا أدخلوا معاويه، و طلحه بن الزبير الجنه، و منحوهم المزيد من الثواب على ما فعلوه و ما ارتكبوه من جرائم فى حق الإمام و الأمه.

و أصبح من حلل منهم الربا، و شرب الخمر مأجورا و مثابا، بل إن خالـد بن الوليد، الذى قتل مالك بن نويره بدون جرم، ثم نزا على زوجته فى نفس الليله مثاب و مأجور على ذلک أيضا.

و الخلاصه: أن المصيب منهم له أجران، كعلى (عليه السلام) و أصحابه.

و المخطى ء كمعاويه، و من معه لهم أجر واحد. بل كان ما فعلوه بالإجتهاد، و العمل به واجب، و لا تفسيق بواجب (۲).

و بتعبير آخر: (إن جميع من اشترک فى الفتنه من الصحابه عدول،۵.

۱– راجع: التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۳۶۴– ۳۶۶.

۲– راجع: فواتح الرحموت فى شرح مسلّم الثبوت ج ۲ ص ۱۵۸ و ۱۵۶ و سلّم الوصول (مطبوع مع نهايه السول) ج ۳ ص ۱۷۶ و ۱۷۷ و السنه قبل التدوين هامش ص ۳۹۶ و ۴۰۴ و ۴۰۵.

لأنهم اجتهدوا فی ذلک) (۱).

و قال الکیا الطبری: (و أما ما وقع بینهم من الحروب و الفتن، فتلک أمور مبنیه علی الإجتهاد، و کل مجتهد مصیب، و المصیب واحد، و المخطی ء معذور، بل مأجور) (۲).

و الملفت للنظر هنا: أننا نجد البعض لا- تطاوعه نفسه علی تخطئه الفئه الباغیه علی إمام زمانها، فیقول: إن علیا (علیه السلام) و أصحابه کانوا أقرب إلی الحق (۳).

و کأنه یرید أن یوحی للقارئ بأن معاویه قریب أیضا لکن علی أقرب، کما أنه بتعبیره هذا یکون قد تجنب التصریح بکون علی (علیه السلام) مع الحق، و الحق معه. و لا نستغرب علی هؤلاء مثل هذا البغی و الظلم، فإنما هی شنشنه أعرفها من أخزم.

و قال المقبلی، و نعم ما قال: (بعد أن تم لهم تعریف الصحبه ذیلوها باطّراح ما وقع من مسمّی الصحابی؛ فمنهم من یتستر بدعوی الإجتهاد، دعوی تکذبها الضروره فی کثیره (کذا) من المواضع، و منهم من یطلق- و یا عجباه من قله الحیاء- فی ادّعائهم الإجتهاد لبسر بن أرطأه، الذی انفرد بأنواع الشر؛ لأنه مأمور المجتهد معاویه، ناصح الإسلام فی سب علی بن أبی طالب و حزبه. و کذلک مروان، و الولید الفاسق. و کذلک الإجتهاد الجامع للشروط فی البیعه لیزید، و من أشار بها، و سعی فیها، أو۲.

۱- السنه قبل التدوین ص ۴۰۴ و راجع: إختصار علوم الحدیث (الباعث الحثیث) ص ۱۸۲.

۲- إرشاد الفحول ص ۶۹.

۳- إختصار علوم الحدیث (الباعث الحثیث) ص ۱۸۲.

رضیها) (۱).

و للعلامه أبی ريّه تعليقات هامه على كلام المقبلی هذا، یذکر فیها أفاعیل بعض الصحابه مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أمورا أخرى، فراجع.

كما أن ابن خلدون قد انتقد دعوى اجتهاد جمیع الصحابه هذه؛ فقال:

(إن الصحابه كلهم لم يكونوا أهل فتيا، و لا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، و إنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن، العارفين بناسخه و منسوخه إلخ ...) (۲).

۱۰- إجماع الأئمه المهتدين:

و قال مالك بن أنس: (سنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم و ولاه الأمر بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب اللّه عزّ و جلّ، و استكمال لطاعه اللّه، و قوه على دين اللّه. من عمل بها مهتد، و من استنصر بها منصور، و من خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، و ولّاه اللّه ما تولّى) (۳).

و عن عمر بن الخطاب، أنه قال لشريح، حين ولّاه القضاء: (فإن لم تعلم كل أقضيه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فاقض بما استبان لك من أمر الأئمه المهتدين) (۴).۷.

۱- أضواء على السنه المحمديه ص ۳۵۲ عن الأرواح النوافخ (المطبوع مع العلم الشامخ) ص ۶۸۷ و ۶۸۸.

۲- المقدمه لإبن خلدون ص ۳۸۹.

۳- تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۳۰۷.

۴- شرف أصحاب الحديث ص ۷.

و قال الخطیب البغدادی، بالنسبه للأمور التی لم یسمع من النبی صلی الله علیه و آله وسلم فیها شی ء: (إجماع الأئمه (الأمه خ ل) علی التحلیل و التحریم یثبت به الحکم، کأمر النبی صلی الله علیه و آله وسلم) (۱).

و المراد بالأئمه المهتدین حسب الظاهر هم الخلفاء الثلاثه الأول، ما عدا علی (علیه السلام)، کما سنری.

۱۱- رأی الصحابی حیث لا نص:

قال الخطیب: (إن کانوا قد قالوا رأیا و اجتهادا، و لم یسمع من النبی صلی الله علیه و آله وسلم فیه شی ء: فإجماع الأئمه (الأمه خ ل) علی التحلیل و التحریم یثبت به الحکم کأمر النبی صلی الله علیه و آله وسلم) (۲).

و ذکر المقریزی أیضا: أن أبا بکر کان یقضی بما کان عنده من الکتاب و السنّه؛ فإن لم یکن عنده شی ء، سأل من بحضرته من الأصحاب، فإن لم یکن عندهم شی ء اجتهد فی الحکم (۳).

و ذکر بعض آخر: أن الصحابه کانوا یغیبون عن مجلس النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فکانوا یجتهدون فیما لم یحضروه من الأحکام (۴).

و مهما یکن من أمر، فقد ذهب الأکثرون إلی جواز الإجتهاد فیه.

۱- الکفایه فی علم الروایه ص ۴۲۱/ ۴۲۲.

۲- المصدر السابق.

۳- راجع: الخطط و الآثار ج ۲ ص ۳۳۲ و تاریخ حصر الإجتهاد ص ۹۰- ۹۳ و راجع: الغدیر ج ۷ ص ۱۱۹ عن سنن الدارمی ج ۱ ص ۵۸ و عن الصواعق المحرقه ص ۱۰ و عن تاریخ الخلفاء ص ۷۱ و عن أعلام الموقعین ص ۱۹ و عن جامع بیان العلم ج ۲ ص ۵۱ و عن ابن سعد فی الطبقات.

۴- المصادر السابقه.

عصر النبی (صلی اللّه علیه و آله) و وقوعه. و قد ذکروا فی ذلک أقوالا کثیره، و تفصیلات عدیده، فلتراجع فی مظانها (۱).

۱۲- الاجتهاد فی مقابل النص کرامه للصحابه:

و تجد من العلماء من یقول: إن الصحابه (کانوا مخصوصین بجواز العمل و الفتوی بالرأی کرامه لهم.

فیجوز لهم العمل بالرأی فی موضع النص، و قد فعلوا ذلک فی عهد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و لم ینکر صلی الله علیه و آله وسلم ذلک علیهم. و هذا من الأمور الخاصه بهم دون غیرهم) (۲).

۱۳- الصحابه یشرّعون و فتاواهم سنّه:

و قد رأینا فی أحیان کثیره: أن بعض الصحابه یصرّحون بأن ما یفتون به ما هو إلا رأی رأوه. و قد ظهر خطأ کثیر منهم فی فتاواه و آرائه هذه، و مخالفتها للنص القرآنی، و لما ثبت بالأسانید الصحیحه عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

فکان لا بد من علاج ذلک، و تلافی سلبیاته، فجاءت النظریه الغریبه عن روح الإسلام لتقرر: أن للصحابه حق التشریع، و أن فتاواهم سنّه، إلا ما أفتی به علی (علیه السلام).

و یتضّح ذلک بمراجعه النصوص التالیه:

قال أبو زهره: (وجدنا مالکا یأخذ بفتواهم علی أنها من السنه) (۳)..

۱- راجع: إرشاد الفحول ص ۲۵۶ و ۲۵۷.

۲- راجع: أصول السرخسی ج ۲ ص ۱۳۴ و ۱۳۵ ثم إنه ناقش هذه النظریه و ردّها.

۳- ابن حنبل ص ۲۵۱/ ۲۵۲ و مالک ص ۲۹۰.

و قد رأينا أنهم يعقدون فى كتب أصولهم بابا لكون قول الصحابى فيما يمكن فيه الرأى ملحق بالنسبه لغير الصحابى بالسنه. و قيل: (إن ذلك خاص بقول الشيخين أبى بكر و عمر) (۱).

و خطب عثمان حينما بويع فقال: إن لكم علىّ بعد كتاب اللّه عز و جل، و سنه نبيه صلى الله عليه و آله وسلم ثلاثا:

(إتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه و سننتم، و سنّ سنه أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ) (۲).

و قال للبعض: السنه هى: (ما سنه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم و الصحابه بعده عندنا) (۳).

و أمثال ذلک کثیر، فراجع کتب أصول الفقه، و کتابنا: الحیاه السیاسیه للإمام الحسن (علیه السلام) ص ۸۶- ۹۰.

لفت نظر: و نعود فنذکر بأن الیهود یقولون: إن أقوال الحاخامات کالشریعه (۴).

۱۴- سنه الشیخین و الخلفاء سوی علی (ع):

قد تقدم: أنهم یعقدون بابا فی کتب الأصول یذکرون فیه: أن قولی.

۱- راجع علی سبیل المثال: فواتح الرحموت ج ۲ ص ۱۸۶ و التراتیب الإداریه ج ۲ ص ۳۶۶/ ۳۶۷ و سلم الوصول فی شرح نهایه السول ج ۴ ص ۴۱۰ و راجع نهایه السول ج ۴ ص ۴۱۰ و أصول السرخسی ج ۲ ص ۱۱۴/ ۱۱۵.

۲- حیاه الصحابه ج ۳ ص ۵۰۵ عن تاریخ الأمم و الملوک ج ۳ ص ۴۴۶.

۳- أصول السرخسی ج ۲ ص ۱۱۳ و راجع: نهایه السول ج ۴ ص ۴۱۶.

۴- مقارنه الأدیان (الیهودیه) ص ۲۲۲ تألیف الدکتور أحمد شلبی.

الصحابی فیما یمکن فیه الرأی ملحق بالسنه، و قیل: إن ذلک خاص بقول الشیخین أبی بکر و عمر.

و قال عمر بن عبد العزیز: (ألا إن ما سنّه أبو بکر و عمر، فهو دین نأخذ به، و ندعو إلیه).

و زاد المتقی الهندی: (و ما سنّ سواهما فإنا نرجیه) (۱).

و رووا عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قوله: (علیکم بسنتی و سنه الخلفاء الراشدین) (۲).

و بهذا استدل الشافعی علی حجیه قول أبی بکر و عمر (۳).

مع أننا قد أشرنا إلی أن هذا الحدیث- لو صح- فالمقصود بالخلفاء الراشدین هم الأئمه الإثنا عشر (علیهم السلام)، الذین ذکرهم النبی صلی الله علیه و آله وسلم مرات کثیره، کما فی صحیح مسلم و البخاری و أبی داود و غیر ذلک (۴).

و المقصود بسنه الخلفاء هو ما تلقوه عن رسول اللّه، و استفادوه من کتاب اللّه من أحکام و سنن و تشریعات.۷۰

۱- کنز العمال ج ۱ ص ۳۳۲ عن ابن عساکر، و کشف الغمه للشعرانی ج ۱ ص ۶ و النص له.
۲- راجع: الثقات لإبن حبان ج ۱ ص ۴ و نهایه السول ج ۳ ص ۲۶۶ و ۲۶۷ و سلم الوصول فی شرح نهایه السول ج ۴ ص ۴۱۰ و أصول السرخسی ج ۱ ص ۱۱۶ و ۱۱۴ و إرشاد الفحول ص ۳۳ و الأحکام فی أصول الأحکام للآمدی ج ۴ ص ۲۰۴ و حیاه الصحابه ج ۱ ص ۱۲ و عن کشف الغمه للشعرانی ج ۱ ص ۶.
۳- راجع المصادر التی فی الهامش السابق.
۴- راجع کتابنا: الغدیر و المعارضون ص ۶۱- ۷۰

و یقول عثمان: (إن السنه سنه رسول اللّه و سنه صاحبیه (۱).

و فی قضیه الشوری یعرض عبد الرحمان بن عوف علی أمیر المؤمنین علی (علیه السلام): أن یبایعه علی العمل بسنه النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و سنه الشیخین: أبی بکر و عمر؛ فأبی (علیه السلام) ذلک، فحولت البیعه إلی عثمان (۲).

و قد بلغ من تأثیر الشیخین علی الناس، و نفوذهما فیهم: أننا نجد ربیعه بن شداد لا یرضی بأن یبایع علیا أمیر المؤمنین (علیه السلام) علی کتاب اللّه و سنه رسوله. و قال: علی سنه أبی بکر و عمر.

فقال له (علیه السلام): (ویلک، لو أن أبا بکر و عمر عملا بغیر کتاب اللّه و سنه رسوله لم یکونا علی شی ء) (۳).

و قال ابن تیمیه:

(فأحمد بن حنبل و کثیر من العلماء یتبعون علیا فیما سنّه، کما یتبعون عمر و عثمان فیما سنّاه، و آخرون من العلماء- کمالک و غیره- لا یتبعون علیا فیما سنّه. و کلهم متفقون علی اتباع عمر و عثمان فیما سناه) (۴).۶

۱- سنن البیهقی ج ۳ ص ۱۴۴ و الغدیر ج ۸ ص ۱۰۰ عنه و راجع: الطبقات الکبری لإبن سعد ج ۲ قسم ۲ ص ۱۳۵. و راجع روایه صالح بن کیسان و الزهری فی تقیید العلم ص ۱۰۶ و ۱۰۷ و فی هامشه عن العدید من المصادر.
۲- راجع قصه الشوری فی أی کتاب تاریخی شئت. و راجع: أصول السرخسی ج ۲ ص ۱۱۴ و الأحکام فی أصول الأحکام للآمدی ج ۴ ص ۱۳۳.
۳- بهج الصباغه ج ۱۲ ص ۲۰۳.
۴- منهاج السنه ج ۳ ص ۲۰۵ و قواعد فی علوم الحدیث ص ۴۴۶.

۱۵– سنه كل إمام عادل:

ثم لما مست الحاجه إلى فتاوى و تبريرات أخرى اقتضتها سياسات الحكام، و تصدّى الحكام لسنّ بعض السنن، جاء المبرر الآخر المنسوب إلى إبن عباس، ليكون أكثر قبولا لدى أهل العلم، و إن كنا لا نوافق على نسبته له، ليقول:

(السنه سنتان: من نبى، أو من إمام عادل) (۱).

۱۶– سنه و فتوى كل أمير:

و حين زاد تدخل الحكام فى شرع اللّه، و فى دينه، و اتسع نطاقه، و تعدى دائره الخلفاء، و كان لا بد من تبرير ذلك أيضا، قالوا:

إنه بعد موت أبى بكر، و فتح سائر البلاد فى عصر عمر، و بعده، تزايد تفرّق الصحابه فى البلاد. فكان أمير كل بلد يجتهد، لو لم يكن فيها صحابى (۲).

و كأنهم يريدون بصياغه الأمور على هذا النحو الإيحاء بأن ذلك قد كان بسبب الضروره، حيث لم يكن ثمه مخرج إلا ذلك.

مع أن المخرج موجود، بمرأى منهم و مسمع و هو الأخذ بقول النبى فيما يرتبط بالتمسك بالعتره، فإنهم سفينه نوح من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق، و هم أحد الثقلين، اللذين لن يضل من تمسك بهما.

۱۷– رأى الصحابى أقوى من رأى غيره:

۱– كنز العمال ج ۱ ص ۱۶۰ عن الديلمى فى الفردوس.

۲– راجع: الخطط و الآثار للمقريزى ج ۲ ص ۳۳۲ و تاريخ حصر الإجتهاد ص ۹۰ و ۹۳.

قد عرفنا: أن بعض الصحابه يصدرون فتاوی، لم يستندوا فيها إلی آيه و لا إلی روايه، و إنما هو الرأی منهم، و هو قد يخطیء و يصيب. و صار يناقض بعضهم بعضا أحيانا. بل قد نجد التناقض فی آراء الصحابی الواحد.

يقول البعض: إن الصحابه كانوا يغيبون عن مجلس النبی صلی الله عليه و آله وسلم ، فكانوا يجتهدون فيما لم يحضروه من الأحكام. و لعدم تساوی هؤلاء المجتهدين فی العلوم و الإدراكات، و سائر القوی و الملكات، تختلف- طبعا- الآراء و الإجتهادات، ثم تزايدت تلك الإختلافات، بعد عصر الصحابه (۱).

فكان لا بد من علاج هذه الحاله، و تلافی سلبياتها، فكان أن اخترعوا لنا دعوی: (أن قول الصحابی إن كان صادرا عن الرأی؛ فرأيهم أقوی من رأی غيرهم؛ لأنهم شاهدوا طريق رسول اللّه صلی الله عليه و آله وسلم فی بيان أحكام الحوادث، و شاهدوا الأحوال التی نزلت فيها النصوص، و المحالّ، التی تتغير باعتبارها الأحكام ...) (۲) ثم قرروا علی هذا الأساس لزوم تقديم رأيهم علی رأينا، لزياده قوه فی رأيهم.

۱۸- قول الصحابی يعارض الحديث الصحيح:

و إذا خالفت فتوی الصحابی قولا- صريحا، و حديثا صحيحا عن رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله)، فإن الإمام مالك بن أنس يعاملهما معامله المتعارضين.۸.

۱- راجع: الخطط و الآثار للمقريزی ج ۲ ص ۳۳۲ و تاريخ حصر الإجتهاد ص ۹۰ و ۹۲.

۲- أصول السرخسی ج ۲ ص ۱۰۸.

قال أبو زهره: (إن مالكا يوازن بينها و بين الأخبار المرويه، إن تعارض الخبر مع فتوى صحابى. و هـذا ينسحب على كل حديث عنه صلى الله عليه و آله وسلم ، حتى لو كان صحيحا) (۱).

و نقل عن الشوكانى ما يقرب من ذلك أيضا (۲).

و قال الأسنوى عن قول الصحابى: (فهل يخص به عموم كتاب أو سنه؟ فيه خلاف لأصحاب الشافعى، حكاه الماوردى).

و (قال فى جمع الجوامع: و فى تخصيصه للعموم قولان. قال الجلال: الجواز كغيره من الحجج. و المنع إلخ ..) (۳).

و قال ابن قيم الجوزيه عن الإمام أحمد بن حنبل:

(و كان تحريه لفتاوى الصحابه كتحرّى أصحابه لفتاويه و نصوصه، بل أعظم، حتى إنه ليقدم فتاواهم على الحديث المرسل) برجال ثبت (۴).

و قال التهانوى: (لا ـ لوم على الحنفيه إذا أخذوا فى مسأله بقول ابن مسعود و فتواه، و تركوا الحديث المرفوع؛ لإعترافكم بأن فتوى الصحابى هو الحكم و هو الحجه، و إذا تعارض الحديثان يعمل بالترجيح؛ فإن رجّح القياس أو مرجح آخر سواه قول الصحابى على الخبر المرفوع، فينبغى أن يجوز عندكم الأخذ بقول الصحابى).

و لكنه عاد فقال: (إن غالب أقوال الصحابه و فتاواهم كان على سبيل التبليغ عن قول النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، أو فعله أو أمره. و إذا كان كذلك فيجوز۹.

۱- ابن حنبل ص ۲۵۱ و مالک ص ۲۹۰.
۲- ابن حنبل ص ۲۵۴ و ۲۵۵ عن إرشاد الفحول ص ۲۱۴.
۳- نهايه السول، و سلّم الوصول بهامشه ج ۴ ص ۴۰۸.
۴- أعلام الموقعين ج ۱ ص ۲۹.

للمجتهد أن يرجح فتوى الصحابى على المرفوع الصريح أحيانا، إذا ترجح عنده كون فتوى الصحابى مبنيه على جهه التبليغ دون الرأى) (۱).

و لكن مراجعه فتاوى الصحابه توضح عدم صحه قوله: إنها كانت على سبيل التبليغ، لكنه أراد تخفيف قبح هذا العمل.

۱۹- عمل الصحابى يوجب ضعف الحديث:

قال التهانوى: (عمل الصحابه أو صحابى بخلاف الحديث يوجب الطعن فيه، إذا كان الحديث ظاهرا عليهم أو عليه) (۲).

و قال السرخسى: (أما ترك العمل بالحديث أصلا، فهو بمنزله العمل بخلاف الحديث، حتى يخرج به عن أن يكون حجه) (۳)

۲۰- مراسيل الصحابه:

كثيرا ما نجد أنهم قد نسبوا إلى بعض الصحابه أمورا يدّعى أنهم شهدوها، أو سمعوها من النبى صلى الله عليه و آله وسلم أو من غيره، تهدف إلى تأييد اتجاه سياسى، أو مذهبى معين، ثم يظهر البحث العلمى أن أولئك الصحابه ما كانوا قد ولدوا فى تلك الفتره، أو ما كانوا موجودين فى بلد الحدث، أو حين صدور ذلك القول أو الفعل.

فتأتى قاعده جديده لتحل المشكل، و تحسم الأمر لصالح ذلك الإتجاه السياسى أو المذهبى. حيث تقرر كما ذكره جماعه:٧.

۱- قواعد فى علوم الحديث ص ۴۶۰ و ۴۶۱.

۲- قواعد فى علوم الحديث ص ۲۰۲.

۳- أصول السرخسى ج ۲ ص ۷.

أن مرسلات الصحابه حجه. ثم يحاولون تبرير هذه القاعده بدعاوى لا تثبت أمام النقد العلمى الصحيح فيقولون:

لأن الظاهر: أن ذلک الصحابى قد سمع ذلک من النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، أو من صحابى آخر سمعه من النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، بل لقد قبل بعضهم مراسيل التابعين، و تابعى التابعين أيضا (۱).

و كان أحمد بن حنبل يقدم الموقوف عن الصحابه و التابعين على المرسلات عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم (۲).

۲۱- تصويب الصحابه و غيرهم فى إجتهاد الرأى:

قد يقال: إن الإجتهاد معناه: أن المجتهدين قد يصيبون فى اجتهادهم، و قد يخطئون؛ فلا بد لنا نحن من معرفه الصواب من الخطأ فى ذلک. فإن الإجتهاد إذا كان عذرا لهم إذا أخطأوا فليس عذرا لنا فى متابعتهم على الخطأ، و لا سيما بعد ظهوره لنا.

فجاء العلاج ليقول: أما بالنسبه لفتاواهم فى الأحكام، فإنهم مصيبون جميعا فى اجتهادهم؛ فقد قال الشهاب الهيثمى فى شرح الهمزيه على قول البوصيرى عن الصحابه: (كلهم فى أحكامه ذو اجتهاد- أى صواب- و كلهم أكفاء) (۳).۵.

۱- راجع تفصيل ذلک فى: إرشاد الفحول ص ۶۴ و ۶۵ و الخلاصه فى أصول الحديث ص ۶۷ و الكفايه فى علم الروايه ص ۳۸۵ و ۳۸۴ و راجع ص ۴۰۴ و قواعد فى علوم الحديث للتهانوى ص ۱۳۸.

۲- الكفايه فى علم الروايه ص ۳۹۲ و قواعد فى علوم الحديث للتهانوى ص ۱۳۹ و ۱۴۱.

۳- التراتيب الإداريه ج ۲ ص ۳۶۶ و راجع ص ۳۶۴ و ۳۶۵.

و أما بالنسبه لما جرى بين الصحابه من الفتن، فهو أيضا اجتهاد منهم؛ و قد يقال لصواب هذا الإجتهاد من الجميع أيضا، فقد قال الآمدى:

(و على هذا، فإما أن يكون كل مجتهد مصيبا، أو أن المصيب واحد، و الآخر مخطىء فى اجتهاده، و على كلا التقديرين، فالشهاده و الروايه من الفريقين لا تكون مردوده. أما بتقدير الإصابه فظاهر، و أما بتقدير الخطأ مع الإجتهاد فبالإجماع) (۱).

و عن العنبرى فى أشهر الروايتين عنه: (إنما أصوب كل مجتهد فى الذين يجمعهم اللّه. و أما الكفره فلا يصوّبون) (۲).

و قال الشوكانى: (ذهب جمع جم إلى أن كل قول من أقوال المجتهدين فيها (أى فى المسائل الشرعيه التى لا قاطع فيها) حق و أن كل واحد منهم مصيب، و حكاه الماوردى و الرويانى عن الأكثرين. قال الماوردى: و هو قول أبى الحسن الأشعرى و المعتزله).

إلى أن قال: (و قال جماعه منهم أبو يوسف: إن كل مجتهد مصيب، و إن كان الحق مع واحد. و قد حكى بعض أصحاب الشافعى عن الشافعى مثله)

إلى أن قال: (فمن قال: كل مجتهد مصيب، و جعل الحق متعددا بتعدد المجتهدين فقد أخطأ) (۳).

و قال حول حجيه الإجماع: (فغايه ما يلزم من ذلک أن يكون ما۱.

۱- الأحكام فى أصول الأحكام ج ۲ ص ۸۲ و السنه قبل التدوين ص ۴۰۴ عنه.

۲- إرشاد الفحول ص ۲۵۹.

۳- إرشاد الفحول ص ۲۶۱.

أجمعوا علیه حقا، و لا یلزم من کون الشی ء حقا وجوب اتباعه؛ کما قالوا:

إن کل مجتهد مصیب، و لا یجب علی مجتهد آخر اتباعه فی ذلک الإجتهاد بخصوصه) (۱).

و قال الأسنوی حول الإجتهاد و فی الواقعه التی لا نص علیها: فیها قولان: (أحدهما: أنه لیس للّه تعالی فیها قبل الإجتهاد حکم معین بل حکم اللّه تعالی فیها تابع لظن المجتهد. و هؤلاء هم القائلون بأن کل مجتهد مصیب، و هم الأشعری، و القاضی، و جمهور المتکلمین من الأشاعره و المعتزله إلخ) (۲).

و نقل عن الأئمه الأربعه، و منهم الشافعی التخطئه و التصویب فراجع (۳).

۲۲- النبی صلی الله علیه و آله وسلم یجتهد و یخطی ء:

لقد أظهرت الروایات التی زعموها تاریخا لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم : أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم یجتهد و یخطی ء فی اجتهاده. و یجتهد عمر فیصیب، فتنزل الآیات لتصوّب رأی عمر و تخطّی ء النبی صلی الله علیه و آله وسلم کما زعموه فی وقعه بدر الکبری، فی قضیه فداء الأسری (۴) و آیه الحجاب و غیرها.

و لأجل ذلک تجدهم یقرّون بأن النبی صلی الله علیه و آله وسلم یخطی ء فی اجتهاده،ر.

۱- إرشاد الفحول ص ۷۸.

۲- نهایه السول ج ۴ ص ۵۶۰ و راجع ص ۵۵۸ و راجع: الأحکام للآمدی ج ۴ ص ۱۵۹.

۳- نهایه السول ج ۴ ص ۵۶۷.

۴- سیأتی تفصیل ذلک، و بیان فساده حین الحدیث حول غزوه بدر.

و لكن لا يقرّر على الخطأ (۱).

و لكن قولهم: إنه صلى الله عليه و آله وسلم لا يقرر على خطئه لا يتلاءم مع ما يروونه عنه صلى الله عليه و آله وسلم من أخطاء في اجتهاده، مع عدم صدور رادع عنه، كما هو الحال في قصه تأبير النخل، حيث لم يرد ما يرفع خطأه، و وقع الناس نتيجه لذلك في الخساره و الفشل (۲) فراجع.

۲۳- سهو النبي صلى الله عليه و آله وسلم و نسيانه:

و أما بالنسبه لسهو النبي صلى الله عليه و آله وسلم و نسيانه، و اعترافه هو بذلك (۳)، فذلك حدّث عنه و لا حرج. و ستأتي قصه ذي الشمالين، و سهو النبي صلى الله عليه و آله وسلم في صلاته، بعد غزوه بدر إن شاء اللّه تعالى. فإذا جاز على النبي صلى الله عليه و آله وسلم ذلك، فإن أهدافا كثيره يمكن تحقيقها عن هذا الطريق، و يمكن تصحيح روايات عديده تخدم هوى سياسيا أو مذهبيا بعينه.

۲۴- عصمه الأمه عن الخطأ:

و إذا كان الرسول يخطيء في اجتهاده، فإن الأمه معصومه عن الخطأ، بل سيأتي حين الحديث حول صحه ما في البخاري و مسلم: أن ظن الأمه لا يخطيء أيضا. أي أنه إذا حصل إجماع بعد الخلاف؛ فإن ذلك يلغي أي تشكيك بصحه ما أجمعوا عليه، بل لا بد من الحكم بصحتهل.

۱- راجع: أصول السرخسي ج ۲ ص ۳۱۸ و ص ۵ و ۹۶ و ۹۱ و إرشاد الفحول ص ۳۵ و نهايه السول ج ۴ ص ۵۳۷ و الأحكام في أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۸۷ و اجتهاد الرسول ص ۱۲۲- ۱۲۴ عن العديد من المصادر.

۲- سيأتي الحديث عن قصه تأبير النخل في هذا الكتاب أيضا إن شاء اللّه تعالى.

۳- راجع على سبيل المثال: إرشاد الفحول ص ۳۵ و الأحكام في أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۸۷ و ۱۸۸ و اجتهاد الرسول.

و صوابه، لأن الأمه معصومه (۱).

و قد واجه القائلون بعصمه الأمه فكره أن تكون الأمه أعلى رتبه من النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، فكیف وجب علیها طاعته و اتباعه؟!

فأزعجهم ذلك، و حاولوا التخلص منها، فما أفلحوا فی ذلك فراجع (۲).

۲۵- الإجماع نبوه بعد نبوه:

و قد یحتاج الحاكم أحیانا من أجل تثبیت سلطانه، و إحكام قبضته علی مقدرات الشعوب إلی التصرف فی بعض الشؤون العقائدیه، أو الفقهیه الثابته، أو المفاهیم الدینیه، فیواجه اعتراضا من علماء الأمه، و أهل الفضل و الدین.

فلا بد إذن من إیجاد تبریر لما یقدم علیه من تصرّف، و من تغییر فی الدین و أحكامه، و رسومه و أعلامه؛ فجاءت القاعده لتقول:

إنه إذا حصل ذلك، و استطاع أن یحصل علی موافقه الناس فی عصره، و إجماعهم، فإن هذا الإجماع یصبح تشریعا إلهیا، و لا مجالی.

۱- راجع: تهذیب الأسماء ج ۱ ص ۴۲ و راجع: الإلمام ج ۶ ص ۱۲۳ و الباعث الحثیث ص ۳۵ و شرح صحیح مسلم للنووی (مطبوع بهامش إرشاد الساری) ج ۱ ص ۲۸، و نهایه السول ج ۳ ص ۳۲۵ و سلم الوصول ج ۳ ص ۳۲۶ و علوم الحدیث لإبن الصلاح ص ۲۴، و إرشاد الفحول ص ۸۲ و ۸۰ و الأحكام فی أصول الأحكام للآمدی ج ۴ ص ۱۸۸ و ۱۸۹.

۲- راجع: الأحكام فی أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۸۸. ففیه ما یستفاد منه ذلك، و ناقشه بما لا یجدی، و كذا فی كتاب: اجتهاد الرسول ص ۱۴۱ و ۱۴۲ عن مصادر أخری.

لنقضه، و لا لمعارضته، و الإعتراض عليه، إلا بتحصيل إجماع مثله و ذلک لأن الإجماع نبوه بعد نبوه (۱). و هو حجه قاطعه للعذر، متی انعقد، و فی أی عصر کان (۲).

و کنموذج من ذلک نشیر إلی: أن هذا ما حدث بالفعل بالنسبه إلی الخلافه الإسلامیه، فقد کان ثمه إجماع علی اشتراط القرشیه فی خلیفه المسلمین، حتی جاء السلطان سلیم إلی مصر، و خلع الخلیفه القرشی، و تسمی هو بالخلیفه، و ألغی عملیا هذا الشرط، ثم أجمعت الأمه علی إلغائه و لا تزال. و أصبح عدم القرشیه من الدین، کما کانت القرشیه من الدین فی السابق.

۲۶- ظن المعصوم لا یخطیء:

و بعد، فإنه إذا کانت الأمه معصومه، و کان أفراد الصحابه مصیبین فی اجتهاداتهم کلها و لا یخطئون. فإن ضابطه أخری لا بد من مراعاتها، لأنها تنفع فی حل مشکلات کثیره تواجههم. و هی قاعده: ظن المعصوم عن الخطأ، لا یخطیء (۳). و سیأتی استدلالهم بهذه القاعده فی مورد حساس فی هذا البحث بالذات.۸.

۱- راجع: المنتظم ج ۹ ص ۲۱۰ و الإلمام ج ۶ ص ۱۲۳ و الأحکام فی أصول الأحکام ج ۱ ص ۲۰۴ و ۲۰۵ و بحوث مع أهل السنه و السلفیه ص ۲۷ عن المنتظم.

۲- راجع: الأحکام فی أصول الأحکام ج ۱ ص ۲۰۸ و تهذیب الأسماء ج ۱ ص ۴۲ و النشر فی القراءات العشر ج ۱ ص ۷ و ۳۳ و ۳۱. و أی کتاب أصولی، یبحث حول حجیه الإجماع، وفق مذاق أهل السنه.

۳- الباعث الحثیث ص ۳۵ و علوم الحدیث لإبن الصلاح ص ۲۴ و شرح صحیح مسلم (بهامش إرشاد الساری) ج ۱ ص ۲۸.

۲۷– اجتهاد الفقهاء یقدم علی النص:

و حین ظهر أن کثیرا من اجتهادات أئمه المذاهب تخالف النص الوارد عن رسول اللّه، فقد أجازوا مخالفه نص رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و الإلتزام بآراء أئمه مذاهبهم.

فقد قال البعض، و هو یتحدث عن الشافعیه: (و العجب منهم من یستجیز مخالفه الشافعی لنص له آخر فی مسأله بخلافه. ثم لا یرون مخالفته لأجل نص رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم) (۱).

و نقول: إن ملاحظه طریقتهم فی التعامل مع الحدیث، و مع فتاوی أئمتهم تعطینا: أن ذلک لا ینحصر بالشافعی و أصحابه، بل هو ینسحب علی غیرهم من أتباع المذاهب الأخری الأربعه، و غیرها أیضا.

و قد أحصی ابن القیم فی أعلام الموقعین حوالی مئه حدیث لم یأخذ بها مقلده الفقهاء. حسبما یتضح من مراجعه الأحادیث المبثوثه فی الکتب المعتبره لدی أهل السنه.

و ذکر سبط ابن الجوزی جمله من أحادیث الصحیحین لا یأخذ بها الشافعیه، لما ترجح عندهم مما یخالفها.

ورد أبو حنیفه علی رسول اللّه أربع مئه حدیث أو أکثر. و فی روایه:

وردّ مئتی حدیث. بل قال حماد بن سلمه: إن أبا حنیفه استقبل الآثار و السنن فردها برأیه (۲).

۲۸– القیاس، و الرأی، و الاستحسان:

۱– مجموعه المسائل المنیریه ص ۳۲.

۲– راجع ما تقدم: فی أضواء علی السنه المحمدیه ص ۳۷۰ و ۳۷۱.

ثم و من أجل سد النقص الناتج عن ابتعاد الناس عن حدیث رسول اللّه، و ابتعادهم عن أئمه أهل البیت، فقد قرروا إجازه العمل بالقیاس، و الرأی، و الإستحسان، و ما إلی ذلک.

و قد کتب الخلیفه عمر بن الخطاب لأبی موسی الأشعری: (فاعرف الأشباه و الأمثال، ثم قس الأمور بعضها ببعض، أقربها إلی اللّه، و أشبهها بالحق؛ فاتبعه، و اعمد إلیه.) (۱).

و قال لشریح: (فإن لم تعلم کل ما قضت به الأئمه المهتدون، فاجتهد رأیک). أو قال: (و لم یتبین لک فی السنه فاجتهد فیه رأیک) (۲).

و قد عمل بالرأی کل من أبی بکر، (۳) و ابن مسعود، و عثمان، و عمر (۴) و غیرهم من الصحابه، فراجع.

و قد کان من نتیجه ذلک أن (استحالت الشریعه و صار أصحاب القیاس أصحاب شریعه جدیده) علی حد تعبیر ابن أبی الحدید المعتزلی (۵).

و قد أعلن الأئمه (علیهم السلام) رفضهم لهذا النهج، و أدانوه بشده و إصرار، و رفضه غیرهم أیضا.۴.

۱- تاریخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزی ص ۱۵۵ و الکامل فی الأدب ج ۱ ص ۱۳ و أعلام الموقعین ج ۱ ص ۸۶ و سنن الدارقطنی ج ۴ ص ۲۰۶ و ۲۰۷ و راجع: المحلی ج ۱ ص ۵۹ و عیون الأخبار لإبن قتیبه ج ۱ ص ۶۶.
۲- تهذیب تاریخ دمشق ج ۶ ص ۳۰۷.
۳- الأحکام فی أصول الأحکام ج ۴ ص ۱۶۲. و قد تقدمت بقیه المصادر رقم/ ۱۱ رأی الصحابی حیث لا نص، فراجع.
۴- الأحکام فی أصول الأحکام ج ۴ ص ۱۶۲ و المحلی ج ۱ ص ۶۱.
۵- شرح النهج ج ۱۲ ص ۸۴.

و قـد قال الشـعبی فی إشاره إلی رفض العمل بالرأی: ما حـدثوک عن أصـحاب محمد صـلی الله علیه و آله وسـلم فخذ به، و ما قـالوا برأیهم، فبل علیه (۱). الصـحیح من السـیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۱ ۲۲۵ ۲۸ - القیاس، و الرأی، و الاسـتحسان: ..... ص : ۲۲۳

قال ابن شبرمه:

دخلت أنا و أبو حنیفه علی جعفر بن محمد بن علی، فقال له جعفر:

اتق اللّه، و لاـ تقس الـدین برأیـک، فإنّا نقف غـدا نحن و أنت، و من خلفنا بین یـدی اللّه تعالی، فنقول: قال اللّه، قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و تقول أنت و أصحابک: سمعنا و رأینا، فیفعل اللّه بنا و بکم ما یشاء (۲).

۲۹- ما دل علیه القیاس ینسب للنبی صلی الله علیه و آله وسلم :

و قـد أراد العـاملون بالقیـاس إضـفاء هـاله من القدسـیه علی آرائهم، و تکریسـها کمعیـار عملی، و نهـج فکری، ثـابت و مقبول، فسمحوا بنسبه ما دل علیه القیاس إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و إن لم یکن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد قاله

یقول البعض: (استجاز بعض فقهاء أهل الرأی نسبه الحکم الذی دل علیه القیاس الجلی إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم نسبه قولیه. فیقولون فی ذلک: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم : کذا. و لهذا تری کتبهم مشحونه بأحادیث تشهد متونها بأنها موضوعه؛ لأنها تشبه فتاوی الفقهاء، و لأنهم لا یقیمون لها سندا) (۳).

۳۰- لا اجتهاد بعد الیوم:

اشاره

۱- شرف أصحاب الحدیث ص ۷۴.

۲- شرف أصحاب الحدیث ص ۷۶.

۳- الباعث الحثیث ص ۸۵ عن السخاوی فی شرح ألفیه العراقی ص ۱۱ و المتبولی فی مقدمه شرحه الجامع الصحیح.

و من أجل تكريس المـذاهب الأربعه، و لكى لا يفكر أحد بالتعدى عنها، و تكون هى المعيار و الضابطه دون سواها؛ فقد قرروا: أنه لا يحق لأحـد أن يجتهـد فى هـذه العصور المتأخره إلا فى حـدود المـذهب الذى ينتسب إليه، أو فى دائره خصوص مذاهب الأئمه الأربعه، و وفق أصول محدده لا مجال للتعدى عنها.

(ذكر ابن الصـلاح: أنه يتعين تقليد الأئمه الأربعه دون غيرهم؛ لأن مذاهب الأربعه قد انتشـرت، و علم تقييد مطلقها، و تخصـيص عامها، و نشرت فروعها؛ بخلاف مذهب غيرهم) (۱).

و قال الشـيخ محمـد نجيب المطيعى: (قـد بنى ابن الصـلاح على ما قاله إمام الحرمين قوله بوجوب تقليـد واحد من الأئمه الأربعه دون غيرهم ..

إلى أن قال: بل الحق: أنه إنما منع من تقليد غيرهم، لأنه لم تبق روايه مذاهبهم محفوظه ..

إلى أن قـال: امتنع تقليـد غير هؤلاء الأئمه الأربعه من الصـحابه و غيرهم، لتعـذر نقل حقيقه مـذاهبهم، و عـدم ثبوته حق الثبوت) (۲).

و نقل محمـد فريـد وجـدى عن بعضـهم: أنه بعد الماءتين كان الواجب على كل من المقلدين و المجتهدين المنتسبين أن ينتموا لمذهب واحد معين من المجتهدين المستقلين.

و أمـا من نشأ من المسـلمين بعـد المئه الرابعه إلى زمن صـاحب كتـاب (الإنصـاف فى بيـان سـبب الإختلاف)، فهم إما عامى أو مجتهد منتسب،١.

۱- نهايه السول فى شرح منهاج الأصول ج ۴ ص ۶۳۲.

۲- سلم الوصول لشرح نهايه السول ج ۴ ص ۶۳۱.

فیجب علی العامی تقلید المجتهد المنتسب لا غیر، لإمتناع وجود المستقل من هذا التاریخ حتی الیوم (۱).

من ترک التقلید خرج من الاسلام:

قال التهانوی الحنفی: و من ترک هذا التقلید، و أنکر اتباع السلف، و جعل نفسه مجتهدا أو محدثا، و استشعر من نفسه أنه یصلح لاستنباط الأحکام، و أجوبه المسائل من القرآن و الحدیث فی هذا الزمان، فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه، أو کاد أن یخلع، فأیم اللّه لم نر طائفه یمرقون من الدین مروق السهم من الرمیه إلا هذه الطائفه المنکره لتقلید السلف، الذامه لأهلها إلخ ..) (۲).

و قال المقریزی: (ولی بمصر القاهره أربع قضاه، و هم شافعی، و مالکی، و حنفی، و حنبلی؛ فاستمر ذلک من سنه خمس و ستین و ست مئه، حتی لم یبق فی مجموع أمصار الإسلام مذهب یعرف من مذاهب أهل الإسلام سوی هذه المذاهب الأربعه، و عقیده الأشعری. و عملت لأهلها المدارس، و الخوانک، و الزوایا، و الربط فی سائر ممالک الإسلام.

و عودی من تمذهب بغیرها، و أنکر علیه، و لم یولّ قاضی، و لا قبلت شهاده أحد، و لا قدم للخطابه، و الإمامه، و التدریس أحد ما لم یکن مقلدا لأحد هذه المذاهب.

و أفتی فقهاء هذه الأمصار فی طول هذه المده بوجوب اتباع هذه المذاهب، و تحریم ما عداها، و العمل علی هذا إلی الیوم) (۳).۴.

۱- راجع: دائره معارف القرن العشرین لوجدی ج ۳ ص ۲۲۳.

۲- قواعد فی علوم الحدیث ص ۴۶۲.

۳- الخطط و الآثار للمقریزی ج ۲ ص ۳۳۴.

و قـد ذکر ابن الفوطی ما یدل علی أن رسم التمذهب بالمذاهب الأربعه فی بغداد، و المنع من ذکر آراء غیرهم قد کان قبل هذا التاریـخ، بحوالی عشـرین سـنه أو أکثر. فراجع کلامه حول افتتاح المـدرسه المستنصـریه، ثم رسم تعلیم المذاهب الأربعه فیها، و المنع مما عداها (۱).

و قد کان ابن الصلاح المتوفی سنه ۶۴۳ ه. قد أفتی بحرمه الخروج علی تقلید الأئمه الأربعه، مستدلا له بإجماع المحققین (۲).

تکریس المذاهب بالأموال:

و نقل البعض: أن العباسـیین فی بغـداد طلبوا من أهل المذاهب أموالا، فلم یسـتطع الشـیعه تأمین المال المطلوب. لکن الحنفیه، و المالکیه، و الحنبلیه، و الشافعیه قد دفعوا المال المطلوب لأجل اتساع حالهم، و تیسـر المال لدیهم. و کان ذلک فی زمن الشریف المرتضی المتوفی سنه ۴۳۶ ه.

فـآل ذلـک إلی تکریس المـذاهب فی الأـربعه، و اتفقـوا علی بطلاـن مـا عـداها. و جـوزوا الإجتهـاد فی المـذهب، و لم یجوزوا الإجتهاد عن المذهب (۳).

و قد فصل ابن قیم الجوزیه أقوال القائلین بانسداد باب الإجتهاد، و زمان ذلک الإنسداد، و قولهم: لا یجوز الإختیار بعد الماءتین، و ناقش تلک۴.

۱- تاریخ حصر الإجتهاد ص ۱۰۵- ۱۰۷.

۲- المصدر السابق ص ۱۰۸.

۳- راجع: ریاض العلماء ج ۴ ص ۳۳ و ۳۴.

الأقوال، فراجع (١).

التمهيد للتقليد:

و قد لا حظنا: أنهم، و هم يحكمون على من مارس الإجتهاد، و لم يقلد من يحبون، أو من استشعر من نفسه أنه يصلح لاستنباط الأحكام، بالمروق من الدين، و خلع ربقه الإسلام من عنقه، حسبما تقدم عن التهانوى.

قد مهدوا لسد باب الإجتهاد، و لكن بذكاء حينما ناقشوا أولا مسأله خلوّ العصر من المجتهد. فلما جوزوه، انتقلوا إلى القول بأن الخلق كالمتفقين على أنه لا مجتهد اليوم.

فقد (حكى الزركشى فى البحر عن الأكثرين: أنه يجوز خلو العصر من المجتهد. و به جزم صاحب المحصول.

قال الرافعى: الخلق كالمتفقين على أنه لا مجتهد اليوم. قال الزركشى: و لعله أخذه من كلام الإمام الرازى، أو من قول الغزالى فى الوسيط: قد خلا العصر من المجتهد المستقل) (٢).

و قد ناقشهم الشوكانى، و ابطل هذا الزعم منهم، فراجع كلامه (٣).

و يقول نص آخر: (قد استدل بما صرح به الإمام حجه الإسلام۴.

١- أعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٧٥- ٢٧٨. و راجع كتاب الإجتهاد فى الإسلام ص ٢١٨- ٢۴۶.

٢- إرشاد الفحول ص ٢٥٣.

٣- إرشاد الفحول ص ٢٥٣ و ٢٥۴.

قدس سره، و الرافعی، و القفال بأنه وقع فی زماننا هذا الخلوّ) (أی من المجتهد) إلی أن قال:

(من النـاس من حکم بوجوب الخلو من بعـد العلامه النسـفی، و اختتم الإجتهـاد به. و عنوا الإجتهـاد فی المـذهب. أمـا الإجتهاد المطلق، فقالوا: اختتم بالأئمه الأربعه، حتی أوجبوا تقلید واحد من هؤلاء علی الأمه) (۱).

و مهما یکن من أمر، فإن سد باب الإجتهاد إنما هو لدی فریق معین غیر الشیعه، أما شیعه الأئمه الأثنی عشر (علیهم السلام)، و أتباعهم، فهم فی غنی عن کل هـذا، فهم یفتحون باب الإجتهاد علی مصـراعیه، و یمارسونه بصوره مطرده علی مرّ التاریخ، و إلی یومنا هذا.

و هذه نعمه کبری، هی نعمه العلم و الفهم حباهم اللّه بها، و حرم الآخرون أنفسهم منها، و قدیما قیل:

علی نفسها جنت براقش.

مع تبریرات وجدی:

أما محمـد فریـد وجدی فقد اعتبر: أن السبب فی دعوی انسداد باب الإجتهاد، هو ما طرأ علی المسـلمین من جمود إجتماعی، و قصور عن فهم أسرار الشریعه، فستروا ذلک بالدعوی المذکوره. و الحقیقه أنه مفتوح، بنصّ الکتاب و السنه إلی یوم القیامه. (۲)

لکن ملاحظتنا التی نرید تسجیلها هنا هی:۷.

۱- فواتح الرحموت ج ۲ ص ۳۹۹ و الإجتهاد فی الإسلام ص ۲۱۹.

۲- دائره معارف القرن العشرین ج ۳ ص ۱۹۷.

أولا: لماذا قصرت أفهام المسلمين عن فهم أسرار الشريعه؟!

و هل دعوى هذا القصور صحيحه من أساسها؟!

ثانيا: ما فائده فتح باب الإجتهاد، مع وجود ذلك القصور عن الفهم؟!

و ماذا يفيد فتح باب لا يجرؤ أحد على الولوج فيه، أو لا يستطيع الولوج أصلا؟!.

لا اجتهاد عند الفريسيين من اليهود:

و قد كنا نحب أن نعرف: إن كان ثمه ارتباط بين ما يقال عن سد باب الإجتهاد لدى هؤلاء، و بين ما يقوله الفريسيون من اليهود، من أنه لا اجتهاد (۱).

۳۱- التقديس الأعمى حتى للحديث المكذوب:

أما بالنسبه لما تناقلوه على أنه حديث رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقد حاولوا إضفاء هاله من التقديس الأعمى عليه، و كأنه نفس كلامه الصادر عنه (صلى اللّه عليه و آله) مع أن أكثره محض اختلاق، و تزوير. و قد قدّست كتب بأكملها على هذا الأساس. فراجع ما يذكرونه عن صحيح البخارى، و موطأ مالك، و سنن أبى داود، و غير ذلک.

بل لقد حرصوا على المنع من مناقشه الحديث، حتى و لو خالف العقل، و الوجدان، و ضروره العقل، و التاريخ القطعى؛ لأن السماح بالمناقشه فيه لسوف يبرر المناقشه ثم التشكيک فى أمور هى أكثر أهميه۳.

۱- راجع: مقارنه الأديان (اليهوديه) ص ۲۲۳.

و حساسيه بالنسبه إليهم.

و قـد تصـدى الحكـام لمواجهه ذلـك بصوره قويه و صـارمه و حازمه، و لا سـيما و أن ذلك قـد مكنهم من توجيه الناس حيثما يريـدون، و كيفمـا يشـاؤون، من خلال حفنه من وعاظ السـلاطين، لا يتورعون عن الإختلاق و الإفتراء، حتى على اللّه و رسوله، دونما مانع من دين، أو رادع من وجدان.

و قد روى بعض هؤلاء المرتزقه عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، محاجّه جرت بين آدم و موسى (عليهما السلام)؛ فحجّ آدم موسى!! فاعترض البعض بأنه متى اجتمع آدم و موسى؛ فتدخل الخليفه و دعا بالنطع و السيف ليقتل ذلك المعترض المستفهم، بحجه أنه زنديق يكذب بحديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم (۱)!!.

بل لقد كان الإتهام بالزندقه هو الوسيله الميسوره للتخلص حتى ممن لا يرى الصلاه خلف الخليفه العاتى و المتجبر (۲).

۳۲– أصح الكتب بعد القرآن:

و قد يعترض البعض: بأن فى البخارى، و مسلم، و غيرهما من كتب الصحاح أحاديث كثيره تضمنت ما يخالف الحقائق الثابته، و صريح العقل و الوجدان.

فجاء الرد: أن البخارى أجلّ كتب الإسلام و أفضلها بعد۳.

۱– راجع: تاريخ بغداد ج ۱۴ ص ۷ و ۸ و البدايه و النهايه ج ۱۰ ص ۲۱۵ و البصائر و الذخائر ج ۱ ص ۸۱ و تاريخ الخلفاء ص ۲۸۵.

۲– البدايه و النهايه ج ۱۰ ص ۱۵۳.

كتاب اللّه) (۱).

و ما قرئ فی كربه إلا فرجت، و لا ركب به فی مركب فغرقت.

و يستقی بقراءته الغمام، و أجمع علی قبوله، و صحه ما فيه أهل الإسلام (۲).

و قال أبو نصر السجزی: (أجمع أهل العلم و الفقهاء، و غيرهم علی أن رجلا لو حلف بالطلاق: أن جميع ما فی كتاب البخاری، مما روی عن النبی صلی الله عليه و آله وسلم قد صح عنه، و رسول اللّه صلی الله عليه و آله وسلم قاله، لا شك فيه، لا يحنث، و المرأه بحالها فی حبالته) (۳).

و قالوا: أصح كتب بعد كتاب اللّه الصحيحان: البخاری، و مسلم (۴).

بل قال البعض: (إتفق علماء الشرق و الغرب علی أنه ليس بعد كتاب اللّه أصح من صحيحی البخاری و مسلم) (۵).۵.

۱- إرشاد الساری ج ۱ ص ۲۹.

۲- إرشاد الساری ج ۱ ص ۲۹. و راجع: تدريب الراوی ج ۱ ص ۹۶ و فتح الباری (المقدمه) ص ۱۱ و تذكره السامع و المتكلم ص ۱۲۷ (هامش) عن مفتاح السعاده ص ۱۲۷ و قال: إن السلف و الخلف قد أطبقوا علی أنه أصحّ كتاب بعد كتاب اللّه تعالی.

۳- علوم الحديث، لإبن الصلاح ص ۲۲

۴- راجع) فتح الباری (المقدمه) ص ۸ و تدريب الراوی ج ۱ ص ۹۱ و علوم الحديث لإبن الصلاح ص ۱۴ و الخلاصه فی أصول الحديث ص ۳۶ و علوم الحديث و مصطلحه ص ۳۹۶ و ۳۹۹ و الغدير ج ۹ ص ۳۵ عن شرح صحيح مسلم للنووی.

۵- عمده القاری ج ۱ ص ۵.

و عن سنن أبی داود یقول ابن الأعرابی:

لو أن رجلا لم یکن معه من العلم إلا المصحف الذی فیه کتاب اللّه، ثم هذا الکتاب لم یحتج معهما إلی شی ء من العلم بته) (۱).

۳۳- هذا الإجماع ظن لا یخطی ء:

اشاره

و لعلک تقول: إجماع الأمه علی صحه ما فی الصحیحین لا یمنع من کون بعض ما فیهما خطأ، لأن حجیه الخبر و إن کانت قطعیه، و لکن ذلک لا یمنع من کون مضمونه مظنونا. لکنه من الظن الذی هو حجه.

و الظن الحجه قد یخطی ء الواقع أیضا.

فیأتیک الرد:

(ظن المعصوم عن الخطأ، لا یخطی ء، و الأمه فی إجماعها معصومه عن الخطأ) (۲).

و حول تلقی الأمه للصحیحین بالقبول قال ابن کثیر: (لأن الأمه معصومه عن الخطأ، فما ظنت صحته، و وجب علیها العمل به، لا بد أن یکون صحیحا فی نفس الأمر. و هذا جید) (۳).

روایه الصحاح عن الخوارج و المبتدعه:

و تسجل إدانه لکتب الصحاح خصوصا البخاری و مسلم، و هی۵.

۱- راجع: تذکره السامع و المتکلم (هامش) ص ۱۲۸ عن تذکره الحفاظ للذهبی ج ۳ ص ۲۱۰.
۲- علوم الحدیث لإبن الصلاح ص ۲۴ و شرح صحیح مسلم للنووی (مطبوع بهامش إرشاد الساری) ج ۱ ص ۲۸.
۳- الباعث الحثیث ص ۳۵.

روایتهم عن الخوارج، و المبتدعه.

حتی إن البخاری و مسلما، و سائر أصحاب الصحاح قد رووا عن الخوارج و المبتدعه، مثل عمران بن حطان، و هو من أکبر الدعاه إلی البدعه (۱)، فإنه مادح ابن ملجم علی قتله وصی النبی صلی الله علیه و آله وسلم علیا (علیه السلام).

و رووا عن کثیرین آخرین من مبغضی علی (علیه السلام) و شانئیه، مثل: بهز بن أسد، و عبد اللّه بن سالم، و حصین بن نمیر، و عکرمه، و قیس بن أبی حازم، و الولید بن کثیر، و عروه بن الزبیر، و إسحاق بن سوید، و حریز بن عثمان، و أزهر بن عبید اللّه، و زیاد بن أبیه، و میمون بن مهران، و أسد بن وداعه، و محمد بن هارون، و نعیم بن أبی هند، و دحیم، و عبد المغیث الحنبلی، و خالد بن مسلمه (۲) و علی بن الجهم (۳)، و محمد بن زیاد، و عبد اللّه بن شقیق، و المغیره بن عبد اللّه (۴)، و عشرات غیرهم (۵).

و کل هؤلاء، و من هو علی شاکلتهم، قد حکموا لهم بالوثاقه، و رووا عنهم، و عظموهم، و وصفوهم بکل جمیل، مع معروفیتهم بالنصب و البغض لعلی (علیه السلام)، و آله الأطهار.۹.

۱- الباعث الحثیث ص ۱۰۰.

۲- راجع فی جمیع ما تقدم: الغدیر ج ۵ ص ۲۹۳- ۲۹۵ و ج ۷ ص ۲۷۳ و مقدمه فتح الباری ص ۴۶۰ و ۴۶۱ و الکفایه فی علم الروایه ص ۱۲۵.

۳- راجع: البدایه و النهایه ج ۱۱ ص ۴ و الغدیر ج ۵ ص ۲۴۴.

۴- راجع: الغدیر ج ۱۱ ص ۸۷ و ج ۳ ص ۱۲۳ و ج ۶ ص ۱۴۳ و ۱۴۴.

۵- راجع: فتح الباری (المقدمه) ص ۴۶۰ و ۴۶۱ و تدریب الراوی ج ۱ ص ۳۲۸- ۳۲۹.

الروایه عن الرافضه و الشیعه:

و من جهه ثانیه، فقد روی أصحاب الصحاح أیضا لبعض الشیعه و الرافضه (۱) و قد ذکر الإمام السید عبد الحسین شرف الدین فی کتابه طائفه کبیره من الشیعه، أو المتهمین بالتشیع، ممن روی لهم أصحاب الصحاح، فراجع.

التناقض فی المواقف:

اشاره

فروایتهم عن النواصب و الخوارج، و المبتدعه، و عن الشیعه، و الرافضه، تتناقض مع قولهم: إن الروایه عن کل هؤلاء لا تصح. فهم یقولون:

ألف: الخوارج:

عن ابن لهیعه: أنه سمع شیخا من الخوارج یقول بعد توبته:

(إن هذه الأحادیث دین؛ فانظروا عمن تأخذون دینکم؛ فإنا کنا إذا هوینا أمرا صیرناه حدیثا) (۲).

أو قال: (أنظروا هذا الحدیث عمن تأخذونه، فإنا کنا إذا تراءینا٧.

۱- راجع: مقدمه فتح الباری ص ۴۶۰ و ۴۶۱ و راجع: الکفایه فی علم الروایه ص ۱۲۵.

۲- لسان المیزان ج ۱ ص ۱۰ و ۱۱ و الکفایه للخطیب ص ۱۲۳ و ۱۲۸ و آفه أصحاب الحدیث ص ۷۱ و ۷۲ و اللآلی المصنوعه ج ۲ ص ۴۶۸ و راجع: العتب الجمیل ص ۱۲۲. و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۹ عن الأولین، و عن الموضوعات لإبن الجوزی ص ۳۸ و عن السنه و مکانتها فی التشریع للسباعی ص ۹۷.

رأيا، جعلنا له حديثا) (۱).

و يلاحظ هنا: أن نفس هذا النص مروى عن حماد بن سلمه، و لكن عن شيخ من الرافضه!! (۲).

و لمّا حدث إياس بن معاويه الأعمش بحديث عن بعض الحروريه، قال:

(تريد أن أكنس الطريق بثوبى، فلا أدع بعره، و لا خنفساء إلا حملتها؟!) (۳).

و قال الجوزجانى عن الخوارج، الذين تحركوا فى الصدر الأول، بعد الرسول صلى الله عليه و آله وسلم :

(نبذ الناس حديثهم إتهاما لهم) (۴).

ب: أهل البدع:

قد وردت أحاديث رواها أهل السنه أيضا تنهى عن الروايه عن أهل البدع (۵) فلتراجع فى مظانها.

ج: الشيعه و الرافضه:

إن أدنى مراجعه لكتب الرجال على مذاق أهل السنه تظهر: أن أكثر۳.

۱- اللآلى المصنوعه ج ۲ ص ۴۶۸.

۲- راجع: لسان الميزان ج ۱ ص ۱۱.

۳- الكفايه فى علم الروايه ص ۴۰۳ و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص ۲۹ عن المحدث الفاصل للرامهرمزى ج ۱ ص ۱۲.

۴- أحوال الرجال ص ۳۴.

۵- راجع: لسان الميزان ج ۱ ص ۱۰ و ۱۲ و ۷ و ميزان الإعتدال ج ۱ ص ۳.

المجروحين عندهم إنما جرحوهم بالتشيع أو الرفض، و قد اعتبروا ذلک جريمه لا مجال للسکوت عليها، أو التساهل فيها (۱).

و سئل مالک عن الرافضه، فقال: لا تکلمهم، و لا ترو عنهم، فإنهم يکذبون (۲).

و عن الشافعی: لم أر أحدا من أهل الأهواء أشهد بالزور من الرافضه (۳).

و قال أبو عصمه لأبی حنيفه: (ممن تأمرنی أن أسمع الآثار؟!

قال: من کل عدل فی هواه إلا الشيعه، فإن أصل عقدهم تضليل أصحاب محمد (صلی اللّه عليه و آله)، و من أتی السلطان طائعا إلخ ...) (۴).

و عن شريک: إحمل العلم عن کل من لقيت إلا الرافضه، فإنهم يضعون الحديث، و يتخذونه دينا (۵).

و قال التهانوی: (نحن نعلم: أنهم کذبوا فی کثير مما يروونه فی فضائل أبی بکر، و عمر، و عثمان. کما کذبوا فی کثير مما يروونه فی۸.

۱- و راجع علی سبيل المثال: السنه قبل التدوين ص ۴۴۳ و ۴۴۲ و الکفايه فی علم الروايه ص ۱۲۳ و ۱۳۰ و ۳۱.

۲- لسان الميزان ج ۱ ص ۱۰ و ميزان الإعتدال ج ۱ ص ۲۷/ ۲۸ و مقدمه فتح الباری ص ۴۳۱ و فتح الباری ج ۲ ص ۱۵۳ و قواعد فی علوم الحديث للتهانوی ص ۴۰۷ و ۴۲۲.

۳- الکفايه فی علم الروايه ص ۱۲۶ و راجع لسان الميزان ج ۱ ص ۱۰.

۴- الکفايه فی علم الروايه ص ۱۲۶.

۵- لسان الميزان ج ۱ ص ۱۰ و ميزان الإعتدال ج ۱ ص ۲۷ و ۲۸.

فضائل علی. و لیس فی أهل الأهواء أکثر کذبا من الرافضه) (۱).

و یقول هارون الرشید: (طلبت أربعه فوجدتها فی أربعه: طلبت الکفر فوجدته فی الجهمیه، و طلبت الکلام و الشغب فوجدته فی المعتزله، و طلبت الکذب فوجدته عند الرافضه، و طلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحدیث) (۲).

و عن یزید بن هارون: یکتب عن کل صاحب بدعه، إذا لم یکن داعیه إلا الرافضه، فإنهم یکذبون (۳).

العلاج المتطور:

کانت تلک بعض أقاویلهم حول هؤلاء و أولئک. و هی تناقض موقفهم منهم، و روایتهم عنهم، فکان علاجهم لهذا المشکل بتقدیم عده ضوابط، رأوا أنها تکفی لدفع الخطر، و تجنب الکثیر من الضرر. و نذکر من هذه المعالجات:

۳۴- ردّ روایات الشیعه فی المطاعن و الفضائل:

فکل ما فیه تأکید علی الحق، و إظهار له، فیما یرتبط بفضائل علی (علیه السلام)، و کذا فیما یرتبط بما صدر من خصوم أهل البیت من أفاعیل تدینهم، و تظهر بعض مساوئهم، فإنهم لا یقبلونه، و یتهمون الرافضه بالکذب فیه.۸.

۱- قواعد فی علوم الحدیث ص ۴۴۴ و راجع ص ۴۴۳.

۲- شرف أصحاب الحدیث ص ۵۵ و راجع ص ۷۸.

۳- لسان المیزان ج ۱ ص ۱۰ و میزان الإعتدال ج ۱ ص ۲۷ و ۲۸.

إنهم لا يقبلون منهم أی شی ء فیه تأیید لمذهب الشیعه، و تفنید لمذاهب غیرهم.

۳۵- الرافضه لا إسناد لهم:

و من أجل استبعاد فقه، و رؤی، و معارف أهل البیت (علیهم السلام) الذین هم أحد الثقلین اللذین أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالتمسک بهما إلی یوم القیامه، و هم سفینه نوح التی ینجو من رکبها.

و لکی تبقی الساحه مفتوحه أمام الآخرین لیأخذوا بفتاوی أناس عاشوا، أو فقل: ولدوا بعد وفاه النبی صلی الله علیه و آله وسلم بعشرات السنین، لیسوا من أهل بیت النبوه، و لا من معدن الرساله، و لا من مهبط الوحی و التنزیل.

نعم من أجل ذلک، نجدهم یحاولون قطع الصله بین الرافضه و بین الرسول بالکلیه. فقد قال التهانوی حول المعرفه بالإسناد: (لا ریب أن الرافضه أقل معرفه بهذا الباب، و لیس فی أهل الأهواء و البدع أجهل منهم به؛ فإن سائر أهل الأهواء، کالمعتزله و الخوارج یقصرون فی معرفه هذا، لکن المعتزله أعلم بکثیر من الخوارج، و الخوارج أعلم بکثیر من الرافضه، و الخوارج أصدق من الرافضه)

إلی أن قال: (أهل البدع سلکوا طریقا أخری ابتدعوها و اعتمدوها، و لا یذکرون الحدیث بل و لا القرآن فی أصولهم إلا للإعتضاد، لا للإعتماد.

و الرافضه أقل معرفه بل و عنایه بهذا، إذ کانوا لا ینظرون فی الأسناد، لا فی سائر الأدله الشرعیه و العقلیه، هل توافق ذلک أو تخالفه.

و لهذا لا یوجد لهم أسانید متصله صحیحه قط. بل کل إسناد متصل لهم؛ فلا بد أن یکون فیه من هو معروف بالکذب، أو کثره الغلط، و هم فی ذلک شبیه بالیهود و النصاری، فإنه لیس لهم أسناد).

و قال: و الأسـناد من خصائص هذه الأمه، و هو من خصائص الإسلام، ثم هو فی الإسلام من خصائص أهل السنه. و الرافضه أقل عنايه به، إذ كانوا لا يصدقون إلا بما يوافق أهواءهم، و علامه كذبه أنه يخالف هواهم) (۱).

۳۶- روايه ما لا يضر:

و أما روايه الشيعی، و حتی الرافضی لما يؤيد مذهب أهل السنه، أو فقل ما لا يضر بنهجهم، و لا بمذهبهم، فهی مقبوله، بل يمكن أن يصبح الشيعی بل الرافضی من رواه الصحاح الست أيضا. و بذلك يكون قد جاز القنطره، كما سنری.

۳۷- حديث الداعيه إلی البدعه يرد:

و أما بالنسبه للخوارج و النواصب، و حتی الشيعی و الرافضی أحيانا حين يوافق هواهم، و يخدم إتجاههم بزعمهم، فقد قالوا:

إن صاحب البدعه إذا لم يكن داعيه، أو كان وتاب، أو اعتضدت روايته بمتابع، فإن روايته تقبل. أما إذا كان داعيه، فلا خلاف بينهم فی عدم قبول روايته (۲).۵.

۱- قواعد فی علوم الحديث ص ۴۴۳ و ۴۴۴.
۲- علوم الحديث لإبن الصلاح ص ۱۰۴ و ۱۰۳ و الباعث الحثيث ص ۹۹ و إرشاد الفحول ص ۵۱ و فتح الباری (المقدمه) ص ۴۵۹ و ۴۵۰ و معرفه علوم الحديث ص ۱۳۵ و الخلاصه فی أصول الحديث ص ۹۵ و المجروحون ج ۱ ص ۱۶۸ و الكفايه فی علم الروايه ص ۱۲۱ و ۱۲۳ و ۱۲۶- ۱۲۸ و قواعد فی علوم الحديث للتهانوی ص ۲۳۰ و ۲۳۱ و ۴۰۲ و ۲۰۷ و تقريب النواوی و شرحه المسمی بتدريب الراوی ج ۱ ص ۳۲۵.

و قیل لا تقبل روایه غیر الداعیه أیضا (۱).

۳۸- حجم البدعه:

و بما أن ما تقدم لا یکفی فی علاج بعض جهات القضیه، لا سیما و أنهم یردون روایات من یتهم بالتشیع، مع أن صحاحهم تروی عن الشیعه، فقد اتجهوا نحو الحدیث عن حجم البدعه و مقدارها، فقالوا:

إن کانت البدعه صغری، جازت الروایه عن صاحبها، و إن کانت کبری لم تجز؛ فالبدعه الکبری هی الرفض الکامل، و الصغری کغلوّ التشیع، أو کالتشیع بلا غلو و لا تحرق (۲).

و بذلک یفسحون المجال أمام الروایه عن بعض علمائهم الذین ینسبون إلیهم التشیع لمجرد: أنه روی حدیثا فی فضل علی (علیه السلام)، أو تکلم فی معاویه، کالنسائی، و عبد الرزاق الصنعانی، و الحاکم النیسابوری، و أضرابهم.

۳۹- من روی له الشیخان، جاز القنطره:

و لکن تبقی مشکله روایتهم عن بعض المبتدعه، الذین هم من أشد الدعاه إلی بدعتهم، مثل عمران بن حطان، و غیره من النواصب.

۱- الخلاصه فی أصول الحدیث ص ۹۵ و الکفایه فی علم الروایه ص ۱۲۰ و قواعد فی علوم الحدیث للتهانوی ص ۲۲۷- ۲۳۰ و تقریب النواونی و شرحه (تدریب الراوی) ج ۱ ص ۳۲۴ و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۴۶ عنه و عن الکامل لإبن عدی ج ۱ ص ۳۹: أ و عن: المجروحون ج ۲ ص ۲۷ ب و عن المحدث الفاصل ج ۱ ص ۱۲.

۲- لسان المیزان ج ۱ ص ۹ و ۱۰ و میزان الإعتدال ج ۱ ص ۳۰.

و الخوارج، فحلوها بطريقه جبريه، و قاطعه، حين قالوا:

من روى له الشيخان، فقد جاز القنطره (۱).

و قال الذهبى فى ترجمه يحيى بن معين: (و أما يحيى فقد جاز القنطره (يعنى بروايه الشيخين له) فلا يلتفت إلى ما قيل فيه. بل قفز من الجانب الشرقى إلى الجانب الغربى- يعنى أنه فى أعلى مراتب التعديل و التوثيق-) (۲)

و ذكر التهانوى:

إن كل من حدث عنه البخارى فهو ثقه، سواء حدّث عنه فى الصحيح، أو فى غيره. و كذا كل من ذكره البخارى فى تواريخه، و لم يطعن فيه، فهو ثقه.

و كذا كل من حدّث عنه مسلم، و النسائى، و أبو داود، أو سكت عنه أبو داود فهو ثقه أيضا (۳).

۴۰- الخوارج صادقون:

و بعد ما تقدم، فقد حلت مسأله لزوم قبول رويات بعض علماء أهل السنه الكبار، الذى اتهموا بالتشيع، بسبب روايتهم بعض فضائل على و أهل بيته (عليهم السلام)، أو انتقدوا معاويه، و أضرابه.

و قبلت أيضا روايات بعض الشيعه أو الرافضه، التى جاءت منسجمه۸.

۱- قواعد فى علوم الحديث للتهانوى ص ۴۶۳ عن أبى الوفاء القرشى فى كتاب الجامع الذى جعله ذيلا للجواهر المضيه ج ۲ ص ۴۲۸.

۲- ميزان الإعتدال ج ۴ ص ۴۱۰.

۳- لخصنا ذلک من کتاب: قواعد فى علوم الحديث للتهانوى ج ۲ ص ۴۲۸.

مع النهج الفكرى الذى يلتزمه غير الشيعه أيضا.

ثم قبلت أيضا روايات الصحاح؛ البخارى، و مسلم، و النسائى، و أبى داود.

و لكن ذلك كله لا ـ يكفى أيضا، بل لا بد من تصحيح روايه كل خارجى و ناصبى، مع أنهم يدّعون: أن هؤلاء أهل بدعه قد ترك أهل السنه حديثهم (۱).

و مع أن فيهم من يدعو إلى بدعته، و من كان داعيه إلى بدعته لا تقبل روايته (۲).

و مع أنه قد تقدم: أن الخوارج معروفون بوضع الحديث، و قد ترك الناس الروايه عنهم فى البدايه لذلك.

فعالجوا هذا المشكل بدعوى: أن (الخوارج أعلم بكثير من الرافضه، و الخوارج أصدق من الرافضه. بل الخوارج لا نعلم عنهم أنهم يتعمدون الكذب. بل هم من أصدق الناس) (۳).

و قال أبو داود: (ليس فى أهل الأهواء أصح حديثا من الخوارج) (۴).

و قال التهانوى: (الخوارج لا يكادون يكذبون. بل هم من أصدق۴.

۱- ميزان الإعتدال ج ۱ ص ۳ و لسان الميزان ج ۱ ص ۷ و ۱۲.

۲- راجع تفصيل ذلك فيما تقدم و فى لسان الميزان ج ۱ ص ۱۰.

۳- قواعد فى علوم الحديث للتهانوى ص ۴۴۳.

۴- ميزان الإعتدال ج ۳ ص ۲۳۶ و العتب الجميل ص ۱۲۱ و فتح البارى (المقدمه) ص ۴۳۲ و ج ۲ ص ۱۵۴.

الناس مع بدعتهم و ضلالهم) (۱).

و قال ابن تیمیه: (الخوارج مع مروقهم من الدین فهم أصدق الناس، حتی قیل: إن حدیثهم أصح الحدیث) (۲).

و علل بعضهم صدقهم بأنهم یقولون بأن مرتکب الکبیره کافر (۳).

و لا ندری کیف صح له هذا التعلیل. و هؤلاء الخوارج أنفسهم قد قتلوا عبد اللّه بن خباب، و ارتکبوا جرائم الزنا. و غیرها مما هو مسطور فی تواریخهم؟!

۴۱- الإعتزال، و عداء أهل الحدیث:

و حین طغت مدرسه أهل الحدیث، و نشروا فی الناس الکثیر من الأمور التی یأباها العقل و الوجدان، و الفطره، و تخالف القرآن. مثل:

نفی عصمه النبی صلی الله علیه و آله وسلم إلا فی التبلیغ.

عقیده الجبر.

التجسیم و التشبیه.

لزوم الخضوع للحاکم الظالم، و المنع من الإعتراض علیه.

و غیر ذلک من أمور أدخلوها فی عقائد المسلمین، و فی تاریخهم.

و هی مأخوذه فی الأکثر من أهل الکتاب.

ثم واجههم المعتزله، و غیرهم، و لا سیما الشیعه بالأحادیث۸.

۱- قواعد فی علوم الحدیث ص ۴۴۴/ ۴۴۵.

۲- بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص ۲۹.

۳- المصدر السابق ص ۲۸.

الصحیحه و الصریحه، التی رووها هم أنفسهم، فأحرجوهم فی کثیر من المواقع، و فندوا مزاعمهم و أقاویلهم. سواء بالنسبه لکثیر من الجهات العقائدیه، أو بالنسبه لبعض ما یزعمون أنه أحداث تاریخیه، أو غیرها.

فإنهم التجأوا إلی أسلوب التجریح، و المقاطعه علی الصعید الفکری، و قرروا بالنسبه إلی الشیعه ردّ روایه کل من فیه رائحه التشیع.

و أما بالنسبه للمعتزله الذین کانوا یتمتعون بالتأیید من قبل عدد من الحکام، فقد قرروا:

أنه إذا کان الراوی معتزلیا، یناصب أهل الحدیث العداء، فلا یسمع کلامه، و لا یعتدّ به، لأن کونه معتزلیا، مخالفا لأهل الحدیث، یوجب ضعفه، و سقوط ما یأتی به!! (۱).

۴۲- خذوا نصف دینکم عن هذه الحمیراء:

و من الذین یسمح لهم بالحدیث علی نطاق واسع عائشه أم المؤمنین، التی نشرت فی الناس ألوف الأحادیث، التی تصب فی اتجاه معین، لا یتلاءم کثیرا مع خط علی (علیه السلام) و أهل بیته. إن لم نقل:

إنه یؤید الإتجاهات المخالفه له فی کثیر من الأحیان.

و منعا لأی ریب أو اعتراض، فقد جاءت الضابطه علی صوره حدیث منسوب إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم یقول:

خذوا نصف دینکم عن هذه الحمیراء (۲).

۴۳- أبو هریره راویه الإسلام:

۱- السنه قبل التدوین ص ۴۴۳.

۲- صفحه ۲۵۲.

و من المعلوم: أن أبا هريره الدوسى يستأثر بأكبر رقم من الروايات التى ينسبها إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، حيث إن له منها، حسب إحصائيه ذكرها العلامه أبو ريه رحمه اللّه ۵۳۷۴ حديثا (۱).

و نحن نجد الطعون تتوجه إلى هذا الرجل، أعنى أبا هريره من كل حدب و صوب، و قد ألّفت فى ذلك الكتب (۲)، و كتبت البحوث.

بل إنك تجد فى الطاعنين عليه من هو من كبار الصحابه أيضا؛ و قد قال إبراهيم أبو سيار النظام: أكذبوه: عمر، و عثمان، و على، و عائشه (۳).

و ردّ سعد على أبى هريره مره، فوقع بينهما كلام حتى ارتجت الأبواب بينهما (۴).

و روى عن عمر بن الخطاب قوله: أكذب المحدثين أبو هريره (۵).

و قد ذكر الذهبى نصوصا عديده تفيد أنهم كانوا يتجنبون حديث أبى هريره، و يتكلمون فى إكثاره من الحديث (۶).

و إن أدنى مراجعه لكتاب أبو هريره شيخ المضيره للشيخ محمود أبى ريه، و كذا كتاب أبو هريره للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، تغنينا عن ذكر النصوص الكثيره لذلک.ه.

۱- راجع: كتابه أضواء على السنه المحمديه ص.

۲- راجع كتاب: أبى هريره لشرف الدين، و كتاب: أبو هريره شيخ المضيره، لأبى ريه.

۳- تأويل مختلف الحديث ص ۱۳۲ و السنه قبل التدوين ص ۴۵۵.

۴- سير أعلام النبلاء ج ۲ ص ۶۰۳.

۵- السنه قبل التدوين ص ۴۵۵ عن: ردّ الدارمى على بشر المريسى ص ۱۳۲.

۶- راجع: سير أعلام النبلاء ج ۲ ترجمه أبى هريره.

و بعد کل ما تقدم نقول:

لقـد رأوا: أن هـذه الطعون التی تتوجه إلی أبی هریره من کل حدب و صوب، قد تؤدی إلی إحداث خلل کبیر فی البنیه الفکریه لتیار کبیر من الناس، فلا بد إذن من مواجهه هذه الهجمه بهجمه مماثله.

و لا مانع من أجل تثبیت الأصول و القواعد من استعمال أسلوب التخویف، و التهویل، بل و السباب. ثم الإتهام بکل عظیمه.

و إن لم ینفع ذلـک کله فی دفع غائله تلک التجریحات و الطعون، فبالإمکان الإلتجاء إلی أسـلوب تحریض الحکام علی أولئک الناس، إذا ما حاولوا التذکیر بأقوال السلف و مواقفهم من أبی هریره راویه الإسلام.

و لعل خیر ما یجسد هذا الإتجاه هو أقوال ابن خزیمه التی جمعت ذلک کله، حیث قرر:

أن من یطعن فی أبی هریره:

إما معطل جهمی ..

و إما خارجی یری السیف علی أمه محمد، و لا یری طاعه خلیفه، و لا إمام.

أو قدری.

أو جاهل (۱).

هـذا کله عـدا عن رمی الطـاعنین علی أبی هریره بالإنـحراف، و الضـلال، و بکـثیر من أنحـاء التوهین و التهجین، و الإخـراج من الدین.

کل ذلک إکراما لأبی هریره، فلأجل عین ألف عین تکرم.۸.

۱- راجع: السنه قبل التدوین ص ۴۶۷ و ۴۶۸.

۴۴- لا يعرض الحديث على القرآن:

و من أجل مواجهه الحاله الناشئه من وجود أحاديث كثيره حتى فى الصحيحين تخالف القرآن الكريم، و تنافيه، الأمر الذى من شأنه أن يحرج القائلين بصحه كل ما فى الصحيحين، و كذا ما جاء فى غيرهما من أحاديث بأسانيد معتبره و صحيحه، حسب تقديراتهم.

من أجل ذلك، قرروا: أن الحديث أصل قائم برأسه (۱) و لا يعرض على الكتاب العزيز، و الأحاديث التى تلزم بعرض الحديث على القرآن هى من وضع الزنادقه. و السنه قاضيه على الكتاب، و ليس الكتاب بقاض على السنه. (و سيأتى ذلك مع مصادره فى الفصل التالى إن شاء اللّه تعالى).

و لأجل هذا نجد: (أن كثيرا من أهل الحديث استجازوا الطعن على أبى حنيفه؛ لردّه كثيرا من أخبار الآحاد العدول، لأنه كان يذهب فى ذلك إلى عرضها على ما اجتمع من الأحاديث، و معانى القرآن) (۲).

۴۵- موافقه أهل الكتاب:

أما ما نرى: أنه قد جاء موافقا لأهل الكتاب، فهو لا يعنى- بالضروره- أن أهل الكتاب قد تلاعبوا بهذا الدين، و أدخلوا فيه ترهاتهم. و ذلك لوجود ضابطه مزعومه تقول:

إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كان يحب موافقه أهل الكتاب فى كل ما لم۹.

۱- مقالات الإسلاميين ج ۲ ص ۲۵۱.

۲- أضواء على السنه ص ۳۷۰ عن الإنتقاء ص ۱۴۹.

يؤمر به (١).

رغم أننا قد قدمنا: أن الأمر كان على عكس ذلك تماما، و لسوف يأتى فى هذا الكتاب، حين الكلام حول صيام عاشوراء ما يثبت ذلك أيضا إن شاء اللّه تعالى.

۴۶- حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج:

أما بالنسبه للروايه عن بنى إسرائيل، و إعطاء الفرصه لأهل الكتاب لبث سمومهم، و العبث بأفكار الناس، و تسريب عقائدهم، و أفكارهم، و حتى أحكامهم الفقهيه إلى المسلمين، فليس الذنب فى ذلك ذنبهم، و إنما كان ذلك انسجاما مع الضابطه المقرره، و امتثالا للمرسوم الذى يقول:

حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج.

و كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يحدث عن بنى إسرائيل عامه ليله حتى يصبح، كما زعموا. و كل ذلك قد تقدم.

۴۷- الحسن و القبح شرعيان لا عقليان:

و تواجههم أحكام شرعيه مزعومه، و أقاويل عقائديه، و أحاديث و أوامر و أمورا غير معقوله، و لا مستساغه. من قبيل ما ذهب إليه جمهور الأشاعره من أن التكليف بغير المقدور، و ما لا يطاق صحيح و جائز. بل جوز بعضهم التكليف بالمحال أيضا (٢) و استدلوا على ذلك بما لا مجالا،

۱- راجع: صحيح البخارى ط الميمنيه ج ۴ ص ۶۷ و السيره الحلبيه ج ۲ ص ۱۳۲ و زاد المعاد ج ۱ ص ۱۶۵.

۲- راجع: نهايه السول (شرح منهاج الأصول) ج ۱ ص ۳۱۵- ۳۲۱ متنا و هامشا،

لذكره هنا (۱) و استدل البعض بروايات بدء نزول الوحى أيضا، كما سيأتى.

فمن أجل مواجهه الضجه التى ربما تثيرها أقاويل من هذا القبيل جاؤا بضابطه عجيبه غريبه تقول:

إنه لا قبيح إلا ما قبحه الشرع، و لا حسن إلا ما حسنه الشرع. أما العقل فلا دور له فى هذا الأمر، لا من قريب و لا من بعيد. و هذا ما ذهب إليه الأشعريه، و من وافقهم (۲) و بذلك تنحل عندهم كثير من العقد العقائديه، و التاريخيه، و الفقهيه و غيرها.

و لا نريد أن نناقش هذه المزعمه هنا، غير أننا نشير إلى أن الشوكانى- و هو من كبار علمائهم- قد اعتبر إنكار إدراك العقل لكون الفعل حسنا، أو قبيحا مكابره و مباهته (۳).

۴۸- صوافى الأمراء:

و قد قلنا فى فصل سابق: إنهم من أجل تلافى الإعتراضات على بعض الفتاوى التى كانت تصدر من بعض الرموز الرئيسيه، مما يخالفون فيها صريح النص القرآنى أو النبوى، الأمر الذى قد يزعزع الثقه بهم، بالإضافه إلى سلبيات أخرى.

إنهم من أجل تلافى ذلك، قرروا حصر الفتوى فى القضايا السياسيه و القضائيه الهامه، بالأمراء؛ و سمّوها: صوافى الأمراء.۹.

۱- راجع: إرشاد الفحول ص ۹.
۲- راجع: إرشاد الفحول ص ۷ و نهايه الأصول ج ۱ ص ۳۱۴ و ص ۸۱- ۸۵.
۳- إرشاد الفحول ص ۹.

۴۹- الفتوى لأشخاص بأعيانهم:

و أما سائر ما تبقى من أمور، فقد أوكلت إلى أناس بأعيانهم، و حظر على الآخرين الذين لا يطمئن إلى ميلهم، أو أهليتهم فى مجال تقويه الخط السياسى القائم- حظر عليهم- أن يتصدوا للفتوى، أو للروايه.

و قد قدمنا بعض ما يوضح ذلك فلا نعيد.

ثم قرروا ضابطه أخرى و هى:

۵۰- المنع من الحديث، من روايته، و من كتابته:

و كذا ضابطه:

۵۱- المنع من السؤال عن معانى القرآن:

إلى غير ذلك من معايير زائغه، و ضوابط تهدف إلى حفظ الإنحراف و الإحتفاظ به. لا يتسع المقام لذكرها، و لا تسمح الفرصه بتقصيها. و لعل فيما ذكرناه كفايه لمن أراد الرشد و الهدايه.

الفصل الثامن: الضوابط الصحيحه للبحث العلمی

اشاره

لا بد من معايير و ضوابط:

و إذ قد اتضح لدينا: أنه قد كان ثمه خطه خبيثه، تستهدف النيل من شخصيه النبى العظيم و الكريم (صلى اللّه عليه و آله)، و من المقدسات الإسلاميه، و من كل رموز الإسلام و شعائره، و مبانيه و مآثره؛ فمن الضرورى جدا- إذا أردنا تقييم النصوص الروائيه و التاريخيه النبويه، و كل قضايا الإسلام- أن نعتمد معايير و ضوابط قادره على إعطائنا الصوره الحقيقيه، و الأكثر نقاء و صفاء. ثم هى قادره على إبعاد ذلك الجانب الموبوء و المريض، و المزيف عن دائره اهتماماتنا، ثم عن محيطنا الفكرى، و العملى بصوره كامله و شامله.

فما هى تلك المعايير؟ و ما هى حقيقه هاتيك الضوابط؟!

إننا من أجل الإجابه على هذا السؤال نقول بإيجاز و اختصار:

أدوات البحث الموضوعى و العلمى:

اشاره

إن من الواضح: أن ما لدينا من علوم إسلاميه، مثل علم الفقه و أصوله، و علوم القرآن، و الكلام، و الرجال، و التاريخ، و النحو و اللغه، و غير ذلك قد استفدنا فى بعضه- جزئيا على الأقل- من إرشادات العقل

و أحكامه، و من تتبع و دراسه اللغه العربيه، من جهات و حيثيات مختلفه.

إلاـ أن معظم ذلـك قـد جـاء من خلال الإسـتفاده من النص القرآنى الكريم، و معرفه حقائقه و دقائقه، و سائر ما يرتبط به، ثم ما جاء على شكل روايات، نقلها لنا أناس عن غيرهم، و نقلها ذلك الغير عن آخرين أيضا ...

و هكـذا إلى أن ينتهى الأمر إلى النبى صـلى الله عليه و آله وسـلم ، أو الإمام (ع)، أو أى شـخص آخر روى الحدث أو عاينه، أو صدر منه القول أو الموقف.

فإذا أردنا البحث فى صحه أو فساد هذا المنقول، فلا بد لنا من امتلاك أدوات البحث، و استخدام وسائله.

و نريـد أن نوضـح هنا: أن وسائل، و أدوات البحث العلمى لدى الواعين من أهل الإسـلام، لا تختلف عنها لدى غيرهـم من عقلاء البشـر جميعا، فهم يعتمدون نفس المعايير و الضوابط التى يعتمدها سائر العقلاء، و الحكماء من الناس، إذا أرادوا الوصول إلى ما هو حق و واقع و صحيح، و استبعاد ما هو مزيف، أو محرّف، أو مصطنع.

و نحن لا بد لنا من أجل استيفاء البحث من الإشاره إلى بعض تلك الأدوات و الوسائل (۱)، فنقول:ه.

۱- إن محـط نظرنـا فى هـذا الفصل و فى سابقه، هو- فى الأكثر- النصوص المرتبطه بالنبى صـلى الله عليه و آله وسـلم ، و الأئمه المعصومين (ع). و مـا عـدا ذلـك من قضايـا تـاريخيه فإنه لا يهمنا كثيرا الآن. و نشـير هنا إلى أن من المعلوم: أن التاريـخ و كل قضايا التراث قـد كتبت- فى الأكثر- بأيـد غير أمينه، فلا يمكن المبادره إلى عرضـها على أنها تاريخ أو تشـريع، أو غير ذلك إلا بعد دراستها بعمق، و تمحيصها بصوره كافيه و وافيه. و نحن نعترف فى الوقت الحاضر أننا غير قادرين على القيام بمهمه كهذه.

مما سبق:

قد قدمنا فی الفصل السابق نماذج قلیله من معاییر و ضوابط مزیفه تهدف إلی حفظ الإنحراف، و الإحتفاظ به، و ترسیخه، و تبریره و تقریره.

و نستطیع أن نستخلص منها مجموعه من القواعد و المنطلقات، أو فقل: المعاییر و الأطر، التی لا بد من مراعاتها، و الإلتزام و التقید بها فی مجالات و مراحل البحث العلمی الموضوعی و النزیه، فی النصوص المختلفه التی تحدثنا عن الدین، و العقیده و الشریعه. و السیره، و المواقف الجهادیه و غیرهما. خصوصا ما کان منها مرتبط بأقوال و مواقف و أفعال النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله)، و الأئمه الطاهرین من أهل بیته صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین.

و النقاط التی ذکرناها فی ذلک الفصل، و إن کنا لم نذکرها جمیعها، و إن کانت کثیره و متنوعه، إلا أننا نعید التذکیر ببعضها کنموذج یوضح ما نرمی إلیه، فنقول:

۱- لیس لأحد حق التشریع، و لا یؤخذ من أحد سوی اللّه و رسوله، ثم من أمر رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم بأخذ الشریعه منهم، و هم أهل البیت الأطهار (علیهم السلام)، الذین هم سفینه نوح، من رکبها نجا، و من تخلف عنها غرق و هوی، و هم أحد الثقلین اللذین لن یضل من تمسک بهما إلی یوم القیامه.

۲- إنه لا سنه إلا سنه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و سنه الخلفاء الراشدین، و هم خصوص الخلفاء الإثنی عشر من أهل بیته الأطهار، الذین أخبر صلی الله علیه و آله وسلم عنهم- کما رواه البخاری، و مسلم، و أبو داود و أحمد و غیرهم (۱).۰.

۱- راجع کتابنا: الغدیر و المعارضون ص ۶۱- ۷۰.

۳- لا معصوم إلا الأنبياء، ثم الأئمه الإثنا عشر (عليهم السلام)، و كل من عداهم يجوز عليه الخطأ، و السهو، و النسيان و غيره، و لا يصح قولهم: إن الأمه معصومه، فضلا عن عصمه أى كان من الناس.

۴- لا نبوه لأحد بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، كائنا من كان، فلا يقبل قولهم: الإجماع نبوه بعد نبوه.

۵- إنه لا إجتهاد لأحد مع وجود الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

۶- لا إجتهاد فى مقابل النص عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و الأئمه الطاهرين (عليهم السلام).

۷- إن حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم لا يعارض بفتوى أو عمل صحابى أو غيره، بل قول الرسول هو المعيار و الميزان.

۸- دعوى إجتهاد جميع الصحابه مردوده، بل فيهم العالم و الجاهل، و الذكى و الغبى و إلخ .. فلا تقبل دعوى إجتهاد واحد منهم إلا بشاهد و دليل.

۹- إنه لا قيمه للرأى و لا للإستحسان، و لا للقياس فى التشريع.

فضلا عن تقديم أى من هذه الأمور على الآثار و السنن. فضلا عن صحه نسبه ما دل عليه القياس مثلا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم .

۱۰- يجوز مخالفه كل أحد- حتى أئمه المذاهب، إذا وجد النص عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم على خلافه.

۱۱- أئمه المذاهب كغيرهم من المجتهدين الآخرين، و يجوز لكل أحد أن يجتهد و يخالفهم، و لا يجب الوقوف عند آرائهم.

۱۲- لا تقليد فى الأمور الإعتقاديه، و لا سيما الأمور الأساسيه منها، و لا بد فيها من الدليل القاطع، و البرهان الساطع. و لا يكفى الظن

و الحدس، بل لا بد من تحصيل اليقين.

۱۳- ليس الصحابه كلهم عدولا و لا برره أتقياء، بل فيهم الورع التقى، و غيره. و ما احتج به البعض لإثبات ذلک لا يكفى، و لا يصح (۱).

۱۴- ما يفسق به غير الصحابى يفسق به الصحابى، فلا يصغى لدعوى: أن الصحابى لا يفسق بما يفسق به غيره.

۱۵- مرسلات الصحابه كمرسلات غيرهم، فدعوى حجيتها دون سواها، لا تستند إلى دليل معقول، و لا مقبول.

۱۶- إن القرآن وحده هو الكتاب الصحيح مئه بالمئه، و كل كتاب سواه قد يوجد فيه الصحيح و الضعيف، و المحرف، و المجعول.

۱۷- لا- تكفى صحه سند الروايه بأنها حقيقه واقعه، بل لا بد من ملاحظه سائر المعايير، ليمكن بعد ذلک كله إصدار الحكم عليها، نفيا أو إثباتا.

۱۸- إننا لا نرى أيه قدسيه لأى كتاب، إلا بملاحظه ما تضمنه من حديث الرسول صلى الله عليه و آله وسلم مع الإلتفات إلى أنه ليس جميع ما فى الكتاب كذلک، فقد يكون بعضه مزيفا و مختلقا، و بعضه محرفا أو مصحفا.

۱۹- إذا كان ثمه حديث موافقا لما عند أهل الكتاب، فإنه يصبح مشكوكا فيه، و لا يصح قولهم: إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كان يحب موافقه أهل الكتاب فى كل ما لم ينزل فيه شى ء، بل عكس ذلک هو الصحيح.

۲۰- دعواهم أن الخوارج صادقون فيما ينقلونه لا تصح، بل الصحيح هو عكس ذلک.ن.

۱- راجع: صراع الحريه فى عصر المفيد ص ۷۰- ۷۴ و دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج ۲ ص ۲۵۳- ۲۷۱ طبع ايران.

٢١- دعوى أن الشيعه و الروافض يكذبون غير صحيح، و الصحيح هو العكس.

٢٢- دعوى أن من روى له الشيخان فقد جاز القنطره ليس لها ما يبررها، بل هم كغيرهم من الرواه، فيهم الثقه، و غير الثقه.

٢٣- الإعتزال و التشيع، و المخالفه لأهل الحديث لا يوجب ردّ روايه الراوى.

٢۴- الحسن و القبح عقليان، و ليسا شرعيين.

٢۵- النبى صلى الله عليه و آله وسلم لا يجتهد من عند نفسه.

و بعد ما تقدم نقول: إننا نضيف إلى ما تقدم طائفه من الضوابط التى لا يمكن تجاهلها لأى باحث فى التراث الإسلامى؛ و هى التاليه:

١- دراسه حال الناقلين:

إن أول ما يطالعنا فى الحديث المأثور، أو فى النص المزبور هو سنده، الذى يتمثل بمجموعه أسماء تدل على الذين نقلوا الحديث أو الحدث، لا حق عن سابق.

و طبيعى أن يكون اهتمام الباحث بادئ ذى بدء منصبّا على دراسه حال الناقلين للنص، لتحصيل درجه من الوثوق و الإعتماد، ليكون ذلك عذرا أمام اللّه لو كان خطأ، و ليكون حجه للّه تعالى عليه لو أصاب، و ليرضى بذلك الوجدان، و يطمئن القلب و الضمير له، لو أريد الإقدام و الإحجام على أساسه، حيث تكون ثمه حاجه إلى ذلك.

و واضح: أن من عرف عنه: أنه يكذب فى خبره، أو لا يدقق و لا يحقق فيه، فلا يمكن الإعتماد على ما يخبر به إلا بعد تأكيد صحته من مصادر و جهات أخرى. و كذا الحال بالنسبه لخبر من عرف عنه: أنه ينساق

وراء هواه السياسی أو المذهبی، أو يستسلم لمشاعره العرقيه، أو يتعصب لبلد، أو لطائفه أو غير ذلك. الأمر الذی يحتم علينا دراسه حاله الرواه لمعرفه ميولهم، و إرتباطاتهم السياسيه و المصلحيه و غيرها.

على أن من الضروری الإلتفات إلی أن ضعف سند الحديث، لا يعنی بالضروره أنه مكذوب و مجعول. بل ما يعنيه هو أن الخلل فی السند قد أخلّ بدرجه الوثوق و الإعتماد على النص، فلا بد لتحصيل الوثوق به من طرق و وسائل أخری.

۲- التزام النهج البيانی الصحيح:

و من جهه أخری، إذا فرض: أن النص صادر عن رئيس الفصحاء و البلغاء؛ فلا بد من التأكد من سلامته فی مبانيه اللغويه، و فی أدائه على النهج العربی الصحيح، من حيث التركيب، و التزام قواعد الإعراب، و مراعاه ضوابط الفصاحه و البلاغه فيه، على نحو يليق بمن صدر عنه، و ينسجم مع لغته، و نهجه البيانی.

۳- الانسجام مع الاطروحه و النهج:

و إذا كان النص يتعرض لبيان فكری، أو سلوكی، أو عقيدی، فلا بد أن لا يتعارض مع النهج الفكری، و العقيدی، و السلوكی الذی يلتزمه ذلك الذی أطلق النص، أو صدر عنه الموقف، ما دام أنه عاقل حكيم؛ فمن ينزه اللّه عن الجسميه مثلا، لا يمكن أن يصف اللّه بأن له أضراسا، و لهوات، و أصابع، و ساقا، و قدما، و غير ذلك على نحو الحقيقه، كما هو للإنسان و غيره من المخلوقات.

۴- الشخصيه فی خصائصها و مميزاتها:

و إذا كان النص يحكى سلوكا لشخصيه ما، فلا بدّ أن يكون بحيث يمكن أن يصدر ذلك الفعل أو الموقف من تلك الشخصيه، من خلال ما عرف عنها من مميزات و خصائص، ثبتت بالدليل الصحيح و القطعى؛ فلا ينسب الجبن و العيّ مثلا لعلى بن أبى طالب، و الشح و البخل لحاتم الطائى، و الرذيله و الفجور لأنبياء اللّه سبحانه و أصفيائه، و لأئمه الدين، و أولياء اللّه إذن.

على الباحث فى السيره النبويه المباركه: أن يبادر إلى تحديد معالم الشخصيه النبويه، و معرفه ما لها من مميزات و خصائص؛ فإذا ثبت لديه بالدليل: أن هذه الشخصيه فى أعلى درجات الحكمه، و العصمه، و الشجاعه، و الطهر، و الحلم، و الكرم، و الحزم، و العلم، و غير ذلك، متحليا بكل صفات النبل و الفضل، و جامعا لمختلف سمات الجلال و الجمال، و الكمال، و لسائر المزايا الإنسانيه المثلى- إذا ثبت ذلك، فلا بد من جعل كل ذلك معيارا لأى نص يرد عليه، و يريد أن يسجل قولا، أو فعلا، أو موقفا له (صلى اللّه عليه و آله).

فإذا جاء النص منسجما مع الوضع الطبيعى للشخصيه النبويه المثلى، بما لها من خصائص فإنه يكون مقبولا، بعد توفر سائر شرائط القبول، و إلا فما علينا إذا رددناه جناح.

فالنص المقبول إذن هو ذلك الذى يسجل الحقيقه كل الحقيقه، دون أن يتأثر بالأهواء السياسيه، و المصلحيه، و لا بأى من العوامل العاطفيه و غيرها.

فكما أننا لا يمكن أن نقبل أن يكون مرجع دينى، معروف بالورع و التقوى، قد ألف أغنيه أو لحنها، للمغنيه الشهيره فلانه، فكذلك لا يمكن أن نقبل بنسبه ما هو مثل ذلك أو أقبح و أشنع منه، إلى ساحه قدس الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله).

۵- عدم التناقض بين النصوص:

و مما يفيد فى استجلاء بعض نقاط الضعف فى النصوص المنقوله.

بل و فى حصول اليقين بوجود تصرف سهوى أو عمدى فيها، هو وجود التناقض و التنافى فيما بينها فإن ذلك يشير إلى وجود نص مجعول، أو تعرضه لتصرف فيه أزاله عن وجهته الصحيحه، الأمر الذى يستدعى مزيدا من الإنتباه، و بذل المزيد من الجهد لمعرفه الصحيح من السقيم، و الحقيقى من المزيف منها.

۶- أن لا يخالف الواقع المحسوس:

و مما يفيد فى الإقتراب من واقع النص، مراقبته من حيث موافقته، أو مخالفته لما هو مشاهد محسوس، كما لو ادّعى النص: أن أقرب طريق من مكه إلى المدينه يمر عبر الأندلس، أو ادعى: أن مدينه مكه تقع فى سنغافوره، أو ادعى أن الشمس تطلع كل يوم من المغرب، أو فى وسط الليل، و ما إلى ذلك، مما يدل على أنه نص مكذوب، أو محرف، لا مجال لقبوله، و لا يصلح للإعتماد عليه.

۷- أن لا يخالف البديهيات:

و من الواضح: أن هناك بديهيات و ضرورات عقليه ثابته، لا يمكن الإخلال بها لأن معنى ذلك هو الإخلال بكل شى ء فى هذه الحياه. فإذا جاء النص مخالفا لهذه الضرورات، فلا بد من ردّه و رفضه، و ذلك كما لو ادّعى: أن الثلاثه زوج، أو أن الأربعه نصف الخمسه، أو أن الضدين قد اجتمعا، و ما إلى ذلك من أمور.

فإن ذلك كله يكون دليلا على كذب ذلك النص و عدم صدوره من إنسان عاقل واع، فضلا عن أن يكون صادرا من نبى أو إمام معصوم.

و ذلک لأن الإسلام قد أکد علی لسان نبیه، و نطق القرآن: أن العقل هو المیزان و المعیار. و قد اهتم بمخاطبته، و إثارته، و جعله الحکم الفصل فی الأمور و القضایا، و نعی علی کل من لا یهتدی بهداه، و لا یستضی ء بنوره فی موارد کثیره و مختلفه.

و مما یلفت النظر هنا: أن هذه المخالفات للضرورات العقلیه تکثر فی الأمور العقائدیه، و فی بعض قضایا التاریخ و غیرها. و من ذلک قولهم:

إن اللّه عادل حکیم، و لکنه یجبر عباده علی أفعالهم، ثم یثیبهم أو یعذبهم علیها.

و قولهم: إنه تعالی لا یحده مکان، و لا جهه، ثم یقولون: إن له ساقا، و قدما، و أصابع، و لهوات، و نواجذ، إلخ!!

و أمثال ذلک کثیر و خطیر؛ فراجع و لا حظ.

۸- أن لا یخالف الحقائق الثابته:

و لا یمکن أیضا قبول نص یخالف الحقائق العلمیه الثابته بالأدله القطعیه، کالنص الذی یقول: إن الأرض تقوم علی قرن ثور. و کذا لو جاء نص یقول: إن الأرض مسطحه، و لیست کرویه.

و من ذلک ما لو خالف النص حقیقه ثبتت فی علم الریاضیات، أو نحوه، فإنه یرفض و یرد، مهما کان سنده صحیحا، و حتی إعلائیا أیضا.

و أما إذا خالف نظریه قد شاعت و ذاعت، و لکنها لم تصل إلی درجه الثبوت القطعی، فإن ذلک لا یکون دلیلا علی ضعف النص المنقول، بل یکون وجود هذا النص، من أسباب و هن تلک النظریه، و تقلیل احتمالات الوثوق بها، و الإعتماد علیها.

۹- الإمکانیه التاریخیه:

أما إذا حمل النص الذی هو مورد البحث تناقضا مع ما هو الثابت تاریخیا، بصوره قطعیه، فإن ذلک یدعو إلی رفضه و ردّه أیضا، فإذا کان من الثابت أن الإسراء و المعراج قد حصل قبل الهجره، بل حصل فی السنوات الأولی من البعثه، و ثبت أن عائشه إنما انتقلت إلی بیت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بعد الهجره؛ فلا یمکن- بعد هذا- تصدیق النص الذی ینقل عن عائشه نفسها، أنها قالت: ما فقدت جسد رسول اللّه فی تلک اللیله؛ یعنی لیله الإسراء و المعراج.

و یدخل فی هذا أیضا ما لو ادّعی الراوی: أنه سمع أو رأی رجلا، قد مات قبل أن یولد ذلک الراوی، أو أنه قد ولد بعد وفاته.

و الأمثله التی تدخل فی هذا المجال و سابقه کثیره جدا و متنوعه، کما یعلم بالمراجعه و المقارنه.

۱۰- موافقه الأحکام العقلیه و الفطریه:

و إذا کان الکل یعلم: أن جمیع ما جاء به رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و ما صدر عنه صلی الله علیه و آله وسلم و عن الأئمه (علیهم السلام) لا یخالف العقل، و لا یختلف معه، و لا یخالف قضاء الفطره، و لا یشذ عنها.

فمعنی ذلک: أننا إذا رأینا نصا ینسب إلی الرسول (صلی اللّه علیه و آله)، أو إلی أحد الأئمه (علیهم السلام)، ما یرفضه العقل، و تأباه الفطره السلیمه و المستقیمه، فإننا سوف نشک فی صحه ذلک النص، حتی إذا لم نجد له تأویلا مقبولا، أو معقولا؛ فإننا لا نتردد فی ردّه و رفضه من الأساس.

و من ذلک حکم العقل بوجوب أن یکون النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و الإمام (علیه السلام) معصوما من الخطأ، مبرءا من الزلل؛ فالنص الذی یرید أن ینسب إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم و الإمام (ع) خطأ أو زللا، لا نتردد

فی رفضه، و لا نشک فی أنه من وضع أعداء الدین، و أصحاب الأهواء.

فتصبح العصمه، و سائر أحکام العقل و الفطره حول الذات الإلهیه، و مواصفات الشخصیه النبویه، و غیر ذلک، معاییر و ضوابط یعرف بها الصحیح من السقیم، و الحقیقی من المزیف، و السلیم من المحرف.

۱۱- الإنسجام مع الأجواء و المناخات:

و إذا استطاع الباحث أن یکتشف المناخات و الظروف، و أن یتعرف علی الأجواء السیاسیه، أو الإجتماعیه، و غیرها. وفق ما توفر لدیه من وسائل، و إمکانات، فإنه یستطیع أن یکتشف من خلال ذلک انسجام أو عدم انسجام کثیر من النصوص مع الواقع الذی استطاع أن یتلمسه، و أن یطلع علی خصائصه و مزایاه، و عناصره و خفایاه.

و یصبح هذا الفهم أیضا أحد وسائل المعرفه التی یمکنه الإستفاده منها، و الإعتماد علیها، و الإستناد إلیها فی نطاق البحث العلمی و الموضوعی.

۱۲- المعیار الأعظم و الأقوم:

و إذا ثبت لأی من الناس: أن کتابا مّا صحیح کله، و لا یتطرق إلیه أی ریب أو شک، فإنه سوف یجعله معیارا لکل ما یرد علیه، فیقبل ما وافقه، و یرد ما خالفه، سواء أکان ذلک الکتاب یتحدث عن علم الکیمیاء، أو الفیزیاء، أو الریاضیات، أو علوم الدین و الشریعه، أو أی شی ء آخر ...

و لا ریب فی أن القرآن هو ذلک الکتاب الذی أحکمت آیاته، و لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه. فهو المعیار الأقوم، و هو المیزان الأعظم لا یرتاب فی ذلک ذو مسکه، أو شعور قویم و سلیم.

و فضلا عن ذلک، فإن النصوص قد تواترت و تضافرت علی الأمر

بالعرض على كتاب اللّه، فما وافق كتاب اللّه فخذوه، و ما خالفه فاتركوه.

و عن الإمام الصادق (عليه السلام): ما لم يوافق كتاب اللّه فهو زخرف (۱).

و من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) عند ختم القرآن: (و ميزان قسط لا ـ يحيف عن الحق لسانه، و نور هدى لا ـ يطفأ عن الشاهدين برهانه، و علم نجاه لا يضل من أمّ قصد سنّته) (۲).

و عن الإمام الباقر (عليه السلام): (إذا حدثتكم بشى ء فاسألونى عن كتاب اللّه) (۳).

و مثل ذلك كثير عن أهل البيت (عليهم السلام) من طرق شيعتهم.

و أما ما رواه غيرهم فى هذا المجال، فهو كثير أيضا، و نذكر من ذلك النصوص التاليه:

۱- روى عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أنه قال: تكثر لكم الأحاديث بعدى، فإذا روى لكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب اللّه، فما وافق كتاب اللّه، فاقبلوه، و ما خالف فردوه (۴).۳.

۱- أصول الكافى ج ۱ ص ۵۵ و فى الباب روايات كثيره أخرى، فمن أرادها فليراجعها.

۲- راجع: الصحيفه السجاديه، الدعاء رقم ۴۲.

۳- الميزان فى تفسير القرآن ج ۳ ص ۱۷۶ عن الكافى.

۴- عن أصول الحنفيه للشاشى ص ۴۳ و راجع: كنز العمال ج ۱ ص ۱۷۶ عن ابن عمر عنه صلى الله عليه و آله وسلم . و ص ۱۷۵ و ۱۶۰ عن ثوبان عنه صلى الله عليه و آله وسلم . و النقل فى الجميع عن الطبرانى، و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۷۰ عن ثوبان عنه صلى الله عليه و آله وسلم ، و أصول السرخسى ج ۱ ص ۳۱۵ و ج ۲ ص ۶۸، مستدلا به على عدم جواز نسخ الكتاب بالسنه و نهايه السول، تعليقات محمد بخيت المطيعى ج ۳ ص ۱۷۳.

۲- عن ابن عباس: إذا سمعتمونی أحدث عن رسول اللّه، فلم تجدوه فی کتاب اللّه، أو حسنا عند الناس فاعلموا أنی کذبت علیه (۱).

۳- و عن ابن مسعود: فانظروا ما واطأ کتاب اللّه فخذوه، و ما خالف کتاب اللّه فدعوه (۲).

۴- و عن أبی بکر فی خطبه له: فإن کانت للباطل غزوه، و لأهل الحق جوله، یعفوا لها الأثر، و تموت السنن، فالزموا المساجد، و استشیروا القرآن (۳).

۵- عن ابن أبی کریمه، عن جعفر، عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، أنه خطب، فقال: إن الحدیث سیفشو علیّ، فما أتاکم عنی یوافق القرآن، فهو عنی، و ما أتاکم عنی یخالف القرآن فلیس عنی (۴).

۶- و عن علی (علیه السلام): ستکون عنی رواه یروون الحدیث، فاعرضوه علی القرآن، فإن وافق القرآن فخذوه، و إلا فدعوه (۵).

۷- و عن أبی هریره عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم ما یقرب من ذلک أیضان.

۱- سنن الدارمی ج ۱ ص ۱۴۶.

۲- المصنف للصنعانی ج ۶ ص ۱۱۲ و راجع خطبه ابن مسعود فی ج ۱۱ ص ۱۶۰ و جامع بیان العلم ج ۲ ص ۴۲ و حیاه الصحابه ج ۳ ص ۱۹۱ عنه.

۳- عیون الأخبار لإبن قتیبه ج ۲ ص ۲۳۳ و البیان و التبیین ج ۲ ص ۴۴ و العقد الفرید ج ۴ ص ۶۰.

۴- الأم ج ۷ ص ۳۰۸ و أضواء علی السنه المحمدیه ص ۳۶۷.

۵- کنز العمال ج ۱ ص ۱۷۶ عن ابن عساکر. و فی تهذیب تاریخ دمشق حدیث آخر عن علی (ع) حول عرض الحدیث علی القرآن.

فراجع (۱).

۸- و عن أبی بن کعب رحمه اللّه، فیما أوصی به رجلا: اتخذ کتاب اللّه إماما، و ارض به قاضیا و حکما إلخ .. (۲).

۹- و عن معاذ: فاعرضوا علی الکتاب کل الکلام، و لا تعرضوه علی شی ء من الکلام (۳).

هل السنه قاضیه علی الکتاب؟!:

فما تقدم هو حکم النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) و صحبه، حیث أوجبوا جعل القرآن حکما و مرجعا، و میزانا، یمیز به الحق من الباطل. و ذلک هو ما یحکم به العقل السلیم، و الفطره المستقیمه، بعد قیام الدلیل القطعی علی أن القرآن هو کتاب اللّه المنزل علی نبیه المرسل.

و لکننا وجدنا فی مقابل ذلک محاولات جاده و مصرّه للمنع عن العمل بالقرآن، و عن الرجوع إلیه، و عن اتخاذه حکما، و میزانا و معیارا فی کل الأمور، بل لقد منعوا حتی عن السؤال عن معانیه کما هو معلوم.

بل لقد جعلوا الحدیث المروی مقدما علی کتاب اللّه، و حاکما علیه. و قالوا:

(السنه قاضیه علی الکتاب و لیس الکتاب بقاض علی السنه) (۴).م.

۱- الکفایه فی علم الروایه ص ۴۳۰.

۲- حلیه الأولیاء ج ۱ ص ۲۵۳ و حیاه الصحابه ج ۳ ص ۵۷۶.

۳- حیاه الصحابه ج ۳ ص ۱۹۷ عن کنز العمال ج ۸ ص ۸۷ عن ابن عساکر.

۴- تأویل مختلف الحدیث ص ۱۹۹ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۱۴۵ و مقالات الإسلامیین ج ۲ ص ۳۲۴ و ج ۱ ص ۲۵۱ و جامع بیان العلم ج ۲ ص ۲۳۴ و ۲۳۳ و عون المعبود ج ۱۲ ص ۳۵۶. و راجع: الکفایه للخطیب ص ۱۴ و میزان الإعتدال ج ۱ ص ۱۰۷ و لسان المیزان ج ۱ ص ۱۹۴ و دلائل النبوه للبیهقی ج ۱ ص ۲۶ و الجامع لأحکام القرآن ج ۱ ص ۳۸ و ۳۹ و راجع: المعتصر من المختصر من مشکل الآثار ج ۲ ص ۲۵۱ و نهایه السول للآسنوی ج ۲ ص ۵۷۹- ۵۸۰ و بحوث مع أهل السنه و السلفیه ص ۶۷ و ۶۸ عن بعض ما تقدم.

رغم أن الحديث المروى لم يثبت أنه من السنه .. و حتى مع ثبوت ذلك، فإن هذه القاعده مرفوضه من الأساس.

الأدله الواهيه:

و مما ذكروه فى وجه ذلك ما قاله أبو بكر البيهقى: (و الحديث الذى روى فى عرض الحديث على القرآن باطل، و هو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس فى القرآن دلاله على عرض الحديث على القرآن) (۱).

و قال الخطابى عن حديث عرض الحديث على القرآن: (هذا حديث وضعته الزنادقه) (۲).

و قال عبد الرحمان بن مهدى: (الزنادقه و الخوارج وضعوا ذلک الحديث، يعنى ما روى عنه صلى الله عليه و آله وسلم أنه قال: ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب اللّه، فإن وافق كتاب اللّه فأنا قلته، و إن خالف كتاب اللّه فلم أقله.

و إنما أنا موافق كتاب اللّه، و به هدانى اللّه.

و هذه الألفاظ لا تصح عنه صلى الله عليه و آله وسلم عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه. و قد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم و قالوا: نحن نعرض۵.

۱- دلائل النبوه للبيهقى ج ۱ ص ۲۶.

۲- الخلاصه فى أصول الحديث للطيبى ص ۸۵.

هـذا الحديث على كتاب اللّه: قبل كل شـی ء، و نعتمد على ذلک؛ فلما عرضـناه على كتاب اللّه، وجدناه مخالفا لكتاب اللّه؛ لأنّا لم نجد فی كتاب اللّه: ألّا يقبل من حديث رسول اللّه إلا ما وافق كتاب اللّه، بل وجدنا كتاب اللّه يطلق التأسی به، و الأمر بطاعته. و كذا المخالفه عن أمره جمله على كل حال) (۱).

و قـال أبو عمر: (قـد أمر اللّه عز و جل بطاعته و اتباعه أمرا مطلقا مجملا، لم يقيّـد بشـی ء، كما أمرنا باتباع كتاب اللّه، و لم يقل: وافق كتاب اللّه، كما قال بعض أهل الزيغ) (۲).

و قـال يحيى بن معين عن حـديث ثوبـان عن النبی صـلى الله عليه و آله وسـلم ، الآمر بعرض الحـديث على القرآن: إنه موضوع، وضعته الزنادقه.

و (قال الأوزاعی: (الكتاب أحوج إلى السنه من السنه إلى الكتاب.

و قال إبن عبد البر: إنها تقضی عليه، و تبين المراد منه. و قال يحيى إبن أبی كثير: السنه قاضيه على الكتاب) (۳).

المناقشه:

كـان مـا تقـدم هو كـل ما لـدی هؤلاء من جهـد لردّ حـديث رسول اللّه صـلى الله عليه و آله وسـلم ، الـذی وافقه أبو بكر، و ابن مسعود، و أبی بن كعب، و معاذ،۴.

۱- جامع بيان العلم ج ۲ ص ۲۳۳ و إرشاد الفحول ص ۳۳ و راجع هذا النص و غيره، فی كاتب: بحوث مع أهل السـنه و السلفيه ص ۶۷- ۶۸ و سلم الوصول (مطبوع مع نهايه السول) ج ۳ ص ۱۷۴.

۲- جامع بيان العلم ج ۲ ص ۲۳۳.

۳- إرشاد الفحول ص ۳۳. و راجع: سلم الوصول (مطبوع مع نهايه السول) ج ۳ ص ۱۷۴.

و ابن عباس. و رواه عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم علی (ع)، و أبو هریره، و ثوبان، و جعفر، و ابن عمر.

هذا عدا عما روی عن أئمه أهل البیت الأطهار صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین.

و قد رأینا: کیف لم یتمکنوا من السیطره علی مشاعرهم و انفعالاتهم، و هم یبادرون إلی الحکم علی الحدیث بالوضع، ثم اکتشفوا الواضعین- بزعمهم- فکانوا هم الزنادقه و الخوارج.

و لا ندری متی عقد الخوارج و الزنادقه اجتماعهم الذی قرروا فیه وضع هذا الحدیث و اختلاقه!!

کما أننا لا ندری أین تم هذا الإجتماع!! و برئاسه من من الناس؟.

و من الذی أخبر هؤلاء بما دار فی ذلک الإجتماع، و بما تمخض عنه!!

کما أننا لم نستطع معرفه مبررات اتخاذهم قرارا کهذا، و هل إن عرض الحدیث علی القرآن یفید الزنادقه و الخوارج؟! و کیف؟!.

و هل إن عدم عرضه یضرهم؟! و کیف؟!

و أیا کانت الإجابه علی الأسئله الآنفه الذکر؛ فإننا نقول: إن ما ذکره هؤلاء علی أنه مبرر لرد حدیث عرض الحدیث علی القرآن، لا یصلح للتبریر، بل هو محض مغالطه ظاهره البطلان. و ذلک لما یلی:

أولا: إن عدم وجدانکم الحکم فی کتاب اللّه لا یعنی بالضروره أن یکون الحکم الذی تعرّض الحدیث له مخالفا للکتاب! فلعله یوافقه- و لو لعموماته- و أنتم لا تعلمون. و لا ندری إن کنتم تعتقدون: أن کل الأحکام کلیه و جزئیه، فی أدق تفاصیلها یجب أن تذکر فی القرآن صراحه و نصا!!

أو أنكم ترون لزوم ذكر نص الحديث فی القرآن، ليصبح موافقا له!!

و إذا كنتم تعتقدون ذلك، فلا ندری كم سوف يكون حجم القرآن حينئذ؟! و هل يمكن لأحد حفظه؟! أو حتی الإستفاده منه؟! و كيف؟! (۱).

و ثانيا: إن هذا الحديث ناظر إلی قبول الموافق و ردّ المخالف. أما ما لا يوافق و لا يخالف، فهو باق تحت أدله حجيه الأخبار.

و ثالثا: إن وجوب قبول الخبر إنما يثبت فيما تحقق أنه صدر من رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) بالسماع منه، أو بالتواتر.

أما وجوب عرض الحديث علی القرآن، فإنما هو فی الحديث الذی يوجد ثمه شك و تردّد فی ثبوته عن رسول اللّه، إذ هو المراد من قوله: إذا روی لكم عنی حديث (۲) ألخ ..

و رابعا: يقول الشافعی، و أكثر أصحابه، و أكثر أهل الظاهر، و هو إحدی الروايتين عن أحمد بن حنبل: إن السنّه لا تنسخ القرآن، و به قال الصيرفی، و الخفاف (۳).

و روی عن عبد اللّه بن سيد المنع من ذلك عقلا. و قال أبو حامد و أبو إسحاق، و أبو الطيب الصعلوكی بالمنع سمعا.۹.

۱- لا بأس بمراجعه ما قاله السرخسی فی هذا المقام. أصول السرخسی ج ۱ ص ۳۶۵.
۲- سلم الوصول (مطبوع مع نهايه السؤل) ج ۳ ص ۱۷۴.
۳- راجع: المستصفی للغزالی ج ۱ ص ۱۲۴ و فواتح الرحموت (مطبوع مع المستصفی) ج ۲ ص ۷۸ و إرشاد الفحول ص ۱۹۱ و نهايه السول للآسنوی ج ۲ ص ۵۷۹- ۵۸۰ متنا و هامشا. و راجع ج ۴ ص ۴۵۷ و أصول السرخسی ج ۲ ص ۶۷- ۶۹.

و قیل: لیس یمتنع، لا عقلا و لا سمعا، لکنه لم یقع.

و قال السّبکی: إن قول الشافعی لا یدل علی أکثر من هذا (۱).

أما نسخ الکتاب بخبر الواحد، فهو لا یقع إجماعا.

إذن، فما معنی أن تکون السنه قاضیه علی الکتاب و لیس الکتاب بقاض علی السنه؟!!

دلیل آخر علی عدم العرض علی القرآن!!:

و قال الخطابی: و هو یتحدث حول ما ورد عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، أنه قال: (لا ألفینّ أحدکم متکئا علی أریکته، یأتیه الأمر مما أمرت به، أو نهیت عنه، فیقول: ما ندری، ما وجدنا فی کتاب اللّه اتبعناه) (۲).

قال الخطابی: (فی الحدیث دلیل علی أن لا حاجه بالحدیث أن یعرض علی الکتاب.، و أنه مهما ثبت عن رسول اللّه شی ء کان حجه بنفسه.

فأما ما رواه بعضهم، أنه قال: إذا جاءکم الحدیث فاعرضوه علی کتاب اللّه؛ فإن وافقه فخذوه، فإنه حدیث باطل لا أصل له. و قد حکی ۱.

۱- راجع نهایه السول للآسنوی ج ۲ ص ۵۷۹- ۵۸۰ متنا و هامشا.

۲- راجع: دلائل النبوه للبیهقی ج ۱ ص ۲۴ و مصابیح السنه ج ۱ ص ۱۵۸ و ۱۵۹ و سنن ابن ماجه ج ۱ ص ۶ و ۷ و مسند أحمد ج ۶ ص ۸ و ج ۴ ص ۱۳۱ و ۱۳۲ و مستدرک الحاکم ج ۱ ص ۱۰۸ و ۱۰۹ و تلخیص المستدرک للذهبی (مطبوع بهامشه) و الجامع الصحیح للترمذی ج ۵ ص ۳۷ و ۳۸ و سنن الدارمی ج ۱ ص ۱۴۴ و سنن أبی داود ج ۴ ص ۲۰۰ و ج ۳ ص ۱۷۰ و الإملاء و الإستملاء ص ۴ و کشف الأستار عن مسند البزار ج ۱ ص ۸۰ و المصنف للصنعانی ج ۱۰ ص ۴۵۳ و الأم ج ۷ ص ۳۱۰، و الکفایه فی علم الروایه ص ۸- ۱۱.

زكريا الساجى، عن يحيى بن معين، أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقه) (۱).

و نقول:

أولا: إن الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) إنما يستنكر ردّ ما علم أنه قوله و أمره، و لا يستنكر عرض الحديث المشتبه به على القرآن للتأكد من صدوره منه صلى الله عليه و آله وسلم .

و ثانيا: لقد جاء هذا الحديث ليخبر عما سوف يكون حين وفاته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قد تحقق مصداق ما أخبر عنه، و ذلك حينما طلب صلى الله عليه و آله وسلم أن يأتوه بكتف و دواه ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبدا، فقال عمر بن الخطاب: حسبنا كتاب اللّه. (۲)

و هذا يعنى: أن عمر بن الخطاب يرى: أن القرآن أصل برأسه، و أنه غنى عن السنه، و هذا لا يتلاءم مع ما يدعيه هؤلاء.

و ثالثا: إننا لا ندرى كيف نعمل مع هؤلاء؛ فهذا أبو بكر، و عمر، و عثمان، و معاويه و غيرهم من خلفاء الأمويين، و قريش بصوره عامه لا يرغبون فى كتابه الحديث و لا فى روايته عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، بل إنهم يمنعون من ذلك أشد المنع، و يعاقبون من خالف ذلك، ثم و يجمعون ما كتبه الصحابه عنه صلى الله عليه و آله وسلم و يحرقونه.د.

۱- عون المعبود فى شرح سنن أبى داود ج ۴ ص ۳۵۶.
۲- راجع: مسند أحمد ج ۶ ص ۴۷ و ۱۱۶ و ج ۱ ص ۹۰ و ۲۲ و ۲۹ و ۳۲ و ۳۳۶ و ۳۳۵ و ج ۳ ص ۳۴۶ و صحيح مسلم ج ۵ ص ۷۶ و صحيح البخارى ج ۴ ص ۵ و ۱۷۳ و ج ۱ ص ۲۲ و المصنف للصنعانى ج ۵ ص ۴۳۸ و ۴۳۹ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۴۵۱. و راجع بقيه المصادر فى كتابنا: صراع الحريه فى عصر المفيد.

و ذلک علی أساس: أن کتاب اللّه کاف و واف. و علی حد تعبیر عمر بن الخطاب: حسبنا کتاب اللّه.

علی أن هؤلاء الذین أصروا علی الإکتفاء بکتاب اللّه سبحانه، تراهم قد منعوا من تفسیره، و من السؤال عن معانیه و مرامیه (۱).

ثم جاء أتباعهم لیقولوا لنا: القرآن غیر کاف و لا واف، بل هو إلی السنه أحوج من السنه إلیه، ثم یقولون: السنه قاضیه علی الکتاب، و لیس الکتاب بقاض علی السنه.

فأی ذلک هو الصحیح؟ و من هو المصیب؟ و من المخطئ یا تری؟!

فإن کان الکتاب أساسا، و کان کافیا و وافیا، فلماذا المنع من السؤال عن معانیه، و مرامیه؟! و کیف تکون السنه قاضیه علیه؟!

و إن کانت السنه مقدمه علی الکتاب، فلماذا یمنع من الحدیث عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و یعاقب من حدث عنه؟!.

و إذا کان کذلک، فما معنی إجتهاد الصحابه، و إجتهاد غیرهم، و ما هی وسائل الإجتهاد التی یمکنهم من خلالها کشف الواقع، و الوصول الی أحکام اللّه سبحانه مادام انه لا مجال للإستفاده من القرآن، و لا من السنه.

ماذا جری للقرآن؟!

و لا نبعد إذا قلنا: إنه ربما تکون السیاسه التی کانت تقضی بالمنع۷۶

۱- راجع: الغدیر ج ۶ ص ۲۹۰- ۲۹۳ عن مصادر کثیره، و کشف الأستار عن زوائد البزار ج ۳ ص ۷۰. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج ۱ ۲۷۷ ماذا جری للقرآن؟! ..... ص : ۲۷۶

من السؤال عن معانی القرآن و مرامیه قد ترکت آثارا عمیقه فی الناس عبر التاریخ، حیث أصبح الإهتمام بالقرآن یقتصر فی الأغلب علی الأمور الشکلیه فیه، کتحسین الصوت إلی حد التغنی به، و الإهتمام بتعداد حروفه و آیاته، و معرفه الحروف أو الکلمات الموجوده فی هذه السوره، و المفقوده فی تلک، و إجراء مقارنات و إحصاءات کثیره و متنوعه فی هذا الإتجاه.

ثم جاء الإهتمام بالشکل، و الخط، و الورق، و کیفیات الکتابه، و بالحرکات، و الأشکال، و النقوش، و ما إلی ذلک.

و کأن القرآن لم ینزل إلا من أجل أن یترنم به المقرؤون، و یردده المرددون بالنغمات الحسان، و بأبدع الألحان ..

و یصبح تحفه من التحف، و من الذخائر التی یتنافس بها أرباب المال، و رجال الأعمال علی اقتنائها.

ثم أصبح القرآن کتاب موت، لا کتاب حیاه، یقرأ فی الفواتح و علی القبور، أو یعلق من أجل البرکه علی الجدران و الصدور.

و بعد هذا، فلا ندری أی فائده تبقی لما اشتمل علیه القرآن من أوامر و زواجر، و قوانین، و تشریعات، سیاسیه، و إجتماعیه، و فقهیه، و غیرها؟!

و إذا کان الأمر کذلک، لم یعد کتاب هدایه، کما لا یبقی معنی للتدبر فیه، فلا معنی اذن لقوله تعالی: هُدیً لِلْمُتَّقِینَ، و قوله: یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ، و قوله: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها؟!

و هل یبقی بعد هذا معنی لجعل النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) القرآن أحد الثقلین اللذین لا یضل من تمسک بهما إلی یوم القیامه؟!

و لماذا یکلف اللّه الناس بحفظ و تلاوه هذا القرآن، بما له من حجم

كبير، ما دام أن لا ربط له بحياتهم، و دينهم، و معاشهم، و معادهم؟!

و أخيرا ... لماذا يهتم العلماء و المفكرون بتفسير القرآن، و شرح ألفاظه، و بيان معانيه، و كشف مراميه؟!

إلى غير ذلك من الأسئله الكثيره، التى لن تجد لدى هؤلاء الجواب المقنع و المفيد و السديد.

قبل الختام:

قد ذكرنا فى هذا الفصل بعض الثوابت التى لا ـ بد من الإلزام و الإلتزام بها فى مجال البحث العلمى و الموضوعى، إذا أريد الوصول إلى نتائج معقوله، و مقبوله، و مرضيه للوجدان العلمى و الإنسانى.

و ليكن ما ذكرناه، و سواه مما لم نذكره مما يقره العقلاء و المنصفون على اختلاف مذاهبهم و مشاربهم، و اتجاهاتهم، هو المنطلق لنا فى تعاملنا مع كل ما يرتبط بقضايا الفكر، و العقيده، و التراث، على كثره ما فيه من تنوع و اختلاف و شموليه.

و بذلك يكون موقفنا قائما على أسس واقعيه، و قويمه؛ فنرضى بذلك وجداننا، و نتقرب به إلى ربنا، و نؤكد به إنسانيتنا، بالإضافه إلى أننا نقدم به للأمه، و للأجيال، و للبشريه جمعاء، خدمات جلّى، و فوائد جسام، و لا يضيّع اللّه أجر من أحسن عملا.

و نعود إلى التذكير، و التأكيد، على أن ما ذكرناه ليس هو كل شى ء، فإن كل نص يحمل معه مفاتيح البحث فيه، و يشير إلى وسائل التعامل معه، و ذلك بملاحظه ما فيه من عناصر، و ما تتوفر فيه من خصوصيات، ربما لا تتوفر فى نص آخر، بل ذاك يحمل معه عناصر أخرى و يحتاج إلى وسائل و أدوات من نوع آخر.

ص: ۲۸۰

خاتمه المطاف:

و بعـد ... فإننـا نسـتطيع بملاحظه تلـك الأسـس مجتمعه أن نعرف مـدى قيمه تلك النصوص الكثيره، التى تحاول أن تظهر نبينا الأعظم صـلى الله عليه و آله وسـلم بـذلك المظهر الصبيانى، العاجز و الجاهل، و المزرى و المهين، و تعطى- على هذا الأساس- حجمها الطبيعى، و تجد مكانها الحقيقى، فيما بين النصوص المزيفه و المختلقه.

و لا تجـد لها بعـد هـذا فرصه للتسـلل- بطريقه أو بأخرى- إلى تاريـخ و فقه، و عقائـد المسـلمين، بحيث تعطى انطباعا خاطئا، لا ينسـجم مع روح الإسـلام و مبادئه، و لا مع واقع المسلمين و تاريخ نبيهم الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم ، و الأئمه الطاهرين، و سائر الشخصيات الإسلاميه عبر التاريخ.

و حينئـذ فقـط نسـتطيع أن نـدّعى: أن بإمكاننـا أن نقـدم للأمه التراث النقى الـذى يكون- بحق- مصـدر فخر و اعتزاز، و اعجاب المسـلمين جميعا، و للإنسان أينما وجـد و لأى فئه انتمى، و لنسـتفيد- من ثم- الكثير الطيب الـذى يساعـد على اكتشاف عناصـر الضـعف و القوه فى واقعنـا الراهن، و الخطأ و الصواب فى مواقفنـا الحاضـره، من أجل البناء السـليم و القوى للمسـتقبل المشـرق الرغيد.

إن شاء اللّه تعالى.

كلمه أخيره:

و فى ختـام هـذا البحث لا ـ يسـعنى إلا ـ أن أتقـدم بجزيـل الشـكر للـذين يتحملون عنـاء قراءته، و يصبرون على مـا يواجهونه من صعوبـات فيه، سواء من الناحيه الفنيه، أو من حيث الإجمال فى نصوصه، و الإختصار فيها، الـذى يصل أحيانا إلى درجه الإخلال بإعطاء الصوره الواضحه التى يراد تقديمها لهم، و عرضها عليهم.

كما أننى أتقـدم لهم بعـذرى، إذا كانوا يرون أننى قد اقتصدت فى إيراد النصوص و الشواهد، و لم أتعمد استيعابها، و لا تكثيف مصادرها.

فـإن المقصود من طرح هـذا البحث هو مجرد تسـجيل إثارات لموضوعات هامه و حساسه، قلما حضـيت من الباحثين و المؤلفين بمـا تسـتحقه من بحث و تمحيص. كمـا أنهـا لم تجـد من يتوخى الصـراحه و الوضوح فى عرضـها و هى الحقـائق الخطيره، التى توفرت الدواعى، و لا تزال على إخفائها، و إبعادها عن الأضواء، بل و طمسها و التخلص منها بصوره أو بأخرى.

ثم، إننى اعتـذر للقـارئ إذا وجـد فى هـذا البحث بعضـا من الصـراحه، الـتى قلمـا توجـد فى بحوث الآـخرين الـتى تنـاولت هـذا الموضوع بالذات. و آمل أن يتسع صدره لذلك، بل و ينشرح و يبتهج له. و يكون لى

من المشجعين، لا من المثبطين.

وفقنا اللّه لقول کلمه الحق و اعتماد الصراحه و الصدق. فإن أئمتنا الأطهار أول من علمنا ذلک. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدیتنا، وهب لنا من لدنک رحمه إنک أنت الوهاب.

و الحمد للّه، و الصلاه و السلام علی محمد و آله الطاهرین.

لبنان- ۲۵/ ۲/ ۱۴۱۴ ه. ق.

جعفر مرتضی العاملی

فهارس الكتاب:

اشاره

الدليل الإجمالی للكتاب

ص: ۲۸۷

الدليل التفصيلى للكتاب:

ص: ۲۹۰

ص: ۲۹۲

ص: ۲۹۸

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزی
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵
هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱
قسم البیع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمین ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.


مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹